

بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لابؤمنون

مصطفى المنافئ

مشيخ الاسلام للذولة العينانياسا بقار

القاهرة ١٣٦١

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



## كلمة المؤلف

ما زلت منذ بضع سنين مشتغلا بتأليف كتاب درست فيه جل مايحتاج المسلم المتعلم الى معرفته لوقاية عقيدته الدينية من الزينع العصرى الذى أزداد مع ازدياد أيام حياتى بمصر وقوفا عليه ، وعلى أنه مرض من الامراض السرية المزمنة في كثير من المتعلمين، لاالمثقفين الثقافة الغربية فقط، بل ان لهذا المرض عدوى الى بعض الموظفين بوظائف علماء الدين أيضا ، حتى الى وجدت في نفس بعض المعنونين بالمصلح فساداً، والقائمين للدفاع عن الدين إلحاداً ، ربما لم يطلع غيرى عليهما ، أو لم يتشجع لمناقشة أصحابهما الحساب ، وحتى ان موجة الشك تطاولت في قلوبهم الى مسألة وجود الله، فلو اقترحت عليهما ، وعنى ان موجة الشك تطاولت في قلوبهم الى مسألة وجود الله، فلو اقترحت عليهما ، أباتها بعد تنصل العلم الحديث عنها واكتفائه بالتشكيك فيها لوجدتهم مذبذيين بين العجز عن اثباتها بالعلم القديم وبين عدم الاعتداد بأدلة ذلك العلم . وقد ذكرت في مقدمة الكتاب الطويلة جداً وثائق من نشرات الصحف والمجلات لتلك الحالة السيئة ، ائلا يكون عيبها منى عايهم رجما بالغيب

فكتبت كتابي غير آل جهداً في مداواة ذلك المرض الذي كاد يكون عاما ، وفي القضاء على أسس ذلك الزيغ التي زعم المتمسكون بها منذ أزمنـة من الماضي القريب انها أسس علمية بحقيقة معنى المكامة، وربما غروا جيلا من الناس بدعواهم هذه وقد سميت المكتاب: « موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ورسله »

ولكون الكتاب يكوتن ثلاثة مجلدات قررت ارجاء نشره الى انفراج أزمة الورق ثم حدث فى الأيام الأخريرة ان الشيخ شلتوت الذى عرفت من قبل بما أنكر وجرد الشرطان كما يصوره كتاب الله ، ورددته عليه فى كتابي المار الذكر ، نشر

مقالة في مجلة « الرسالة » عدد ٤٩٢ ينكر فيها رفع عيسى عليه السلام الى السهاء حيا، وتروله الى الارض في آخر الزمان، فكتتردا عليه أيضا وأرسلت هذا الرد الى علمة الثقافة. ولما مكث الرد في ادارة المجلة زهاء شهر واطلعت على أن أصحابها لايريدون نشره، واطلعت مع ذلك على رغبة كثير من المسلمين في أن أقول قولى بهذا الصدد كا قال بعض علماء الدين الغيورين جزاهم الله عن المسلمين خيراً، ونشرت مقالاتهم في بعض المجلات، أخذت من كتابي الباب الثالث الخاص بدرس مسائل النبوة والممجزة والنشأة الآخرة، وبادرت الى نشره على شكل كتاب صغير قبل نشر الكتاب كله، ليكون نموذ جاله، وجواباً عاجلا في المسألة الموضوعة موضع البحث، وليكون النين ضنوا بالجو أن يتسع لقالتي ، مجابه ين بكتاب بدل مقالة، وجعلت اسم هذا الكتاب:

## « القول القصل »

« بين الدين يؤمنون بالغيب والدين لا يؤمنون »

والله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، انه سميع قريب مجيب

## بينالتالا

الم ذلك الكتابُ لاريْبَ فيهِ ، هدًى للمتقين، الذين يؤمنونَ بالغيبِ ويُقيمون الصلاة ومما رزقناهم يُنفقون ، والذينَ 'يؤمنونَ بما أُنزل اليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدًى من ربهم وأولئك هم المفلحون

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من اصطفاهم برسالته الى الناس ، وجمل لهم من الآيات البينات الخارقة لسنته فى الكون علامات يمتازون بها على الذين أرسلوا اليهم ، أخص بالذكر منهم رسولنا وسيدنا محمداً ، وعلى آله وصحبه والتابمين لهم باحسان الى يوم الدين

وبعد. فما لا يخنى على ذوى الأعين الساهرة، بعد أن سادت المادة فى الفرب، وأخذ الشرق يهتدى بهدى الغرب ، ما طرأ على القلوب الضعيفة من انكار المعقولات والمغيبات التى فى رأسها رب المشرقين ورب المغربين ، حتى ان الاسهاد فريد وجدى سبق له فى مقالة من مقالاته المنشورة فى «مجلة الازهر» (الجزء الحامس من المجلد الثامن) أن جعل الايمان بالغيب الذى هو أول صفة وصف الله بهاعباده المفلحين ، مقابلا للايمان بالواقع فنزل الايمان بالغيب بهذه المقابلة منزلة الايمان بغير الواقع

وحتى ان هذا الاستاذ قال فى أثناء مناقشة جرت ببنى وبينه ، ونشرت فى ضمن مقالات من الطرفين على صفحات جريدة « الاهرام » قولا ذكرته فى مقدمة كتابى المار الذكر بين أسباب تأليفه، وكان ذلك قبيل تولى الاستاذ رئاسة تحرير مجلة الازهر أعنى أيام كان حراً عن الوظيفة الرسمية الأزهرية

وهذا نص قول الاستاذ أعيد. هنا بنصه :

« ... فى تلك الأثناء ولد العلم الحديث، وما زال يجادل القوى التى كانت تساوره حتى تغلب عليها، فدالت الدولة اليه فى الأرض، فنظر نظرة فى الأديان، وسرى عليه أسلوبه، فقذف بها جملة الى عالم الميتولوجيا ( الاساطير ) ثم أخذ يبحث عن اشتقاق بعضها عن بعض، واتصال أساطيرها بعضها ببعض

فجمل من ذلك مجموعة تقرأ لالتقدّس تقديساً ، ولكن ليعرف الباحثون منها الصور الذهنية التي كان يستعبد لها الانسان نفسه ، ويقف على صيانتها جهوده، غير مدّخر في سبيلها روحه وماله

« وقد انصل الشرق الاسلامى بالغرب منذ أكثر من مائة سنة فأخذ يرتشف من مناهله العلمية ، ويقتبس من مدنيته المادية ، فوقف فيما وقف عليه على هذه الميتولوجيا، ووجد دينه مائلا فيما فلم ينبس بكامة لأنه رأى الأمر أكبر من أن يحاوله، ولكنه استبطن الالحاد وتمسك به، متيقناً انه مصير اخوانه كافة متى وصلوا الى درجته العلمية

« وقد نبغ فى البلاد الاسلامية كتّاب وشعراء وقفوا على هذه البحوث العلمية فسحرتهم، فأخذوا يهيئون الأذهان لقبولها دساً فى مقالاتهم وقصائدهم غيرمصارحين بها غيرأمثالهم، تفاديا من أن يقطّعوا أو ينفوا من الأرض »

ثم أدخل الاستاذ نفسه في الذين أسلاهم الاتصال بعلوم الغرب عن دينهم ثم أخرجه من بينهم. ولا حاجة لتنبيه القارئ النبيه الى أن الدس الذي ذكره الاستاذ لنوابغ الشرق الاسلامي المستبطنين للالحاد بعد ارتشافهم من مناهل العلوم الغربية، له أنواع وأساليب لا تحد ولا تحصى، حتى ان منها الادخال والاخراج اللذين خصهما لنفسه كما يظهر من الاطلاع على صورتهما المذكورة في مقدمة الكتاب. ومن ذلك الوقت الطويل الذي لفتني افشاء الاستاذ فيه عرب كتاب المسلمين المستبطنين للالحاد،

واستبطنتُ أنا أمرهم، لقيت من دسائسهم ما يجعل أسباب التأليف التى ذكرتها وأطلت الكلام فى ذكرها فى مقدمة الكتاب، محصول الاستقراء الناقص، حتى استدركت مافاتنى فى المقدمة من تلك الاسباب، وذكرته فى أمكنة مختلفة من صلب الكتاب

وأبرز مميزات هؤلاء الكتّاب والعلماء المتفقين معهم أنهم ينكرون المعجزات الكونية، ويعتبرونها من المستحيلات، وقد سبق فى مقدمة الكتاب كيف أنكرها الاستاذ فريد وجدى، وأنكرمها البعث بعد الموت، وردّ جميع آيات القرآن الواردة فى كل من الموضوعين الى المتشابهات التي لاتفهم معانبها

وبعضهم يخص انكاره بمعجزات نبينا من ذلك القبيل، ويعتبر تجرده منها ميزة له على سائر الانبياء، حتى ان فضيلة الاستاذ المراغى قال فياكتبه تقريظاً على كتاب «حياة محمد » الذي أخلاه مؤلفه عن المعجزات، والتقريظ منشور في صدر الكتاب: «وما أبدع قول البوصيري:

لم يمتحنّا بما تمسَي العقولُ به حرصا علينا فلم مَرتَب ولم مَهم ومن مميزاتهم البارزة في الأيام الأخيرة أنك تراهم يسعون أن يقيموا مقام نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبقرية يجعلونها موضع عناياتهم، ويكتبون عنها بدلا من نبوته ، تفضيلا لمناقب التي يتفق على تعظيمها من بدين برسالته الدينية ومن لابدن له برسالة ، على التي ينفرد بتعظيمها المسلمون

وقد أفسح أحد دعاة العبقرية أعنى به الدكتور زكى مبارك عما أضمره غيره، فقال في مقالة منشورة في العدد الخاص من مجلة « الرسالة » بأول العام الهجرى ١٣٥٨: «سيأتى يوم ـ قريب أو بعيد ـ يثور فيـه الناس على الامور الغيبية ، ولكنهم لا يستطيعون أن يثوروا على عبقرية محمد » ومعناه أن نبوته غـير مأمون أن يثار عليها

لا يستطيعون أن يتوروا على عبقريه عمد » ومعناه أن ببونه عمير ما مون أن يمار عليها حتى من الذين يدينون بها لكونها من الامور الغيبية . فينجلي من هذا أن تخصيصهم العبقرية بالبحث والدرس ناشئ من عدم كون نبوته صلى الله عليه وسلم متيقنة عندهم تيقن عبقريته ، والا فما ذا هو دافعهم إلى هذا التخصيص الراى الى إنساء نبوته فى ترويج عبقريته ان لم تكن العبقرية أفضل وأسمى من النبوة وأسلم من الشبهة ؟. أليس غريباً أن يقوم كاتب من المسلمين فيكتب حياة سيدنا محمد كما يكتبها كاتب أجنبى عن الاسلام منصف مقدر لعظمة محمد نافذ النظر فى اعماق عظمته ، ولكنه على كل حال غير تام التقدير حيث لايجعل نبوته التي هي معدن تلك العظمة الجامعة للعظات ، في رأس مايعني به من حياته ، أو غير تام الحظ حيث لاتدركه الهداية الالهية للايمان به على انه نبي من أنبياء الله

فان قيل اعتراضاً على" ان كاتبناالساعي لا ثبات عبقرية نبينا لا يتني نبوته، أقول: وهذا عبقرية المكاتب (١) . لكن واجب القارئ اليقظ أن يبحث عن سبب هدا الانحراف في اختيار الموضوع، ويقول في نفسه ما ذا هو منشأ التهالك مر كتابنا المبقريين على هذا النوع من مواضيع الكتابة عنه صلى الله عليه وسلم في زمان ضعف فيه الايمان بالامور الغيبية ، حتى لم يُستبعد وقوع الثورة عليها من الناس؟ أليس فيه تأبيد لذلك الضعف ، واشتغال بملافاة ما كاد ينسي وينكر من نواحي عظمته بما لايقبل النسيان والانكار منها ؟ مع أن في هذه الملافاة أيضا تأكيداً لإنساء ما أصبح على وشك النسيان

<sup>(</sup>۱) فهو يمثل دور المعنى بعبقريته فقط من دون تصريح ببنى نبوته ، وقد كان آخر من زملائه نقى معجزاته غير القرآن، فكا نه أبقى الفرآن دليلا لنبوته ، على أنه سيأتى كلام منا على هذا الإبقاء، وهناك زميل ثالث يتوقع الثورة على الأمور الغيبية التى تندرج فيها النبوة والمعجزة مطلقاً . أى يثور عليها حالا في هذا الأسلوب، فبالنظر الى مجموع هذه الأقوال والأدوار التى يكمل بعضها بعضاً تمهار النبوة وتبق المبقرية، ويتحقق قول المستمرق مؤلف « الأبطال » : « مجد البطل فى صورة النبي ! » ذلك القول الذي لا يستبعد كونه ملهماً لكتاب العبقرية من تلاميه في المستمرة يمن في الشرق ، ما يكتبون .

وهذه النقاط الدقيقة اللائعة ببالى إن كان أناس من القراء ينكرون خطورها بأذهان كتّاب العبقرية كان ذلك انكاراً مهم لعبقرية المكاتبين أنفسهم، واساءة الظن بهم أكثر مما يرون مها في ظنى ؛ فان كان مسلمو زماننا لاخوف على دبهم من تشكيك المشككين بالنسبة الى كل زمان مضى في الاسلام ، وكان المكاتبون العصريون النوابغ أجدر الناس بالاعماد على صحة عقائدهم وسلامة نواياهم حتى بمد افشاء الاستاذ فريد وجدى عن سرائرهم ومراميهم في كتاباتهم ، فأرضى أن أكون أن الملام بسوء الظن، وأختار لنفسى هذا الموقف على ما يختار هؤلاء الكتاب المسلمين من موقف الحقى!

ثم ان الكتابة والتأليف لا بد أن يتضمن دعوة القراء الى الاقتناع بشيء ، فان كان في دعوة الناس الى الايمان بعبقرية سيدنا محمد كسب القراء من غيير المسلمين فهذا الكسب الحاصل من الاعتناء بعبقريته المؤدى الى صرف الأذهان عن نبوته لايعوُّض خسر المسلمين لاسيما من غير العرب ، فما هي الفائدة التي تعود اليهم من عبقرية محمــد الذي لم يبق رواج نبوته ؟ بل وما فائدة إِغـــير المسلمين من عبقريته غير أن يرواكتّاب المسلمين حولوا أقلامهم الى وجهتها مستشمرين بعدم رغبة الناس اليوم في حديث نبوته، بل حديث نبوة أي نبي كان، لـكونها من الامور الغيبية التي قلما يؤمن بها الجيل|لحاضر من الناس ؟. فالمسألة اذن جمل محمد صــــلى الله عليه وسلم نبيًّا ءصريا ان زالت زعامته للمسلمين كافة فلا يزال زعما للعرب . ولفــــبر العرب أن يحتفظوا باتباع خطته مع هذا التحوّل في موقفه ، باعتبار أنها خطة معقولة . وكذا الحال في مواقف سائر الانبياء صـــاوات الله علمهم: فللمنتمين الى ديمهم أن يعتبروهم عباقرة زمانهـــم في صور الانبياء ، وليس أدل على عبقريتهم من اقناعهم الناس برهة من الزمان بنبواتهم . ولا يقال بصدد تبرئة الكتَّاب الذين أتمقمهم وأتهمهم بانكار النبوة وتحويلها الى العبقرية لاسيا في سـيدنا محمد عَيْمَالِيُّهُ ، أنهم لا ينكرون النبوة

وانما يجمعون اليها العبقرية التي لاشك في أنها صفة عالية لا يجيء منها أي ضرر وأي نقص لنبوة النبي ، بل يكون اتصاف النبي بالعبقرية زيادة في شرفه ومنقبته ـ لاني أقول أولا ، واستعيد بالله أن أكون من المفترين عليهم بما هم بريئون منه : علامة انكار النبوة فيهم القاطعة في دلالتها انكارهم المعجزات ، وها ـ أي المعجزة والنبوة سيان في كونهما من الامور الغيبية الخارقة لسن الكون التي ينتهى اليها انكار ما بنكرونه في هذه المسائل . نعم ربما تعترف تلك الطائفة بالنبوة لا بمعني النبوة التي تعد من الامور الغيبية ، والتي يعتقدها المسلمون والمليون جميما ، ولا عبرة بهذا الاعتراف طبعا ؛ وربما يعترفون بالمعجزات أيضا لكن لا يمعني المعجزات الخارقة لسنن الكون حقيقة ، وانما هي أمور لا يصح عدها من المعجزات اعتبروها معجزات ، كا فعل الأستاذ فريد وجدي عند ما كتب الامور الخارقة للنواميس في وقعة بدر ، وذلك في سلسلة مقالات منشورة في مجلة الأزهر بعنوان « السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة »

فهو لم يلتفت الى ما بين الخوارق الحقيقية الواقعة فى بدر وبين العنوان القائل «السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة » من التناقض حيث لايتفق الاعتراف بالامورالخارقة للنواميس الطبيعية مع العلم والفلسفة المعروفتين بين الكتاب المصريين. لكن الأستاذ يروغ بين الكار الخوارق وبين الاعتراف بها فى رئاسة مجلة الأزهر، وهو ثابت القدم فى انكار الخوارق الحقيقية التى لابد أن تكون المعجزة الحقيقية منها، كا لابد من كون علامة النبوة الحقيقية هى المعجزة الحقيقية المدودة من الامور الغيبية

وليس أدل على كون انكار المعجزات الخارقة التي تلازم النبوة ، ملازما لانكار النبوة ، من أن الدكتور شــبلي شميل ناشر فـكرة الـ حاد في البــلاد العربية بحماسة وصراحة ، يسمى الايمان بالأديان ايماناً بالمعجزة (١١). وثانيا الهم لايكتبون عن عبقرية سيدنا محمد كضميمة الى منصب نبوته ، بل مستقلة عنه ومغنية ، لاسبا عن المعجزة التى تلازم النبوة، وربما يقارنون بين النبوة والعبقرية مدعين للعبقرية الاعجاز اللازم للنبوة . وهذا أوضح دليل على كونهم مجتهدين في اهال النبوة وترويج العبقرية بدلا منها ، انظر الى قول الأستاذ فريد وجدى فيا كتبه في الجزء السابع من المجلد الحادى عشر من « مجلة الأزهر » بعنوان « السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة » :

« تمتاز العصور النبوية (يدى عصور الأنبياء) بالخوارق للنواميس الطبيعية فأساطير الأديان ملاً ى بذكر حوادث من هذا القبيل كان لها أقوى تأثير في حمل الشعوب التي شهدتها على الاذعان للمرسلين الذين حدثت على أيديهم . وقد حدثت أمور من هذا القبيل في العصر المحمدي صاحبت الدعوى في جميع أدوارها وكانت أعظم شأنا وأجل أثراً من كل ما سبق من نوعها . ولست أقصد بها ماتناقله الناس من شق الصدر وتظليل الغامة وانشقاق القمر وما اليها مما لا يمكن اثباته بدليل محسوس، ومما يتأتى توجيه الى غيرما فهم منه . ولكنى أقصد تلك الانقلابات الأدبية والاجماعية التي تمت على يد محمد ويتالي في أقل من ربع قرن ، وقد أعوز أمثالها في الأمم القرون المديدة والآماد الطويلة

« وقد لاحظ قراؤنا اننا نحرص فيما نكتبه في هذه السيرة على أن لا نسرف في كل ناحية الى ناحية الاعجاز مادام يمكن تعليلها بالأسبابالعادية حتى ولو بشيء من التكلف، مسايرة لمذهب المبالغين في التثبت والمحافظة على الدستور العلمي ثقة منا بان بحثا لاتحترمه النخبة المثقفة ولا تجد فيه صورة صحيحة لثلها الأعلى في عرض المسائل

<sup>(</sup>۱) راجعالمقدمة التي كند الرجل لتعريب كتاب بوخير في شرح مذهب داروين. والتعريب طبع مع المقدمة في مطبعة جريدة المحكووسة بالاسكندرية سنة ۱۸۸٤

وتحليلها لا يمكن أن يؤدي الى ما قصد منه من الخدمة العامة »

ولنا تعليقات على هذا الكلام في مقدمة الكتاب (الكبير) خشينا الاطالة في نقلها هنا مهما كانت هامة،وحسبنا فهم القارئ من قول الأستاذ أنه يستخرج من غير الممجزات معجزات ويرد المعجزات الحقيقية البنية على أسباب غيبيةغير طبيعية والتي هي معجزات النبوة الحقيقية التي هي أيضا من الأمور الغيبية غير الطبيعية، إلى أساطير الأديان ، كما حمل الآيات الواردة في القرآن عن معجزات الأنبياء الى المتشابهات غير المفهومة، لما جرى بيني وبينه النقاش قبل بضع سنوات، كل ذلك لانكار المعجزات الخارقة للنواميس الذي يلزمه انكار النبوة أيضا لسبيين : أولها كون المجزة علامة النبوةفن ينكرها فلا بد أن ينكر النبوة ،وثانيهما أن منشأ انكار المعجزة كونها من الامور الغيبية مع أن النبوة نفسها التي هي اتصال خاص بالله من الامور الغيبية أيضا بق ان واجب الانصاف الذي لايؤدي إلا بايتاء كل ذي حق حقه ، يقضي بأن لا يكون درسي لمسألة العبقرية خلوا عن تقدير كتاب «عبقرية محمد» للاستاذ العقاد . فقد أُصــدرت حكمي ضده قبل مطالعته بمجرد سمــاع اسمــه ورؤية بعض إعلان عنه في الصحف والمجلات، ثم لما قرأته أعجبت به، لاسيما ببعض مباحثه، وان لم أرجع عن حكمي الصادر نظراً الى كون مؤلفه أيضا من دعاة العبقرية ومروجهما بدل النبوة ومعجزاتها . ومع هذا فهو لم يتوقع الثورة على النبوة كما توقعها الدكتور زكيمبارك ؛ ولم يصادم البداهة في سبيل انكار معجزات الأنبياء ملفيا جميع الآيات الواردة بشأنها في كتاب الله ورادا لها الى المتشابهات التي لا يحصل القارئ منها على معنى مفهوم ، كاصادم الاستاذ فريد وجدى ، ولم يعتد في سبيل انسكار معجزات نبينا الكونية على كتب الحديث ساعيا لتشكيك الأذهان في صحة كل مارواه أمَّة السلمين عنه عَبِي الله من الأفوال والأفعال الى أن ألغى ركن السنة من بين حجج الاسلام كما فعل هيكل باشا كلذلك في مقدمة الطبعة الثانية الكتابه « حياة محمد » ،

ولم يحرف الكلم عن مواضعه فى تأويل آيات القرآن الناطقة بالخوارق كرفع عيسى عليه السلام الى السهاء، ولم يهن مقام القرآن بادعاء مجاراته لعقيدة العرب الجاهليين فى تصوير الشيطان ،كما حرف وأهان الشيخ شلتوت فراراً عن الايمان بالغيب!!

وفضلا عن عدم تورط الاستاذ العقاد في أمثال هذه السخافات التي تورط فيها غـيره من دعاة العبقرية ومنكرى المعجزات ، فأنه أحسن في الدفاع عن سيدنا محمد رداً على اتهام من يتهمه من الغربيين بالاستسلام للذات حسه، وأحسن في الدفاع عن الاسلام في مسألة تعدد الزوجات ، مع أنه لم يسبق وعدمنه في الدفاع عن الاسلام عند تعريف كتابه . وقدأصاب فضيلة الاستاذ المراغي في أصره باشتراء جملة من كتاب العقاد لتوزيعها في مدارس الأزهر ، أكثر من اصابته في تقريظ كتاب هيكل باشا.

الحاصل أنى وجدت الاستاذ المقاد أمثل دعاة المبقرية في اتران السكلم. أماكون قامه أقوى فانى أعرفه قبل كتابه هذا . ثم إنى بعد كل هذا الاعتراف بحق الاستاذ أراه مخطئا كزملائه في انكار المجزات الذي يشهدبه قوله في ص ٢٨ وعلامات الضعف بادية فيه رغم حسنه وطلاوته:

«قد ظهر والمدينة مهيأة لظهوره لانها محتاجة اليه ، والجزيرة مهيأة لظهوره لانها محتاجة اليه ، والدنيا مهيأة لظهوره لانها محتاجة اليه ، وماذا من علامات الرسالة أصدق من هذه العلامة ؟ وما ذا من تدبير القادير أصدق من هذا التدبير ؟ وماذا من أساطير المخترعين للأساطير أعجب من هذا الواقع ومن هذا التوفيق ؟ علامات الرسالة الصادقة، وهي عقيدة تحتاج اليها الائمة، وهي أسباب تتمهد لظهورها ، وهي رجل يضطلع بأمانتها في أدائها ؟

« فاذا تجمعت هذهالعلامات فماذا يلجئنا الى علامة غيرها ؟، واذا تعذر عليها أن تجتمع فأى علامة غيرها تنوب عنها أو تعوض مانقص منها ؟ »

وقوله في ص ٤٨ : « أنما نجحت دعوة الاسلام لانها دعوة طلبتها الدنيا ،

ومهدت لها الحوادث، وقام بها داع تهيأ لها بعناية ربه وموافقة أحواله وصفاته ، فلا حاجة بنا الى خارقة ينكرها العقل » البخ

والاستاذ يعرف كما أعرف أنا أن انكار المعجزات الخارقة المبنية على أسباب غيبية يكون من منكريها لانكار النبوة الحقيقية التي هي من الامور الغيبية أيضا، وان لم يعرف أن تلك المعجزات غير مستحيلة عند العقل، وسيعرفه أيضا بعد مطالعة كتابي. وأبي لأأطيل الكلام مع الاستاذكما أطلته مع غيره، وأنما أقول له: إن القرآن الفاصل بين كل حق وباطل يفصل بيننا في هذه المسألة أيضا . وطريق فصله هكذا : بحن نرى الاستاذ العقاد القائل بكون نبوة سيدنامحمد وليدة تهيؤ الزمان والمكان المتدمن حزيرة العرب الى كل الدنيا ، ولبدة الهمؤ العام المتولد من الحاجة العامة المهاء وكانت حاحة طبيعية صادفت شخص محمد المستعد الاضطلاع بالامانة بصفاته العالية الظاهر من كونه عبقريا في الدعوة، عبقريا في العسكرية، عبقريا في السياسة، عبقريا في الادارة، عبقريا في البلاغة، عبقريا في الصداقة، عبقريا في الرئاسة ، عبقريا في الزوحية، عبقريا في الأبوة ، عبقريا في السيادة ، عبقريا في العبادة ، عبقريا في الرجولة ، عبقريا في كل ما يلزم انجاحه في الدعوة ، من غير أن مخالط ذلك التهيؤ والحاجة العامة العالميتين شيء من الخوارق واتصال بعالم الغيب ـ نراه ينسي القرآن أو يتناساه عمداً بين أسباب بجاح الدعوة الاسلامية مع كونه أعظم الأسباب الذي لايمدله بل لايدانيه سبب آخر، ومع كون الأستاذ يستدل بما يستدل به من الأسباب والعلامات على نبوَّة سيدنا محمد، بعد تحقق نجاح الدعوة بانتشار الاسلام ومضى عهد الداعي مقرونا بالنصر والتوفيق. وهذه الحالة انما تكون علامة على نبوة سيدنا محمد بعد مضيٌّ عهد الدعوة متأخرة عن أوانها كثير، فماذا كان العامل الأول في الدلالة على صدق صاحب الدعوة عند أول المقا بلين بها السابقين في قبولها ، والذين هم رضى الله عنهم أسس صرح النجاح؟، لا شك في أنه القرآن!

أم إنا نرى الاستاذ الذى نسى هذه العلامة الأولى والكبرى للنبوّة لم ينس أن يستمد فى كتابه على حسب مناسبات الأبحاث بآيات من القرآن ، وكان ذلك من أسباب بجاح كتابه فى التأثير على القلوب ، فهل يمكن أن لايكون للقرآن الذى أثرً حتى فى نجاح كتاب « عبقرية محمد » للا ستاذ العقاد تأثير فى نجاح دعوة محمد والتيايية ؟ لا يمكن الأستاذ أن ينكر ذلك، ولا أن ينكر تفوق القرآن على جميع أسباب النجاح الى عددها من التهيؤ العام والحاجـة العامة فى العالم ،ومن اجماع أنواع العبقرية فى شخص الداعى

ف موقف القرآن اذن من محمد العبقرى الذى كانت دعوته \_ على رأى الأستاذ \_ فى غنى عن المخالطة بشىء من الحوارق الغيبية ليتسنى لها النجاح ؟، وكان متوقعا من الأستاذ أن يعين موقف القرآن من محمد العبقرى فى مبحث « البليغ » من كتابه ليكون ، وديا لحق البحث ، فلم يفعل . فان كان قراء كتابه المعجبون به كما أعجبت أنا لم يسألوه عن موقف القرآن من محمد البليغ العبقرى فى بلاغته، فانى سائله عن ذلك، وسائله : هل هو كلام الله أم كلام محمد نفسه ؟

فان كان كلام الله المنزل بنصه على محمد بواسطة الملك فهو يتناقض مع المفروض آنفا فى نبوة محمد من العبقرية المستغنية عن الخوارق الغيبية ، لكونه أكبر خارقة وأكبر اتصال منه بعالم الغيب

وان لم يكن القرآن كلامالله، بل كلام محمد نفسه عزاه الى الله كاأشار اليه الدكتور زكى مبارك من دعاة العبقرية فى قوله: « ان محمدا حرم نفسه الشهرة باجادة البيان وبفضل الكتاب الذى بلغه عاش البيان » وسيجى، نقله مع أقواله الأخرى .. ان كان القرآن عند الأستاذ المقاد صاحب كتاب «عبقرية محمد» الساعى لتجريده عن الخوارق، كا هو عند الدكتور زكى مبارك، كان محمد كاذبا فى نسبة القرآن الى الله على الرغم من قول القرآن: « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم

يوح اليه شيء » وكان هذا الكذب أ كبر مناف للنبوة والعبقرية معا

فان تساهل العبقريون وذهبوا فيا بينهم الى عدم التنافى بين العبقرية والكذب غير مصارحين به غير أمثالهم فماذا يقولون فى تحدى القرآن الانس والجن مجتمعين على أن يأتوا بمثله ؟ مع أنه لا يتصور صدور التحدى عن عاقل من البشر على أن يأتوا بكلام مثل كلامه ، فهل يمكن عند دعاة العبقرية أن يكون محمد العبقرى مجنونا إن أمكن عندهم أن يكون كاذبا ؟ ، وهل يجوز عندهم اثتلاف العبقرية بإلجنون أيضا كا جاز ائتلافها بالكذب ؟

و نحن تحاشى محمداً عَلَيْكُ مِن كُلُّ ذلك

أقول للكتاب المصريين بعد هدا السؤال الواضح: ان كنتم تؤمنون برسالة محد من الله بمعناها المعروف عند المؤمنين بالأنبياء فاصدقوا في إيمانكم، ولا تكذّب قلوبكم أقوالكم بل ولا تكذّب أقوالكم بعضها بعضا، فليس لكم أن تقيسوا عبقرية محمد على عبقريتكم التي تسهل الكذب في أعينكم، فأين هذا الذي تحدثون به أنفسكم من أن يكذب محمد الأمين على ربه الذي يقول (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه بالهمين ثم لقطعنا منه الوتين فها منكم من أحد عنه حاجزين)

وقد 'ينطق الله كتَّابنا المصريين بالحق فيقول مؤلف «حياة محمد» — ونعم مايقول — عند الكلام على الأقوال المختلفة في سبب نزول قوله تعالى ( وإن كَادُوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لا تحذوك خليلا، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا، إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف المات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ) ص ١٨٠:

« ومهما تكن الحقيقة الثابتة التي لا تختلف الروايات عليها للواقعة أو الوقائع التي نزلت الآيات فيها ، فانها تصور ناحية من نواحي العظمة النفسية لمحمد كما تصور

صدق اخلاصــه تصويراً قويا . وهذه الناحية تصورها كذلك هذه الآيات التي نقلنا من سورة « عبس » ويشهد بها تاريخ محمد كله . تلك انه كان يصارح الناس بأنه بشر مثلهم توحيربه اليه لهدايتهم، وأنه \_وهو بشر مثلهم\_ معرض للخطأ لولا عصمة الله إياه . فهو قد أخطأ حين عدس لابن أم مكتوم وتولى عنه ، وهو قد كاد يخطئ أ فما نزلت عليه آية الاسراء في شأنه ، وكاد يفتن عن الذي أوحي اليه ليفتري غيره . فاذا نزل عليه الوحي بنمه إلى ماصنع في أمر الأعمى، وفي أمر هذه الفتنة التيكادت قريش تدفعه النها ، صدق في تبليخ الوحي الى الناس صدقه في تبليخ رسالاتربه، ولم يقف حائل من أنفة أو كبرياء، ولا وقف اعتبار انساني، حتى مما يسيغ الفضلاء ، دون إعلان هذا الحق في أمر نفسه . فالحق اذاً ــوالحق وحدهــكان رسالته . واذا كان احتمال أذي الغبر في سبيل مانؤمن به بعض ماتطيق النفوس الكبيرة ، فان اقرار العظيم بأنه كاد يفتن ليس مما ألف الناس صدوره حتى من العظاء. انمــا يخنى هؤلاءً أمثال ذلك من الأمور ويكتفون بحساب النفس عليه ولو حسابًا يسيرًا . فهو شيء اذاً أكبر من العظمة، وأعظم من كل عظيم ذلك الذي يتبيح للنفس هذا السمو إبلاغ رسالة الحق جل شأنه »

والشاهد فيا نقلناه عن كتاب هيكل باشا وحبدناه هو الفقرة الأخيرة الناطقة بعظمة النبوة التي تسمو على العظمة . ونحن فضيف اليه قولنا : نعم ان النبوة هي الشيء الذي يسمو على العظمة وتقصر عن مداه العبقرية

وانظر عظمة النبوة المتحلية في قوله تعالى : (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضمين) وقوله : (وإن كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت أن تبتنى نفقاً في الأرض أوسلَّما في السماء )

فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين )

فهما أبلغ من الآبتين المذكورتين من قبل نقلا عن كتاب هيكل باشا فىالدلالة على عظمة محمد النبي على الله في على عظمة محمد النبي على عظمة محمد النبي على على على على على على النبيان بآية أنخضع الناس لتصديق مدعاه عن نبوته التي لامدعى لنفسه غيرها يمتاز به على الذين أرسل اليهم

وللكلام عن موقفه على الله عند الله عند الله على الله عند الله على الله على

\* \* \*

نعود الى ماكنا فيه: ومن مميزات الطائفة العصرية أنهم لا يعولون على كتب الحديث وما فيها من الروايات المتعلقة بمعجزات نبينا. ولذا جاء كتاب «حياة محمد» خلواً عن المعجزات الكونية وأقراء عليه فضيلة الأستاذ المراغى والشيخ رشيد رضا صاحب مجلة «المنار». وللوصول الى هذه الغاية يطمن من يطمن منهم في مكان كتب الحديث مطلقا من الثقة، ويُمنى من يعنى بعبقرية سيدنا محمد بدل نبوته، لكنهم متفقون في هذه المرحلة من الدس على الاعتراف بأهمية القرآن وسمو مكانه، قائلين: أنه المعجزة الوحيدة

وقولى لهؤلاء القائلين ــوهم دعاة العبقرية\_: ان القرآن انكان معجزة، وكان أفضل وأعظم ماوصل الينا من محمد عليات فهو معجزة نبوته لامعجزة عبقريته، لان العبقرية لا معجزة لها ، وان الذين لجأوا اليها أرادوا أن يتخلصوا من المعجزات التي تدور مع النبوات

وأصل المسألة أن النبوة كالمعجزة في كونها مخالفة للعلم الحديث الذي سبق قول الأستاذ فريد أن دالت اليه الدولة في الأرض ، وفي كون الذين ينكرون المعجزات من الكتّاب ينكرون النبوات أيضا ، وان كانوا اليوم أجرأ على المصارحة بانكار

المعجزات بالنسبة الى انكار المعجزات . بل العلم الحديث الذى يؤمنون به والذى قذف بالأديان جملة الى عالم الأساطير، يمنعهم من أن يؤمنوا بالله الذى لم يثبت وجوده الى الآن ثبوتا علميا مبنيا على التجربة الحسية ، ولذا قال الأستاذ فرح انطون منشى علمة « الجامعة » فما مضى عند مناقشة الشيخ محمد عبده (١)

« ان الدين هو الايمان بخالق غير منظور، وآخرة غير منظورة ، ومعجزة ووحى ونبوءة وبعث وحشر وسؤال وحساب وثواب وعذاب في الجنة والنار ، وكلها غير محسوسة ولا معقولة . ولهـذا كان العقلاء من الفلاسـفة ورجال الدين في كل ملة ينادون بابعاد العقل من الدين ». وكان هذا القول أيضا من الأسباب التي دفعتني الى تأليف الكتاب المسمى : « موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ورسـله » والذي هذا الكتاب الصغير جزء منه منشور قبله

أما الشيخ محمد عبده فلم يصل الى رده على مناظره بما يقنع قراء ذلك الوقت ومن بعدهم، ولو كان أتى بجواب مقنع يشهد له بالغلبة على خصمه لما اجترأ الأستاذ فريد وجدى على أن يقول فيم كتبه رداً على عند مناقشة مسألة المعجزات، وذلك بعد المناقشة الجارية بين الشيخ المفتى والأستاذ المنشى بأكثر من عشرين سنة: « ان الشرق الاسلاى لما رأى دينه ماثلا في عالم الأساطير التي قذفت فيه الأديان جملة بيد العلم الحديث الغربي لم ينبس بكامة لانه رأى الأمر أكبر من أن يحاوله، ولكنه استبطن الالحاد وتمسك به متيقنا أنه مصير اخوانه كافة متى وصلوا الى درجته العلمية » (٢)

<sup>(</sup>١) واالمناقصة منشورة في باب «الردود» من كتاب «فلسفة ابن رشد» الاستاذ منشى المجلة المذكورة

 <sup>(</sup>۲) فنى قول الأستاذ فريد وجدى هذا أعظم دليل على ان الشيخ محمد عبده لم يكسب القضية لحساب الاسلام، حتىان الأستاذ لايعد دفاعه عنه أمام طعن خصمه فى الأديان عامة بلسان العلم الحديث المبنى على النجرية الحسية ، كلة منبوسة . ومن هذا كنت جعلت كتابى هذا ( الكبير ) المار الذكر

الذي قذف بالأديان جملة \_وفها دين الشرق الاسلامي\_ الى عالم الأساطير، والذي جمل له الأستاذ الدولة في الأرض ، وذلك بعد أن تولى الوظيفة الأزهرية، ومضى عليه زمان ظرأن الناس نسوا ما كتبه أولا من إن الأمر \_أي أمر دفاع الشرق الاسلامي عن دينه أكر من أن يحاوله، وكان الأستاذ قد أقفل بهذا الكلام الطريق على نفسه وعلى غيره، فلمس من الأمم في كبير ولا صغير كما يظهر من مطالعة كتابنا (الكبير). ونحزان تغاضينا هنا عن صعود الخطر مندولة العلم الذى ركع الأستاذ لسلطانهأولا ثم لم يستطع أن يرفع رأسه \_ الى مسألة وجود الله، اكتفاء بما كتبنا عنها في الباب الأول ( من الكتاب الكبير ) ولم نعترف فيما كتبناه من أول الأمر، بأى سلطان من أى دولة. فنحن ان تفاضينا عن صمود الخطر الى مسألة وجود الله كفتنا الفتنةالناجمة في مسألتي انكار المجزة وإقامة العبقرية مقام النبوة ، شرا حيث تسبب هذه الفتنة الهيارعقيدة كون القرآن كلام الله وأحاديث سيدنا محمد أحاديث رسول الله ، ويلاُّمه كل الملاءمة إن المصريين من علماءالدين مثل الشيخ شلتوت وكيل كلية الشريعة وعضو هيأة كبار العلماء فضلا عن الدكاترة والأسائدة من الكتَّاب مثل الدكتور هيكما بإشا مؤلف كتاب « حياة محمد » ، نراهم يستسهلون على أنفسهم المخالفة لمرويات كتب الحديث فما لانوافق أهواءهم طعنا في ثبوت تلك الرويات عن رسول الله بحجة أن أهل النقد من علماء الحديث وجدوا فنها أحاديث موضوعة ، فيرتقي العصريون من غير علماء الحديث بهذه المرتبة من النقد الخاص لبعض الأحاديث ، الى الطعن في جملتها باحتمال الكذب في الاسناد حتى أصبحت السنة من بين الأدلة الشرعية ملغاة

استئنافا لتلك المناقشة الجارية فيما مضى بينالشيخ محمد عبده والأستاذ فرح أنطون، فان لم يكن الأستاذ فرح أنطون موجوداً اليوم، فالأستاذ فريد وجدى وغيره من ورثة عقليته أحياء يرزقون

عندهم ساقطة عن حير الاعتداد والاعتماد. ولم يبالوا باحتمال الصدق القائم الغالب في غير ما تكلم فيه علماء الحديث الاخصائيون بالتعليل، بل فيماصر حوا فيه بالتصحيح أيضا

وأصل منشأ الجرأة على التوسع فى تكذيب الرواة الى حد أن لا يبالى بما يتضمن هذا التوسع من تكذيب الأحاديث الصحيحة أيضا الثابتة عند علماء الحديث عن رسول الله عليه الله والمسلمة فيصحد الأمر من تكذيب الرواة الى تكذيب الرسول ، كون النبوة عندهم عبقرية لارسالة حقيقية من الله، فيكون سهلا عندهم على الرواة القدماء أن يسندوا اليه مالم يقله، ويكون سهلا على العصريين أن لا يصدقوه فيما قاله أيضا

هذا حال الحديث وطريق رفضه، ثم يجيء دور القرآن، ويكون طريقهم الى رفضه استمال الجرأة أيضا ان لم يكن في تكذيب رواته فني تأويل معناه، لاعبين بمقول القراء الغافلين، وغير مبالين بما يتعدون في تأويلاتهم عن حدود مراد القرآن \_ فلو نظروا اليه نظرهم الى كلام الله لالترموا بعض التحوط وخشوا بعض الخشية أن يكونوا مخطئين في التأويل، لكن مبدأ التحول العصري من النبوة الى العبقرية يحل جميع هذه المشكلات و يفتح امام المؤول أوسع باب . مثلا: ان الآيات الدالة على رفع عيسي عليه السلام كنا ولا نزال نفهم منها رفعه حيا كما فهمه جميع السلف من المفسرين، حتى جاء الشيخ شلتوت فادعي أن المراد رفع روحه، فهل هو الذي أصاب في تفسيره حين كان الجميع متفقين على الخطأ ؟ كلا، بل انه هو المخطئ كايأتي بيانه في محله، تفسيره حين كان الجميع متفقين على الخطأ ؟ كلا، بل انه هو المخطئ كايأتي بيانه في محله أمثال هذه الخطايا في عيون مقترفها

وأجرأ نماذج التأويل في القرآن بمد ماسبق للاستاذ فريد وجدى من رد آيات المعجزات وآيات البعث بمد الموت التي تملا كتاب الله الى المتشابهات غير المفهومة ، ماادعاه الشيخ شلتوت منكرا لوجود الشيطان كما صوره القرآن شخصا برى ويسمع، ويقول ويجادل، ويتكبر فيؤمم بالسجدة لآدم ويعصى الله، ويعد ويمنى، وينسل ويعيش

الى يوم الوقت المعلوم. ثم يعذب فى الرجهم مع الذين اتبعوه ، من أن القرآن جارى عقيدة العرب الجاهليين فى تصويرالشيطان. وهذا قلبدلالة القرآن ومرتبته مع مرتبة العرب فى المتبوعية والتابعية رأسا على عقب . والواقع ان الشيخ نفسه حريص على مجاراة الكتاب العصريين فى انكار الأمور الغيبية مثل المحزات وغيرها بدلا من مجاراة القرآن عقيدة العرب

ويقرب منه فى البعد عن مراد القرآن تأويل انفلاق البحر لموسى ومن معه حتى اجتازوه وغرق فرعون وجنوده ، بالجزر والمد البحريين، وقد عزى هــذا التأويل الى الشيخ محمد عبده الذى يفهم ان بدعة انكار المعجزات فى صورة تأويلها مأثورة للكتاب المصريين من زمانه، بل رد النبوة الى المبقرية – وقدراجت (موضته) أخيرا بين الكتاب – هو الذى عبد طريقه بمصر حيث عرق النبى والرسول فى تعليقاته على شرح الجلال الدوانى للعقائد المضدية ، بغير ماهو معروف عند علماء الاسلام فى تعريفهما وسيأتى الكلام منا على كل من المسالتين انشاء الله

ومثله تفسير الشيخ رشيد رضا صاحب « مجلة المنار » قوله تمالى «انشق القمر» بقوله : « ظهر الحق » وتفسير الشيخ شاتوت لآيات رفع المسيح عليه السلام برفع روحه، وقوله في نزوله المعدود من أشراط الساعة والمشار اليه في آيتين من القرآن : « انه لا محل له بعد سقوط رفعه حيا »

والشيخان لا يعتدان بعد الآيات بالأحاديث الواردة فيما أنكراه مهما كثرت ، حتى ان أحاديث نزول عيسى تبلغ سبعين حديثا على مانقله صديقنا العلامة الشيخ زاهد فى رده على الشيخ شلتوت من كتاب «التصريح بما تواترت فى نز ول المسيح» للمحدث الكشميرى لكن المنكر لا يلتفت الها بحجة أنها أخبار آءاد

سبعون حديثا مرويا عن الرسول صلى الله عليه وسلم بألسنة رواة مختلفين مر الصحابة والتابمين ومن بمدهم ، لا بد أن تكون لها قيمتها التي لا يكني لإسقاطها

التعلل بأنها أخبار آحاد، فلو أتى بمثلها سنداً لصحة خبر من الأخبار الواردة فى كتب التاريخ لكفى فى إفادة اليقين وزاد على الكفاية ، فان كفى هناك لكونها رواية تاريخية، ولم يكفهنا لكونه رواية المسلمين عن نبيهم، فى أسوأ هذه السمعة سمعة المؤلفين المسلمين ؟! وبئست التهمة شهة الكذب!

نعم إِن المؤلفين المسلمين مهما عظم شأنهم فلا ثقة بأمانة السلف منهم عندالخلف العصريين ، حتى أن الأحاديث المروية عن رسول الله لم يصح منها على تقدير مؤلف «حياة محمد » إلا واحد في كل مائة وخمسين حديثاكما سيجيء ذلك أيضا . فعلى هذا لا يوزن للأحاديث السبعين الواردة في نرول عيسى إلا أقل من نصف قيمة حديث واحد صحيح .

ثم إن رواة تلك الأحاديث لامصلحة لهم فى اختلاقها لأن رفع عيسى عليه السلام وتزوله مما لا يعنى الرواة المسلمين الذين المهمهم مؤلف « حياة محمد » فى الأحاديث الدالة على معجزات نبيهم الكونية، بالمحاباة الدينية . فلو كانوا اختلقوا هذه الأحاديث السبعين لزم أن يكون ذلك منهم تأييداً لآيات القرآن التى فهموا منها رفع عيسى ونزوله مع عدم المصلحة فى هذا الفهم أيضا . أما احتمال كون علماء الاسلام الماضين عاطين جيما فى فهم آيات القرآن بشأن عيسى، وكاذبين فى رواية الأحاديث تأييدا لهذا الملط فهو غاية فى سوء الظن بهم من ناحيتى الدراية والرواية ناشئة من ضعف صاحب الظن فى هذه النواحى ، وإذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه . وسيجىء منا مزيد شرح لكون الغلط فى فهم الشيخ شلتوت لآيات الرفع والنزول .

الحاصل أن العصريين من علماء الدين والدنيا المتعمدين لانكار الأمور الغيبية مثل المعجزات وغيرها ذهبوا في تفسير آيات القرآن وتقويم أحاديث نبينا مذهبا يكاد يكون ملعبا، فلا ينفعهم في تصحيح باطلهم قول الله ولا قول رسول الله، على أن الله ورسوله أيضا من الأمور الغيبية . فاذا لم تقم آيات البعث بعد الموت في كتاب الله حجة

على وقوعه عند الأستاذ فريد وجدى، وآيات الشيطان على وجوده عندالشيخ شلتوت كشخص حى عاقل، ولا السبعون حديثا على نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان فأى قول الله والرسول ينفع فى إثبات أى مطلب أو قطع أى نزاع؟(١).

وأصل المسألة أن للمتعلمين العصريين من الكتّاب عقيدة راسخة أرسخها فى أذهانهم العلم الحديث المادى الذى يؤمنون به فوق إيمانهم بكتاب الله وسنة رسوله، وهى إنكار الأمور الفيدية مثل المعجزات والنبوة بمعناهما المعروف عند الليّيين (٣) فلولم يكن فيهم هذه العقيدة ونظروا إلى قول الله ورسوله نظر المحايد غير المقيد بعقيدة مانعة عن قبول ما يخالفها لأمكننا وقفهم فى حدود قول الله ورسوله (٣).

فواجب علماء الدين اليوم غير المتفقين مع الكتّاب المذكورين مكافحة عقيدتهم المانعة عن الايمان بالأمور الغيبية مكافحة علمية تبين ما في العلم الذي بنوا عقيدتهم عليه من الجمل. وفي زماننا طائفة من علماء الدين لم ير الدين خيراسهم تهيبوا مكافحة تلك العقيدة المانعة عن تصديق الأمور الغيبية مثل المعجزة والنبوة وغيرهما، ولم يتهيبوا مكافحة نصوص الكتاب والسنة بتكذيب الثانية وتأويل الأولى بما يحرف المكلم عن مواضعة. فأردت أن أقوم بهذا الواجب مستعينا بتوفيق الله تعالى ، فوضعت اللب الأولى (من الكتاب الكبير) لاثبات وجود الله الذي هو في رأس الأمور الغيبية ، ووضعت هذا الباب الثالث لاثبات النبوة والمعجزة والنشأة الآخرة .

<sup>(</sup>١) ومن طريف التلق أن المعتدين على الآيات والأحاديث رفضا أو تأويلا مرهقا ، لايتحملون حملات النقد من المدافعين عن حقوق كتاب الله وسنة رسوله ويعدونها اعتداء عليهم ، إذا وجدوا فيها شيئا من الشدة التي ليست إلا وطأة الحق . وظني أن كف أصحاب «الثقافة» عن نشر مقالتي في الرد على مقالة الشيخ شلتوت المنتشرة في «الرسالة» كان سببه هذا النلق .

<sup>(</sup>۲) وهم متفقون فى هذه العقلية العليلة مع الأستاذ فرح انطون الذى ناظره الشيخ محمــد عبده ولم يتغلب عليه .

<sup>(</sup>٣) لكنهم لما اقتنعوا بعدم وجود الأمور الغيبية واستحالة المعجزات فما رأوه منها فى كتب الحديث طعنوا فى صحته، وما رأوه فى الفرآن أولوه .

## موقف العقل والعلم

من الله ورسله والآيات التي أظهرها على أيديهم وموقفهما من البعث بعدالموت

إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك مم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد.

هذه الموضوعات أعنى النبوة والمعجزة وكذا النشأة الأخرى تذكرف كتبأصول الدين بعنوان : « السمعيات » بناء على أنها مستندة إلى السماع من الأنبياء المبعوثين من الله المؤمدين بالمعجزات، ومعجزاتهم منقولة بأخبار متواترة أو مشهورة . فسألة وجودالأنبياء ومعجزاتهم، ووقو عالبعث بمدالموت تنبني على الأدلة السمعية لاعلىالأدلة العقلية التي يدركها الانسان ولو لم يسمعها من الأنبياء كوجود الله. وليس وجود ماثبت بالسمع كوجود ماثبت بالعقل بممنى أنه لايترتب على عدم وجود السمعيات مثل الأنبياء محال عقلي كما يترتب على عدم وجود الله ، إلا أن يكون ذلك محالا بالواسطة أو بالأوفق لاصطلاح المتكلمين محالا بالغير، كازوم الكذب في اخبارات الله تعالى، ومهذهالطريقة فقط يكون ماثبت بالنقل ضروريا يعنيأن وجود الله 'يثبَت أولا بدليل عقلي ضرورى، تم ُيثبَت إمكان السمعيات مثل النبوة والمعجزة والآخرة بدليل عقلي أيضا مبني على وجود الله ، ثم ُيثبَت وقوعها بإخبارات الأنبياء المؤيدين بالمعجزات ، عن الله الذي لا يتصور منه الكذب كما قال خضر بك من علماء الدولة المثمانية في زمن السلطان محمــد الفاتح ، وهو أستاذ الحيالي صاحب التعليقات الدقيقة القيمة على شرح العلامة التفتازاني للعقائد النسفية \_ في منظومته التونية المدودة من التون الكلامية: وواقع كل ما نص الصدوق به من ممكن كصراط أو كميزان

ولهذا الفرق بين الموضوعين سيرانى القارئ لأأقيم على وجود الأنبياء ومعجزاتهم والنشأة الآخرة دليلا عقليا يساوى فى القوة دليل وجود الله ، ولا أطيل الكلام فى هدذا الباب كما أطلت فى الباب الأول إلا النقاش مع منكرى المعجزات الكونية مطلقا أو لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وحسبك فارقا بين المسألتين أن النبي ليس بواجب الوجود. ولهذا أيضا ليس لمنكرى هذه المسائل أن يطالبونا باقامة الدليل العقلى عليها سوى إمكانها ، على أن لنا أن نقيم فيا سيأتي دليلا عقليا يكاد يفيد اليقين العقلى بازوم وجود الأنبياء زيادة على دلالة معجزاتهم عليهم، وكذا النشأة الآخرة فى وجومها نقلا وفى إمكانها عقلا

ومع أن النبوة لا يقوم علمها دليل يفيد الوجوب والضرورة المنطقية فهي واقعة تستند الى التجربة التي يعتبرها العصريون الدليل العلمي ، غير أن النبوة لا يجربها إلا النبي نفسه، وغير النبي يجربها بمعجزته، وتقوم تجربة معجزته مقام تجربة نبوته، ومن هنا يملم أن المجزة لا تنفك عن النبوة، ويعلم أيضا تفوق الدليل العقلي على الدليــل التجربي حيثيثبت بالأول وجودالله الواجبالوجود، وبالثانى وجودالنبي غير الواجب الوجود. وهكذا يكون إثبات كل مالايجب وجوده، بالأدلة التجربية التي تفيد مادون الوجوب أعنى الوجود العادى الوقوعي ، ويعلم أيضا أن تعبير العصريين عن الفلسفة المادية ( بالفلسفة الواقعية ) تفضيلا لها على الفلسفة الميتافيزيقية غير كافل للفضل المطاوب، لأن هناك مرتبة أعلى من مرتبة الوقوع وهوالوجوب أي ضرورةالوقوع أماإثبات إمكان النبوة والمعجزة والنشأة الثانية فمنأسهل الأمور بمدثبوت وجود الله القادر على كل شيُّ . ومن هنا قال «شيلهر ماخر» و «ريتجهل» : « إن الايمان بالمعجزات لا ينفك عن الايمان بالله » ومعناه أن من يؤمن بالله فلا بد أن يؤمن بالمعجزات أيضا . وقال « استوارت ميل » عند انتقاده لانكار «هيوم» المعجزات: « أن من لا يؤمن بموجود فوقالطبيعة ولا بتدخله في شؤون العالم لا يقبل فعل إنسان

خارق للمادة على أنه معجزة ويؤوله مطلقا بما يخرجه عن كونه معجزة ، لكن إذا أومن بالله فلا يكون تأثيره فى العالم وسلطته عليه فرضية محضة بل احتمالا جديا . والحسكم بعدم تدخل الله فى شؤون العالم إنما يمكن بمعرفة السنة الالهية فى الماضى، أو بمعرفة ما يلزم منطقيا أن تكون السنة الالهية كذلك » .

نعم معنى عموم قدرته تعالى على كل شيءانه قادر على كل شيء ممكن إمكانا عقليا . لكن نطاق هذا الامكان أوسع بكثير مما يظنه منكرو العجزات، فيدخل في المكن كل ماليس بمحال عقلى ولا مستازم للمحال كجمع النقيضين ورفعهما والدور والتسلسل. ومن العجب أن منكرى المعجزات فقط، أو منكرى المعجزات والنبوة مما ينكرونها على ظن أنها غير ممكنة، وهم من غفلتهم يقيسون الامكان والاستحالة بمقياس قدرة الانسان، وينسون قدرة الله التي ليس ببعيد عنها أن تهدم السماوات والأرض و تنشئها من جديد. ونحن لا نتكلم في هذا الكتاب إلا مع المعترفين بوجود الله ، فارضين أننا قد فرغنا عن إثباته نهائيا في الباب الأول من الكتاب الكبير الذي لم ينشر بعد والذي أوشك من طوله أن يكون كل الكتاب، وقطعنا دار المنكرين.

ولا شك أن الله الذي فطر السهاوات والأرض لا يصعب عليه أن يرسل الى بني آدم الذين هو خالقهم أيضا رسولا منهم فيوحى اليه ما يشاء ، وأن يظهر على يديه خارقة من خوارق العادات كخلق ثعبان من العصا، وهو خالق العصا والثعبان وجميع العالم من عدم، من غير أن يعد خلقه أوخلقهما معجزة ولا يصادف منكرا. وما أبدع ما قال « ويليام استانلي چوون » من كبار المنطقيين الانكليز : « القدرة التي خلقت العالم لا تعجز عن حذف شيء منه أو إضافة شيء اليه ، ومن السهل أن يقال عنه إنه غير متصور عند العقل ، لكن الذي يقال عنه إنه غير متصور ليس غير متصور الى درجة وجود العالم » يمني لو لم يكن هذا العالم موجودا وقيل لن ينكر المعجزات ولا يتصور وجودها : سيوجد عالم كذا ، كان جوابه إنهذا غير متصور وكان نني تصوره أشد من نني تصور المعجزات.

بل إذا نظرنا في خلق العقل الذي هو أكبر معجزة وأول رسول من الله الى عباده، ثم اذا نظرنا في أن يبعث رسولا البهم و يجعل على يديه علامة لرسالته ليعلموا بالرسول الأول العام خالقهم، و يتعلموا من الرسول الخاص تفاصيل ما يأمرهم به الخالق وما ينهاهم عنه، كما يبعث الملك عامله الى رعيته بمرسوم من عنده ، إذا نظرنا، فان إرسال الرسل الى الناس و جعلهم ممتازين ببعض المعجزات التي هي أوسمة رسالتهم، أسهل من خلق معجزة العقل في الانسان و جعل نوعه ممتازاهما (١) لأن الأول من هذين الأمرين في متناول القدرة البشرية أيضا ، فيستطيع الملك أن يرسل رسولا الى شعبه و يخصه بمرسوم منه لا يوجد في يد غيره ، ولا يستطيع أن يمنح رسوله العقل ، وكوننا نرى الأمر بالعكس فنظن ما هو أكثر وقوعا أسهل لكثرته، وما هو أقل وقوعا أصعب لقلته ، لا يغير الحقيقة العقولة عند قطع النظر عن القلة والكثرة .

لأنا أجبنا في ضمن أقوالنا عن هــذا الاعتراض، فخصصنا العقل الذي هو أكبر معجزة لأكبر والجب وهو إتبات وجود الله، ولا نهمله بعد هذا أيضا فنحتكم إليه في جميع الأمور المهمة، وقد جعلناه في هذا الكتاب (الكبير) صاحب الحكم الوحيد في تمييز المكن من المستجل حق بنينا عليه أيضا المكان بعث الأنبياء وامكان إظهار الحوارق على أيديهم من الله القادر على جميع المكنات. ومع كل هذا فقد أشرنا قريبا الى أن الناس لا يستغنون بعقولهم عن عباد الله الذين اصطفاع لدعوة الحلق الى صراطه المستقيم ، كما أن كون الرعية من ذوى العقول لا يغنيهم من أن يرسل إليهم الملك عاملا من عنده ينزلون إلى قوله ويعتبرونه قول الملك

ثم إن معجزة العقل على عظم قدره بل عظم إعجازه لاتعد معجزة لكونه نعمة عامة في سنة الله لجيع بني آدم، فهو عادة منهذه الناحية لاخارق العادة، معكون المعجزة في عرف العلماء من الحوارق، ونحن إنما ذكرنا العقل ولفتنا الى أنه أهم من المعجزات الخارقة وإن لم يكن معدودا منها ، تقريبا للخوارق الى الأذهان .

<sup>(</sup>١) ولهذا قال « شاتوبريان » : « الانسان حيوان ميتافيزيق » لامتيازه بالعقل ، فالانسان نفسه يكفينا مثالا للمعجزة

ولا يجوز أن يقال انتهاز الفرصة من قولنا بأن العقل أكبر معجزة : ان رسول العقل يغنى عن إرسال الرسلكما قال المعرى :

أما الغر إن خصصت بعقل فاسألنه فكل عقل نبي

وقولنا هذا أسهل وهذا أصعب مبنى على تقدير عقولنا فى المقارنة بين الأمور من حيث السهولة والصعوبة ، والا فجميع المكنات سهلة متساوية الاقدام فى السهولة بالنسبة الى قدرة الله، والمكنات لاتحد ولا تنتهى إلا فى المحال الذى يقد ره العقل المحض ويفصل بينه وبين المكن بميزانه، وليس لغير هذا الميزان حق البت فى حدود الامكان والاستحالة. فلا يقال هذا ممكن وهذا محال بالنظر الى تجربة الوقوعات. وهذا على الرغم من أن الغافلين الذين يذكرون النبوات والمعجزات يمتمدون فى انكارهم على تجربة الوقوعات الحاضرة لكونهم لا يقدرون الله وعظمة قدرته كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شى أن وقال: (قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الفائلين بآيات الله يجحدون) ولكونهم فى عصر رواج التجربة وكساد العقل الحض فيرون السماوات والأرض مخلوقة فيعترفون بإمكانها غير مستبعدين، ولا يرون فى عصرهم نبيا ولا معجزته التى ليست بأعظم من السماوات عبر ممكنة ، ويقولون انها غير مؤتلفة مع نظام العالم

وبعض الجهال يقولون آكباراً لمكتشفات العلماء الغربيين في العصر الأخير

«معجزات العلم قد أوقت على معجزات الدين في ماضي القرون» في ستصغرون معجزات الأنبياء عليهم السلام التي أنكرها منكروها استمطاما لحصولها باذن الله مباشرة من غير توسل اليها بالوسائل العامية غير الخارجة عن الوسائل الطبيعية ، وفي هذا ميزة المعجزة التي يصغر بجانب أصغرها أعظم المكتشفات، العلمية ، ومن هذا يقول المنكرون باستحالها ويرون فيها خرق نظام العالم ، حتى ان بمض الجهال من هذه الطائفة المنكرة يحتاج الى تأويلها وتنزيلها الى مادون الخوارق ، مع ان المعجزة لا بد أن تكون خارقة لنظام العالم والا لاتكون معجزة بمعناها الحقيق

فنقول للمنكرين وهم يدّعون أنهم يؤمنون بالله : أليس واضع ذلك النظام هوالله؟ فكيف تقيدون الله بالنظام الذي هو واضعه بقدرته وارادته واختياره ؟ فهل يكون القادر المختار عاجزا عن تغيير ماوضع ؟ أما أنه لم يغيره فيما رأيناه وهو سنته التي لن تجد عنها تحويلا فذلك بالنسبة الينا ، ومعناه أنا لا نقدر على تبديل سنة الكون ، فلا تكون النار إلا حارة محرقة لكل مامن شأنه الاحتراق بموجب نظام العالم ومصلحتنا في استمرار نظامه أنا نمتمد عليه مطلقا في أمورنا وحاجاتنا وتحسل لنا منه قواعد مضبوطة ، ولكن نظام النار هذا مثلا الذي نحن مقيدون به \_ لا خالق النار وواضع نظامها \_ ليس بمانع أن يجعلها الله بردا وسلاما على نبيه وخليله ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ، تأييدا لرسالته من عنده

فنظام العالم العامُّ الذي كان في الباب الأول من هذا الكتاب (الكبير) دليلا على وجود الله تعالى الذي هو واضع النظام ، يكون تغييره الذي نعبر عنه بالمعجزة والذي هوأيضا نظام من الله، لكنه نظام خاص استثنائي \_ دليلا على وجود أنبيائه . ومن هذا يمكننا أن نعد تأييد الأنبياء بالمعجزات من سنن الله أيضا

والنظام الأول العام هو الذي يسمونه القوانيين الطبيعية والذي يزعم منكرو المعجزات أنه لا يمكن تغييرها ، لكن الحق أنها قوانين موضوعة غير ناشئة من طبيعة الأشياء حتى لا يمكن تغييرها . ومعنى كونها قوانين أنها قضايا كلية مطردة الصدق اطراداً عاديا غير بالغ مبلغ الضرورة والوجوب، فلا يكون خلافه محالاعقليا ، لان تلك القضايا مبنية على التجربة، والتجربة مهما اطردت نتائجها وتبجح العلم الحديث وهواته بالاستناد اليها فلا تكنى في استناد القضية الضرورية اليها، لانها انما تدل على المادة لا على الغرورة المنطقية . وقد وفينا حق الكلام في مبلغ التجربة من قوة الدلالة، وفي مقارنتها مع الدليل العقلى في أمكنة عدة من الباب الأول ( من الكتاب الكبير ) . فإن كانت الضرورة شرطا في القانون ولم يكف اطراد الصدق عاديا فليس الكبير ) . فإن كانت الضرورة شرطا في القانون ولم يكف اطراد الصدق عاديا فليس هناك شئ يصح أن يقال « قوانين طبيعية » ولذا أنكر الفيلسوف « هيوم » العلم واجتهد «كانت » في أن يجعل قوانين العلم أي العلم الحديث المبنى على التجربة ،

ضرورية فلم ينجح. وقد سبق حل هذه المسائل أيضا (في الكتاب الكبير). قال «أميل سسه»: «ان العلم مع كونه ترقى كثيرا في مطالعة الطبيعة لم يثبت في وقت من الأوقات أن القوانين الطبيعية قوانين ضرورية هندسية» يعنى أنها ليست مستحيلة التغير

وقال «له يبنج»: «ليست القوانين الطبيعية عندية محصة كما ادعى « بايل »ولا ضرورية بالضرورة الهندسية» وكان يقول « مايدار بالماكينة حسن لكنه غيير ضرورى » وقال الرياضي الشهير « هانرى بووانكاريه » في كتابه « الفرضية والعلم »: «القانون التجربي عرضة دائما للتصحيح فهولا يزال يتوقع تبديله بقانون أقوى منه» وقال أيضا « لو كانت الهندسة علما تحربيا كانت علما تحمينيا ووقتيا »

ونما يجدر بالذكر هنا أن مبنى علم الهندسة على أن كل ماليس بمتناقض فهونمكن. وقال «هوكسلهى» من مشاهير على الانكليز: «أنا لا أعلم محالا غير التناقض، ولهذا يوجد محال منطق ولا يوجد محال طبيعى» وفى ممنى هذا كنت قلت فيا سبق (من الكتاب الكبير): يوجد محال عقلى ولا يوجد محال تجربي

فلا شبهة فى ا مكان المعجزات، والذين ادعوا انها محالات عقلية ، كالأستاذ فريد وجدى عند مناظرته معى فى مقالات كتبناها متقابلات ونشرتها جريدة الأهرام قبل بضع سنين ، لم يميزوا ماهو غير واقع بالنظر الى تجربتنا (۱) عما هو محال، فى حين ان بينهما فرقا عظيا، لأن المحال أخص مما ليس بواقع، فهو يزيد على غير الواقع بعدم امكان الوقوع ، وفى حين ان التجربة الدالة على مجرد الوقوع أو اللا وقوع لاتصمد الى مرتبة الحكم بضرورة الواقع ولا باستحالة غير الواقع ، اذ الحكم بالضرورة

<sup>(</sup>۱) على ان التجارب الماضية من مختلف الأمم فى أزمنة الأنبياء تشهد بوقوع المعجزات, فوجود الانبياء المعروفين صلوات الله وسلامه عليهم وشهود الناس بمنجزاتهم ثابتان،على أن لا يكون ثبوتهما دون ثبوت أى رجل من رجال التاريخ ووقائعه المشاهير

أو الاستحالة أو الامكان من اختصاص العقل، وليس من شأن التحربة. فالامكان أوسع نطاقا من الوقوع بكثير، والوقوع ضيَّق، وضرورة الوقوع أضيق ، كما ان الاستحالة التي هي بمعنى عدم الامكان أضيق من عدم الوقوع، فهمنا خمس مرات : الامكان،والوقوع،وضرورة الوقوع،وعدم الوقوع،واستحالةالوقوع،فتحكم التجربة في الوقو عواللا وقوع فقط، حتى ان حكمها في اللا وقوع لايكون كليا بتمام معنى الكلمة (١) أما الثلاثة الباقية فالحاكم فيها العقل. وقد يكون المكن أمرا عظماتقصر التجربة عن الوصولاليه، فيظنه قصير العقل مستحيلاً أو يكون الواقع كثير الأمثال جداً فيظنه ضروريا ، مثلا مرى النار تحرق دأعًـا مامن شأنه الاحتراق ، فيحكم بان احراقها ضروري لا مكن انفكاكه عنها ، مع ان الضرورة أو الاستحالة تندر جدا ولا تختلف مع عظمة الشيء أو تفاهمته ، مثــلا ان جمــل العصاحية، أو إبراء الأكمه والأبرص، أو شقالقمر من المكنات بالنسبة الى قدرة الله، بل مكنها ايجاد الكون العظيم في آن واحد، واعدامه بعد وجوده في الآن الثاني ، ولا يمكنها ايجاد بعوضة واعدامها مماً في آن واحد، أو جملها تحرك أجنحتها ولا تحركها في آن واحد، لأن فيه جما بينالنقيضين، وهو محال لانتملق به حتى قدرة الله

فاذن يكون منشأ إنكار المعجزات واستبعاد وقوعها ان لم تكن عقيدة المنكر المستبعد في نظام العالم انه من طبيعة الأشياء لايقبل الانفكاك عنها وليس بجعل اختيارى من الله، حماقة محضة، اذ لابد اذا كان الله جاعل نظام العالم وكان مختارا في جعله، أن يقدر على تغييره متى شاء ذلك . فالله تعالى في عقيدة المؤمنين اذا شاء يسلب

<sup>(</sup>١) ومن هنا لايرى « استوارت ميل » الوجوب والضرورة فى أى مسألة تثبت بالتجربة مهما كثر عدد الحالات غير المتناهية التي كثر عدد الحالات غير المتناهية التي يحتفظ بها المستقبل احتياطا . والقول بأنه لاسبب داعيا على أن لاتكون حالات المستقبل طبق الماضى مؤيدة للتجارب السابقة ، خروج عن مبدأ التجربة واقامة مبدأ آخر مكانها

الأشياء ماجرتسنته فيها، ويكون هذا السلب خرقا منه للمادة لاخرقا للعقل حتى يكون عالا ، فكما تكون إماتة الأحياء من القتلة باذن الله يكون إحياء الموتى من أنبياء الله أيضا باذنه، ولا فرق بين الحالين الا بكثرة وقوع الأول وقلة وقوع الثانى مع تساويهما في الامكان . وكذا الكلام في احراق النار ما تحرقه انه كما يكون باذن الله يكون كف النار عن الاحراق بأمر الله، ولا فرق بين الحالين بالنسمة إلى قدرة الله (1)

بل التحقيق أنه اذا وقع الاحراق فليس ذلك من النار، اذ الفاعل الحقيق في كل شيء هو الله وليس في الكون مؤثر غيره، فن عزا فمل الاحراق الى النار والاطفاء الى الماء وقال ان كلا منهما فاعل له فعل خاص به ثم ادعى بملء فيه أنه ثابت بتجربة ومعاينة كل أحد في كل زمان ومكان، فقدوهم لأن الثابت بالتجارب والمشاهدات أنما هو حصول الاحراق والاحتراق عند مماسة النار ومقارنتها، لا أن فاعل فمل الاحراق ومؤثرهذا الأثر أعنى الاحراق هو النار، ولا يلزم من أطراد الأثر ودورائه مع النارأن تكون هي علته الفاعلية لأن العلة أمر لا يرى ولا تتعلق به المعاينة والمشاهدة على انها النار، وحتى يدعى أن ذلك مجرب مشهود! ومن هنا يتبين أن كثيرا من الأمور التي يظنها الظانون أنها ثابتة بالتجربة والعاينة، ليس كما يظنون، فيجب على صاحب النظر الدقيق في المجربات أن يحدد مدلول التجربة تحديدا دقيقا ولا بتعدى حدودها

وما أحسن ماقال الفيلسوف « مالبرانش » كافي «المطالب والمذاهب» في مبحث « الدين في الأزمنة الأخيرة » : « انما نرى نحن توالي الحادثات و لا نرى الرابطة

<sup>(</sup>١) ولذا قال استوارت ميل: «ان الله الذي أوجدسلسلة الأسباب والعلل قادر على تعطيل عمل هذه السلسلة ، فلا تكون المعجزة خارقة لعادة بهذا الاعتبار ولايختل قانون السبية ، فسبب المعجزة ارادة الله » ومراده من عدم كون المعجزة خارقة انها غير مخلة بقانون السبية وهو الناحية المهمة للمسألة لوجود سببها الذي هو ارادة الله، والا فالمعجزة تحرق العادة بتعطيل عمل ساسلة الأسباب

الَّتَى تربط أحد الطرفين بالآخر، فلماذا تبقى هذه الرابطة مستخفية عنا ؟: لكونهاشيئا إلهيا لا توجد مثله في المخلوقات »

وهذا عين ما قاله علماؤنا الأصوليون: « لا تثبت الملية بالدوران » . فق حادثة الاحراق والاحتراق برى الاحتراق والجسم المحترق وبرى معهما النار ، ولا برى كون المحرق هو النار أى لا نمين النار على أنها هى فاعل الاحراق وعلته كما نمين القابل أى المحترق على أنه الجسم الفلاني ، وان كنا برى الاحراق والاحتراق فيما رأيناه دائما يقترنان بالنار ويدوران معها . وذلك لأن العلية لا ترى ولا تثبت بالدوران ، وليست رؤية المقارنة رؤية العلية . فهذه الدقيقة قد فهمها « مالبرانش »(١) وفهم قبله علماء الاسلام المجتهدون ونعم ما فهموا ، وزاد مالبرانش في الفهم عند تطبيقها على المسائل المادية فقال: إن سبب كون العلية غير مرئية أنها شيء إلهى لا يوجد مثله في المخلوقات،

ولا تقل أيها القارئ إن التردد في كون علة الاحتراق الفاعلية هي النار بعد مشاهدة النار مع كل حادثات الاحتراق، مكابرة ظاهرة لأنى أقول: على أى دليل قطعى الدلالة تبنى حكمك هذا ؟ فان بنيته على التجربة المشاهدة فالتجربة لاتشاهد العلية لأن العلية أمر معنوى لا يرى ، وانحا مدلول التجارب ومشهودها كون النار مجتمعة مع حادثة الاحتراق والجسم المحترق ودائرة حيثا دارا ، وان بنيته على الدليل المنطق فالمنطق

<sup>(</sup>١) حتى أن الفيلسوف « هيسوم » الذي هو أشهر مشاهير المنكرين للمعجزات فهمها أيضا بدليل قوله: « إذا أمعنا في النظر فبحن لا نرى القوانين والأسباب، وإنما نرى الحادثات والنتائج فنقول بالعلية والضرورة من غير أن تراهم، فاذا ضربنا إحدى كرتى « بيلاردو » تأخذ الكرة الثانية تتحرك أيضا، فالذي نرى بحواسنا هو هذا القدر ليس فيه غيرالحادثات، وليس فيه غير تقدم حادثة وتأخر أخرى، فالحادثات ترينا أنفسها دون عللها وأسبابها » انتهى مع قليل من التوضيح وقال «كوويهر » ترائى نقل الحركة من جسم إلى آخر موضحا لنا، منشأه اعتبادنا الحاصل من مصادفته فى كل مكان، وقال «كانت » « مسألة أنه كيف تسكون المقابلة والمناسسة بين الجواهر مشكلة ولا شبهة فى أن حلها خارج عن نطاق علم البشر »

لايعترف بدلالة دوران شيء مع شيء ودوام اقترانه به، على كون صلة أحدها بالآخر صلة العلة بمعلولها، لاحمال أن تكون صلة الاقتران واطراد الاقتران المشهودة بينهماغير صلة العلية والمعلولية ، فمادام احتمال أن يكون الله الذي هو خالق كل شيء والذي نحن نتكلم فيمسألة نبوة الأنبياء ومعجزاتهم معالممترفين بوجوده وكونه خالق كل شيء، هو خالق فعل الاحراق، وأن تكون إرادته هي العلة للاحتراق وهو معلولها وأثرها الصادرمها دون أن يكون صادرا من النار وانما توجد النارمع الاحتراق كالشرط العادى غير محتاج اليهفاعله وقد اشترط ليكون نظاما ووسيلة يتوسلها عبادالله فقضاء حاجاتهم أىليكون شرطا بالنسبة الهملابالنسبة الىالفاعل يحتاجون الى مراعاته ولا يحتاجهو المها ، بمعنى أن خلقه الاحتراق مع النار وبدون النار سواء عنده وبالنسبة الى قدرته وإرادته، فلو شاء أن يخلق الاحتراق مع الماء والالطفاء مع النار لفعل .. ما دام هذا الاحتمال موجودا ومرجحا على احتمال كون فاعل الاحراق هو النار، توحيداً لفاعل الكائنات (١) واختياراً لصيانة انتظامها من التشتت الحاصل من تعدد الفاعل تعدداً يكاد يكون على قدر عدد الكائنات ، وما نرى فها من الأسباب المؤثرة في السيبات أو بالأصح اشباه الأسباب فمجرد ظواهر ساترات للسبب الحقيق الوحيـــد الذي هو إرادة الله . ولا يجوز القول بالأسباب في دين التوحيد إلا على تقدير أن تكون سببيتها مجعولة مستعارة لا أصلية غير قابلة للتبديل والتغيير ، ولا يقول اشيء من الأشياء في الكائنات بخاصة ناشئة من ذاته غير قابلة للانفكاك عنه إلا الطبيعي المنكر للاله بالمرة أو الممترف بالآله غير المختار . ولذا قال « ماليرانش » الفيلسوف المار الذكر كما في مبحث المعرفة من « المطال والذاهب »:

« ليست العلة الحقيقية إلا واحدة لأن الاله الحق واحد والقوة التي في الطبيعة وفي كل شيء عبارة عن إرادة الله ، فالاعتراف مثلا بأن الشمس تعطى الحركة والحياة (١) ألا نرى أن علماء أصول الدين من أهل السنة قائلون بأن الله تعالى هو خالق أفعال عباده لا العباد أنفسهم ، مع كون الانسان أولى بأفعاله من النار بفعل الاحراق

للاَّشياء يكون شركا . وباستطاعة الملائكة والمقربين لو اجتمعوا لتحريك ورقة من أوراق شجرة يكون تناقضا »

وقال المتكلمون الأشاعرة قبل « مالبرانش » ونعم ما قالوا: « إن الكائنات بأجمها مستندة الى الله من غير واسطة »

ويحسن أن نتذكر هنا ما سبق ذكره (فى الكتاب الكبير) عند مناسبة النفس مع البدن من القانون الذى وضعه «له يبنج» وسماه «الوفاق السابق التقدير» «آرمونى پره أتابلى» وهوقانون كبير شامل لجيع أجزاء العالم الفردة فى مناسبة بعضها ببعض، فلاتأثير ولا تأثر بينها أصلا عنده لكون كل منها بسيطا لاروازن لها حتى تدخل فيها أشياء وتخرج، وإنما حصول أثر الواحد «موناد» فى الواحد الآخر بتدخل الله، بمنى أنه تعالى أراد عند تنظيم الأشياء أن يراعى الواحد فى تنظيم غيره، وأن يراعى غيره فى تنظيمه فيتوازن الجيع

وقال « هيوم » : « اذا نظرنا الى أى شيء أول مرة فلا ندرى ما الذي يستمد ذلك لأن يفيده ؟ وليس في الكون ذرة نستطيع تخمين ما تحوزه من قوة ، ولا أى شيء نستطيع القول بأنه معلول تلك القوة فتعقب واقعة واقعة أخرى، لكن حواسنا لا ترى القوة التي تمشى بهذه الما كينة ، لا تراها في أى صفة محسوسة من صفات الأجسام المادية، فكل ما نعلمه ان النار حارة ، لكن التلازم بين النار والحرارة يظل دأمًا فوق علمنا »

ريد أن يقول: إن كل صفة أو خاصة من صفات الأشياء وخواصها ايس بينها وبين تلك الأشياء تلازم عقلي يجعلها ضرورية لها ، ويجعل انفكا كها عنها مستحيلا، فلا نعلم لماذا كان السكر حلوا والملح مرا والسم قاتلا والنار محرقة . فكما لا نعرف أسباب ذلك لا يُعرف قبل التجربة اتصافها بصفاتها الخاصة ، فلا ترون في مرائبها الخارجية ما يفيد معنى من تلك المعانى ، حتى إن من لم ير السم اذا رآه لا يخطر بباله

أنه يقتل الانسان وربما لا يأبي تناوله، فكل هذه الأحوال يرينا أنه ليس بين الأشياء وخواصها تلازم عقلي غير قابل للانحلال كالتلازم بين الأربمة وزوجيتها والثلاثة وفرديتها، ولذلك تعلمه أنت قبل تجربتهما، كما تعلم أن الثلاثة في ثلاثة تكون تسعة، ولا تحتاج في تعلمه الى التجربة ، فهذه مسائل رياضية تفيد القطمية والضرورة لكونها مبنية على الأساس العقلي، وتلك مسائل طبيعية مبنية على التجربة التي لايبلغ مدلولها مبلغ الضرورة، ولايستحيل خلافه عند العقل.ولهذا: أي ولكون مسائل العلم الطبيعي مبنية على التجربة التي لا تدل على القطمية الضرورية وإن دلت على القطمية الواقعية، أنكر « هيوم » وجود القوانين الطبيعية وقال: إنها عادات مشهودة على أنها نتائج الحادثات وليس بأمور أزلية ضرورية تتبمها الحادثات . وهذا الكلام من هذا الرجل الملحد لدرجة « توخنر » الألماني ولكنه أذكى منه بكثير وأدق فهما ، يؤيد ما نهنا اليه على طول كتابنا ( الكبير ) من بطلان الدعوى التي تجمل الثقة العلمية مقصورة على التجربة وتفضلها على البراهين العقلبة المنطقية والتي هي أساس الإلحاد المصرى. هذا ، ولا يماب على أن استظهرت بكلام فيلسوف ملحد مثل «هيوم» لا يدن بالله ولا بالنبي ومعجزته ، في الرد على الذين يعدون معجزات الأنبياء من المستحيلات، ولا يثقون بالأدلة العقاية ثقتهم بالتجارب الحسية التي تبني عليها قواعد العلم الحديث، لأنى أنظر في القول ولا أنظر في القائل، فأتتبع من أقوال كل قائل ناحيتها الأفوى، ولا يمنيني أن يكون القائل من أنصار عقيدتي أو من خصومها ، بل يعجبني أنأجد شاهدا لها في كلهات الحصوم . أليس أولى عوقفي تجاه منكري المعجزات بحجة منافاتها لقوانين الطبيعة ، أن يكون أحد من الفلاسفة الممروفين تكلم في قيمة تلك القوانين، ولم يكن ذلك منه لإثبات إمكان المجزات كما أنى أتـكلم فيها لإثباته . فاعتراض « هيوم » على القوانين الطبيعية حق فى نفسه غـير مجاب عنه، والفيلسوف نفسه بميد عن الاتهام بمحاباة المؤمنين بالأنبياء ومعجزاتهم .

وقال «هيوم» أيضا: «إن الناس عامة لايرون أى اشكال في الحادثات الطبيعية مشل سقوط الأجسام الثقيلة الى الأرض ونمو النباتات وتكثر الأنواع بالتوالد والتناسل، وتربى الأبدان بالأغذية، وهم مقتنعون بفهم القوة التى تلد هذه النتائج فلا يبقى عندهم احمال الخطأ في النتائج، وفي الحقيقة انهم لما يرون العلة بحسب التجربة والعادة يحكمون بظهور معلول يوافق تلك العلة، فمن الصعب اقناعهم بكون أى علة يمقبها غير معلولها . ولكنهم اذا وقمت زازلة أرضية أو مصيبة غير معتادة يؤمنون للك بقوة غير مرئية، ومع هذا ذات عقل وارادة، ويقولون بكون تلك الحادثات غير القابلة للايضاح أفعال هذه القوة

« بيد ان أصحاب الأفكار العميقة والفلاسفة يعلمون ان القوة التي توجد الحادثات المامة المضادة الواقعة كل يوم غير قابلة للايضاح أيضا مثل القوة الموجدة للحادثات الهامة غير المعتادة ، ولذلك يحملون الحادثات كلها على فعل القوة التي يحملون الواقعات غير المعتادة على فعلها، فليست العلة الحقيقية عند هؤلاء الفلاسفة لكل معلول قوته الفطرية بل ارادة الوجود الأعلى »

وهذا القول أيضا الذي يتضمن تحبيذ أولئك الفائلين بتوحيد القوى ورد كلما الى ارادة الموجود الأعلى ، مما يعجبني صدوره من «هيوم» رغم كونه من ملاحدة الفلاسفة ومن غلاة منكرى المعجزات ، وهو والفياسوف الفرنسي الملحد أيضا «جوستاف لوبون» ماسرتني أقوال فلاسفة الذين نقلت عهم واستشهدت بهم في هذا الكتاب (الكبير) سرور قولها ، اذ وجدت في قول « لوبون» أبلغ شهادة بوجود الله وأصرحها كما سبق في آخر الفصل الرابع من الباب الأول ، ووجدت في قول «هيوم» أقوى رد على منكرى المعجزات بادعاء استحالتها، وهذا على الرغم من كون «هيوم» نفسه منكرا للمعجزات مشتهرا بانكارها لعدم اعترافه بوجود الله الذي لامعني لانكار المعجزات بعد الاعتراف بوجوده

الحاصل ان المعجزات لا ينكرها الا المنكرون لوجود الله ، ومن الغرابة ان جمهورهم يتمسكون هنا بنظام العالم الذي أنكروه حين أنكروا وجود الله فيقولون : انه نظام للعالم ناشئ من طبيعة الأشياء لا يمكن خرقه بالمعجزات. وقد كنت علمت مما سبق في الكتاب المكبير ان «بوخبر» امام الملاحدة أوبالأصح اسانهم المحامى عن مذهب الالحاد يجعل نظام العالم عبارة عن المصادفة والفوضى، فكيف يمكنه أن يدعى في مسألة المعجزة انها تغيير لنظام المالم معانه منكر لنظام العالم قبل انكاره المعجزة بحجة أنها تغيير لنظام العالم ؟ فأى مانع في المصادفة والفوضى يمنع تغيير شيء في مجاريهما احتفاظا بنظامهما الذي هو عدم النظام ؟

أما اذا كان الله موجودا عند أناس ، ثم رأيتهم لا يمترفون بسمة قدرة الله التى وسعت خلق السهاوات والأرض ، لخلق معجزة بتنيير أقل جزء من أجزائهما ، فذلك منهم حماقة تختلف عن حماقة الالحاد، ان لم تكن أكبر منها كانت أظهر ، وما أحسن قول أبى الملاء:

اذا آمن الانسان ُ بالله فليكن لبيبا ولا يَخلِط بايمانه كفرا مُم ان انكار المعجزة يتضمن انكار النبوة، فتشتد الحاقة وتتضاعف فيمن يؤمن بالأنبياء وينكر معجزاتهم، لاننبوتهم تبدأ من الايحاء اليهم الذي انلم تكن معجزة لمدم اقترانه بالتحدي فهو معجزة من حيثانه خارق للعادة، وان منكر المعجزة ينكرها لحدم اقارانه بالتحدي فهو معجزة من حيثانه خارق للعادة،

وبناء على شدة الاتصال بين انكار المعجزات وانكار النبوة نرى الذين يمتبون عن الأنبياء عليهم السلام من غير تعرض لمعجزاتهم ، يصورونهم ويترجمون عن حياتهم كأنهم لا يمتازون عن الناس الا بما يمتاز به العظاء والحكماء الأماثل من دون أن يكونوا عظاء بكون لهم صلة خصوصية بالله تعالى غير فطرتهم التي فطرهم على أن يكونوا عظاء وفي مقدمتهم

وقد يكون تصوير الأنبياء كما صور أولئك الكتّـاب موافقا لرأى الشيخ محمــد عبده حيث قال فى تعليقاته على شرح الجلال الدوانى للعقائد المضدية بعد ذكر الأقوال فى تعريف النبى ص ٣:

« أقول قد يمرَّف النبي بانسان فطر على الحق علما وعملا أي بحيث لا يملم الاحقا ولا يعمل الاحقا على مقتضى الحكمة ، وذلك يكون بالفطرة أى لا يحتاج فيه الى الفكر والنظر، ولكن التعليم الالهي، فان فطر أيضا على دءوة بني نوعه الى ما جبل عليه فهو رسول أيضا والا فهو نبي فقط، وليس برسول فتفكر فيه فانه دقيق »

وأنا أقول ليس في تعريف الشيخ شيء من خصائص النبوة والرسالة لا وحي ولا ملك مرسل ولا كتاب منزل ولا معجزة ، وعليه فمن أبن يُعرف كونه « لا يعلم الا حقا ولا يعمل الا حقا » من أبن يعرفه هو نفسه؟ ومن أبن يعرفه بنو نوعهاذا دعاهم؟. نعم في تعريف الشيخ : «ولكن التعليم الالهي» لكنه يمكن حمل هذا التعليم أيضا على الفطرة، ثم يرد عليه السؤال المذكور : من أبن يعرف أنه تعليم إلهي (١) ؟. ويؤيد ما قلنا أن الشيخ بني حتى دعوة بني نوعه على الفطرة لا على أمر خاص من ربه كما يؤمر به الانبياء ، حيث قال معرفا للرسول بعد تعريف النبي : « فان فطر على دعوة بني نوعه الى ما جبل عليه » فنص في موضعين من هذه الجملة على الفطرة والجبلة ، ثم كلامه بقوله : « فتفكر فيه فانه دقيق » وتفكر أنت أيها القارى في أن النبي والرسول على تعريف الشيخ عمد عبده مفتى الديار المصرية سابقا ليس بالنبي والرسول

<sup>(</sup>۱) ولهذا ترى علماءنا الذين دونوا العلوم الاسلامية يدخلون البعث والوحى ، ولا سيا الوحى في تعريف النبي والرسول ، ويقولون هو إنسان بعثه الله الى الحلق لتبليغ ما أوحى اليه ، ثم يقسمون الوحى الى ثلاثة أقسام : الأول ما ثبت بلسان الملك فوقع في سمعه بعد علمه بالمبلغ بآية قاطمة والقرآن من هذا القبيل . والثائي ما وضح باشارة الملك من غير بيان بالكلام . والثالث ما ألهمه الله تعالى بأن أراه بنور من عنده ، والذين يرون الاجتهاد للأنبياء من علماء الأصول جعلوه قسما رابعا وسموه وحيا خفيا ، وما ينقسم الى الثلاثة الأولى التي بها يصير النبي نبيا ، وحيا ظاهرا .

اللذين يمرفهما الاسلام والمسلمون بل المتيون كلهم ، وانما هورجل من أمثال الذين يقون بأنفسهم في صحة آرائهم ومبادئهم، ويأمل الناس فيهم الصلاح والاصلاح . ولا يكون مراد الشيخ إلحاق هذه الطائفة الممتازة من الناس بالأنبياء والرسل ، بل مراده تنزيل الأنبياء والمرسلين المعروفين صلوات الله عليهم ، الى منزلتهم تفاديا عن مؤونة الخوارق التي تلازمهم في معجزاتهم وكيفية الإيحاء الهم .

تفكر فيه وفى كون صحافة مصر المنحرفة عن الثقافة الاسلامية الى الثقافة الغربية لا تزال تشيد باسم الشيخ قائل هذا القول والآمر فى خاتمته بالتفكر الدقيق، ثم تفكر فى إنكار الأستاذ فريد وجدى معجزات الأنبياء جهارا نهارا على صفحات «الأهرام» أثناء مناقشته إياى فى إمكانها بله وقوعها ، تلك المناقشة التى استمرت أياما وعُين الأستاذ قبل انتهائها مدير « مجلة الأزهر » المساة يومئذ « نور الاسلام » ورئيس تحريرها، ثم تفكر فى كتاب « حياة محمد » لمعالى الدكتور حسين هيكل باشا وهو مثل فؤاد أم موسى فى معجزات نبينا الممثلة لحياته المعنوية، والتى خصص لها الأستاذ الهندى كاتب حياته عيلية قبيل الكاتب المصرى مجلدات، فى مجلدين

فان قيل: (١) ليس هناك من ينكر معجزة القرآن ولا يشهد بها ،وانما يخلون حياة نبينا عَلَيْكُ عما يسمونه المعجزات الكونية لعدم ثبوتها تواترا كما ثبت القرآن، ولامكان التأويل في بمضها بالحادثات العادية كما أول معالى هيكل باشا حادثة جواد «سراقة » في طريقه الى المدينة الذي كبا مرة ورمى راكبه على الأرض وخسف حافرة الأرض مرة ثانية ، وكان خرج لتعقيب الرسول أثناء الهجرة ؛ فأولها بالكبوة العادية (٢) وكما أوّل سورة الفيل اتباعا لتأويل الشيخ محمد عبده في تفسيره ،

<sup>(</sup>١) هذا السؤال يطول ذيله إلى آخر ما سأنقله من مقدمة كتاب « حياة محمد » وجوا به أطول ذيلاً وأعنى به تمام ما كتبته بعد انتهاء النقل من ذلك الكتاب الى آخر كنابى هذا تقريبا، فضلا عماكتبته في أثناء النقل من التعليقات .

<sup>(</sup>٢) مع أن سراقة صاحب الجواد لم يؤولهما بها، بل تشاءم منهما واضطر الىالاصطلاح مع النسبي

ولصعوبة تمييزها من حادثات السحر والشعوذة وأفعال أهل الصناعات الغريبة، ولذا قال الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة « المنار » في عدده الذي صدر بمد كتاب « حياة محمد » راداً على الذين اعترضوا على الكتاب، وقد أثبته معالى مؤلفه في مقدمة الطبعة الثانية وأنا أنقل منها:

« أهم ما ينكره الأزهريون والطرقيون على هيكل أو أكثره مسألة المعجزات أو خوارق العادات، وقد حررتها في كتاب « الوحى المحمدى » من جميع مناحيها ومطاويها في الفصل الثاني وفي المقضد الثاني من الفصل الخامس بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطمية على نبوة محمد يَرَاتُ بالذات، ونبوة غيره من الأنبياء بشهادته لا يمكن في عصرنا إنبات آية إلا بها، وأن الخوارق الكونية شبهة عندعامائه (أي علماء عصرنا) لا حجة ، لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضى ، وأن المفتونين بهم الخرافيون من جميع الملل ، وبنيت سبب هذا الافتتان والفروق بين ما مدخل منها في عموم المدنن الكونية والوحية وغيرها »

وقال فضيلة الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فيما كتبه تعريفا بكتاب هيكل باشا وردآ على المعترضين: «لم تكن معجزة محمد عَيَّالِيَّةُ القاهرة إلا في القرآن (١)، وما أبدع قول البوصيرى:

لم يمتحنّا بما تعبى العقول به حرصا علينا فلم ترتَب ولم نهم » وكأن فضيلته يربد أن يستشهد بقول البوصيرى رحمه الله هــذا على عدم ظهور المحزات الكونية على بد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانحصار معجزته في القرآن ،

صلى الله عليه وسلم . والعجب من منـكوى المعجزات أنهم إذا رأوا ما يقبل التأويل قالوا هذا ليس بمعجزة لأنه لايخرق العادة، واذا رأوا ما يخرقها قالوا هذا محال مخالف لسنن الـكون .

<sup>(</sup>١) فقد ظهر اتفاق فضيلة الشيخ المراغى والشيخ رشيد رضا بل الشيخ عمل عبده أيضًا مع الدكتور هيكل باشا والأستاذ فريد وجدى في انكار المعجزات

وسيجى، جوابنا إن شاءالله مفصلا على تقريظ هذين الشيخين: شيخ المتار وشيخ الأزهر وقال معالى هيكل باشا في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه اعتدارا عن عدم ذكر شيء من معجزات نبينا الكونية في الكتاب المسمى « حياة محمد » وجوابا على مؤاخذيه من الذين سماهم المشتغلين بالعلوم الدينية :

« إننى لم آخذ بما سجله كتب السيرة و كتب الحديث، ولم أنهج فى التعبير عن مختلف الحوادث نهجها . ولقد كان يكفينى رداً على هذا أننى أجرى فى هذا البحث على الطريقة العلمية الحديثة (١) وأكتبه بأسلوب العصر ، واننى أفعل ذلك لأنه الوسيلة الصالحة فى نظر المعاصرين لكتابة التاريخ وغير التاريخ من العلوم والفنون، وما كان لى ، وذلك شأنى ، أن أتقيد بنهج الكتب القديمة وأساليها، وبين هذين وبين النهج والأساليب فى عصرنا الحاضر بون عظم ، إن النقد فى الكتب الفديمة لم يكن مباحا بالقدر الذى يباح به اليوم ، وإن كثرة الكتب القديمة كانت تكتب لغاية دينية تعبدية على حين يتقيد كتّاب العصر الحاضر بالنهج العلمى والنقد العلمى (٢) لكنى رأيت من الحير أن أتبسط بعض الشي فى بيان الأسباب التى دعت المفكرين من أثمة السلمين، كا تدعو كل باحث مدقق ، الى عدم الأخذ جزافا بكل ماورد فى كتب السيرة

<sup>(</sup>۱) الطريقة العلمية التي يتبجح بهامعالى المؤلف ويباهى بانباعها فى تحرير كتابه، والتي يدعى أنه بني عليها انكار المعجزات، هى الطريقة نفسها التي يدعى ملاحدة الغرب انهم بنوا عليها أنكارهم لوجود الله .

<sup>(</sup>۲) إذا كان قانون الدين لا سيا حديث ( من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ) يجزى الكاذبين بنار جهنم ، وقانون التحرر من الفيود الدينية لا يعترف بالجزاء على أى جرم جرى في الحقاء وبق على ذلك ، فمن أظلم السخافة وأسخف الظلم أن يوضع أقوال الكتاب المؤمسين بالدين تحت شبهة الكذب لكونهم مؤمنين متقيدين في أقوالهم ، وبؤتمن با قوال الكتاب غير المقيدين بالدين لعدم كونهم متقيدين به ، ولله در المعرى حيث يقول :

وما الناس إلا خائفو الله وحده إذا وقع التمي في كف ناقـــد

وفي كتب الحديث (١) والى التقيد بقواعد النقد العلمي » ص ٤٦\_٧٤

« وأول هذه الأسباب مابين تلك الكتب من خلاف في رواية الكثير من الأمور المنسوبة الى النبى العربى ، فقد لاحظ الذين درسوا هذه الكتب ان ماروته من أنباء الخوارق والمعجزات ومن كثير غيرها من الأنباء كان يزيد وينقص دون مسرغ الا اختلاف الأزمان التي وضعت هذه الكتب فيها ، فقديمها أقل رواية للخوارق من متأخرها، وما ورد من الخوارق في الكتب القديمة أقل بعداً عن مقتضى العقل مما ورد في كتب المتأخرين ، وهذه سيرة ابن هشام أقدم السير المعروفة اليوم تعفل كثيراً مما كتبه أبو الفداء في تاريخه، ومما ذكره القاضي عياض في الشفاء، ومما ذكر في كتب المتأخرين جيما، وكذلك الشأن في كتب الحديث واختلافها (٢٠). فبعضها ذكر في كتب المتأخرين جيما، وكذلك الشأن في كتب الحديث واختلافها (٢٠).

<sup>(</sup>۱) لم يبق فى كتب الحديث والسيرة محل للآخذ بمافيها أن يأخذ به جزافا بعدان غربلها ونخلها علماء الاسلام أنفسهم بدقة لامثيل لهافى الدنيا ، فنقد الرجال ، أى نقد رجال الحديث ، علم مدون فى الاسلام فعلا ليس كالنقد العلمى قولا مجردا يكرر لجاذبيته فى أفواه الكتاب العصريين ، وليس بعد غربلة الأحاديث النبوية ورواتها بأيدى علماء الاسلام الاخصائيين مجال لمدقق الا مدققا معاديا يركل الغربال والمنحل ويرفض الكل جزافا . ولنا كلام في هذا الصدد لاتسعه هذه التعليقة الموجزة فنرجئه الى ختام النقل عن كتاب المؤلف

<sup>(</sup>٣) الزيادة في كتب متأخرى المؤلفين في السير على ما كتبه متقد موهم ، كان الأقرب الى العقل والانصاف ان تحمل على اطلاع الأواخر على مالم يطلع عليه الأوائل كما هو الباعث المعروف على تلاحق التأليفات بعضها مع بعض، فلو كتب الحديث عين ما كتبه القديم ولم يزد عليه شيئا لاستغنى عن كتابه . وهناك سبب آخر وهوان موضوع كتب السيرة كان يختص بغزوات النبي عملية يؤيده أن تلك الكتب تسمى أيضا بالمغازى، حتى قال الحافظ ابن ججر: ان السير والمغازى مترادفتان، وفي الفقه كتاب السير والجهاد، كما ان فيه كتاب الصلاة وكتاب البيوع مثلا، ثم توسع المتأخرون في الموضوع فزادوا فيه من سيرته عملية مطلقا . فلما لم يعرف مؤلف «حياة محمد» هذا التطور في موضوع فيه من سيرته عملية .

يروى قصة من القصص وبعضهم يغفلها وبعضهم يضعفها (١) ، فلا بد للباحث في هذه الكتب جميعا بحثا علميا أن يضع مقياسا يعرض عليه مااختلفت فيه وما اتفقت عليه، فما صدقه هذا المقياس أقره الباحث، ومالم يصدقه وضعهموضع التمحيص، اذا كان مما يقبل التمحيص ص ٧٧ — ٤٨

« وسبب آخر يوجب تمحيص ماورد فى كتب السلف ونقده نقـداً دقيقا على الطريقة العلمية ان أقدمها كتب بعد وفاة النبي بمائة سنة أو أكثر وبعد ان فشت في

كتبالسيرة، أو بالأولى لما لم يعرف خصوصية ماقبل التطور، أساء ظنه بزيادات المتأخرين نعم ان كتب السيرة مطلقا لا تعدل كتب الحديث في صحة الرواية، ومعالى المؤلف كا أخطأ هنا في التسوية بينهما في عدم الاعتهاد أخطأ أيضا في اختيار مافي كتب السسيرة على مافي كتب الحديث اذا وقع الحلاف بينهما، مثل غزوة ذى قرد كتب أصحاب المغازى كونها قبل صلح الحديدية و تبعهم المؤلف، لكن مسلما يذكرها بعده وهو الأصح كاحققه ابن حجر في « فتح البارى »، ومثل غزوة ذات الرقاع يقدمها أصحاب المغازى على غزوة خير و تبعهم المؤلف لكن الأصح كونها بعدها كافي صحيح البخارى . ومن هنا يظهر ان تأليف كتاب عن حياة محمد عربي على وجه الصحة يتوقف على درس كتب الحديث أكثر من كتب السيرة الذى هو أسهل بكثير من الدرس الأول والذى لا تجاوزه استطاعة أمثال معالمه

ثم ان المؤلفين في المغازى كثير ون وليس ابن هشام المتوفى سنة ٢٠ أقدمهم فالتأليف يبتدى من ابان بن عثمان رضى الله عنه المولود سنة ٢٠ ثم عروة بن الزبير المولود بعد ابان بقليل ، ثم شرحبيل بن سعد، ثم الزهرى المولود سنة ، ٥ وهوأستاذ أستاذ البخارى وامام كبير في الحديث لقى عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز و يحتمل ان يكون تأليفه في المغازى بإشارة الأخير

(١) والمؤلف يتبع المغفل والمضعف إما محافظة على مبدأ ســوء الظن بالمؤلفين المؤمنين ، أو فرارا من مؤنة الندقيق الذي يمكن أن يسفر عن بعد نظر مثبت القصة

الدولة الاسلامية دعايات سياسية وغيرسياسية كان اختلاق الرويات والأحاديث بعض وسائلها الى الذيوع والغلّب، فيا بالك بالمتأخر بميا كتب في أشيد أزمان التقلقل والاضطراب. وقد كانت المنازعات السياسية سببا فيا لقيه الذين جمعوا الحديث ونفوا زيفه ودونوا مااعتقدوه صحيحا منه من جهد وعنت أدى البهما حرص الجامعين على الدقة والتمحيص حرصا لا يتطرق اليه ريب. ويكني ان يذكر الانسان ماكابده البخارى من مشاق وأسفار في مختلف أقطار الدولة الاسلامية لجمع الحديث وتمحيصه، وما رواه بعد ذلك من أنه ألني الاحاديث المتداولة تربى على سمائة ألف حديث لم يصحلديه منها أكثر من أربعة آلاف، وهذا معناه انه لم يصح لديه من كل مائة وخمسين حديثاً الاحديث واحد. أما أبو داود فلم يصحلديه من خمسائة ألف حديث غير أربعة آلاف وثماغائة وكذلك شأن سأئر الذين جموا الحديث وكثير من هذه الأحاديث التي

(۱) مسألة تمحيص الأحاديث النبوية وتمييز مايوثق به منها عن غييره، واختيار أفضل طرق التمييز وأسهاها مهما شق ذلك ، لايمكن أن يعالجها ويقوم بواجب تحقيق الحق فيها لوجه الحق الذي قد سبق في مقدمة الكتاب (الكبير) ان الدكتورهيكل باشا يبحث عنه في كتب الغربيين أحد أو ظائفة أو أمة ، لاسها في الأعصار الأخيرة التي ليس فيها وجه ينظراليه غير وجه المادة ، مثل ماعالجها عاماء الاسلام المتقدمون وقاموا بواجب تحقيق الحق فيها « لوجه الحق » الذي لايكون له معني أصدق من وجه الله » ولنكت هنا من ثانية قول العرى :

وما الناس الاخائفو الله وحده اذا وقع التمي في كف ناقد

فلو أخذت أشرح أهمية المسألة وما بذله أولئك العلماء الأعلام في انتقادالا طديث وانتقائها لزم ان أكتب كتابا في ضخامة مجموع كتب الحديث مع شروحها والمعلقات عليها، تلك الكتب التي تغص بها دور الكتب الاسلامية والاستشراقية ، لأن كتب الحديث كلها انتقاد وكلها انتقاء . ==

## صحت عندهم كان موضع نقد وتمحيص عند غيرهم منالعلماء انتهى بهم الى نني الـكثير

= حسبك شاهدا في هذا ماقاله هيكل باشا نفشه : إن البخارى وحده انتقى ماكتبه في صحيحه وهو أربعة آلاف حديث من ستائة ألف حديث وأبا داود وحده انتقى ماكتبه في سننه وهو خمسة آلاف الا مائتين من خميائة ألف حديث . فأى همة جبارة هذه وأعنى بها تدقيق ستائة ألف حديث أوتدقيق خميائة ألف حديث أوتدقيق خميائة ألف حديث لكتابة خمسة آلاف : فهذا العمل العظيم الحير للعقول في سبيل تمحيص الأحاديث النبوية والذي يحق أن يكون فخرا لعلم الحديث الاسلامي وعامائه، يستخدمه هيكل باشا في زعزعة مكان الثقة بكتب الحديث في قلوب الناس ، وقد كان الامامان البخارى وأبو داود توخيا بعملهما هذا النثل الأعلى في التمحيص والتوثيق ، فليخش المبخارى وأبو داود توخيا بعملهما هذا الثل الأمرفاتخذه تهمة وسلاحا ضد كتب الحديث مطلقا، على أن يكون فيها كتابا البخارى وأبي داود أيضا اللذان ليس كل منهما الا روح التمحيص بالنظر الى تعريف المهم نفسه

ولقد أساء معاليه جدا في تفسير اختيار هذين الامامين مااختاراه في جامعهما من الأحاديث فقال في اختيار البخارى مثلا: « وهذا معناه انه لم يصح لديه من كل مأنة وخمسين حديثا إلا حديث واحد فقط » فهو بزعم ان البخارى مثلا بنني صحة جميع مابق بعد استثناء أربعة آلاف من السمائة ألف حديث التي كانت لديه ، مع أن البخارى لم يقصد استيعاب مالديه من الأحاديث الصحيحة بله استيعاب الأحاديث الصحيحة مطلقا ، وانما أراد وضع محتصر يحتوى من الأحاديث النبوية طائفة في أعلى درجات الصحة نظرا الى الشروط الضيقة الملتزمة عنده حتى أخذه مسلم عليه في أول صحيحه وعده من الافراط في الاشتراط وذهب الحاكم وتبعه البهتي والحافظ أبو بكر بن العربي وان لم يسلم لهم بذلك ، الى أن شرط البخارى ومسلم أن لا يخرجا إلاحديثا سمعاه من شيخين عدلين، وكل واحد منهما رواه أيضا عن عدلين كذلك الى أن يتصل الحديث عن هذا القانون برسول الله علي قال الحافظ أبو بكر محدين موسى الحازى في

منها . فاذا كان ذلك شأن الحديث وقد جهد فيه جامعوه الأولون ماجهدوا ، فما بالك

= كتابه «شروط الأعمة الحسه»: «لم يلتزم البخارى ان يخرج كل ماصح من الحديث، كا انه لم يخرج عن كل من صح حديثه ولم ينسب اليه شيء من جهات الجرح وهم خلق كثير يبلغ عددهم نيفا وثلاثين ألفا، لأن تاريخه (أى البخارى) يشتمل على نحو أر بعين ألفا وزيادة، وكتابه فى الضعفاء دون سبعائة نفس، ومن أخرج عنهم فى جامعه دون أففين وكذا لم يخرج كل ماصح من الحديث. ويشهد لصحة ذلك ماأخبرنا أبو الفضل ابن أحمد بن محمد أنبأنا ابن طلحة فى كتابه عن أى سعيد الماليني أنبأنا عبدالله بن عدى حدثنى محمد بن أحمد قال سمعت محمد بن حمدويه يقول سمعت محمد بن اساعيل (يعنى البحارى) يقول احفظ مائة ألف حديث صحيح واحفظ مائق ألف حديث غير صحيح واحفظ مائق ألف حديث غير عدى وأنبأنا أبو مسعود عبد الجليل بن محمد فى كتابه أنبأنا أبو على أحمد بن محمد بن شهر يار وأنبأنا أبو الفرج محمد بن عبد الله بن أحمد أنبأنا أبو بكر الاساعيلي قال سمعت من أنبأنا أبو الفرج عمد بن عبد الله بن أحمد أنبأنا أبو بكر الاساعيلي قال سمعت من الصحيح أكثر ي

فانظر ماقاله البخارى نفسه من أنه يحفظ مائة ألف حديث صحيح وأن ما تركه من الصحيح أكثر مما كتبه في كتابه، ثم انظر ماقاله هيكل باشا عن البخارى إنه لم يصحليه من الأحاديث المتداولة وهي سمّائة ألف إلا أر بعة آلاف، يقول هذا في مقدمة كتابه التي ادعى أنه كتبه على الطريقة العلمية فيسند إلى البخارى ماصر حهو بخلافه، أفهذا طريقته العلمية وقد كنت لما كنت في بلادى قرأت في كتاب أحد من كتاب الترك العصر بين أيضا حديث انتقاء أر بعة آلاف حديث للبخارى من سمّائة ألف مع استغلال هذا الانتقاء لأثارة الشهة ضد كتب الحديث ، فهذا الاتفاق بين كاتبين شرقيين يدل على اتعاد مأخذها وكون ذلك المأخذ كتب أعداء الاسلام المستشرقين فيكون معنى الطريقة العلمية التي ادعى مؤلف «حياة محمد» انباعها تبرير العدم اعتاده على كتب الحديث ، العلمية التي ادعى مؤلف «حياة محمد» انباعها تبرير العدم اعتاده على كتب الحديث ، من الأحاديث بما صح لدى البخارى من البخارى نفسه

## بما ورد في المتأخر من كتب السيرة، وكيف يستطاع الأخذ به دون التدقيق العلمي

= مقصود معاليه من إثارة الشكوك جهد ما يستطيعه ومالا يستطيعه في صحة كتب الحديث والسيرة ، تأييد ما ادعاه من عدم وجود معجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم غير القرآن ، باسقاط ما روى في كتب السيرة ثم ما روى منها في كتب الحديث ، عن حير الاعتداد متوسلا إلى هذا الاسقاط باسقاط تلك الكتب نفسها أوعلى الأقل بتنزيل ما فيها من الأحاديث الصحيحة منزلة النادر الذي هو في حكم المعدوم .

وعلى كل حال كان الواجب على معالى و زير المعارف بمصر لا سيا وهو مؤلف كتاب « حياة محمد » أن يعلم أن أحاديث نبينا الصحيحة الصادرة عنه مدة حياته بعد مبعثه لايمكن أن تنحصرعندالبخارى فيا ذكره في جامعه بله في بعض ما ذكر فيه كا ادعاه ولا أن يكون ممامو خير القرون ثم الذين ياونهم ثم الذين ياونهم مقصر بن نحو نبيم الى حد أنهم لم يضبطوا من أحاديثه إلا مقدار بعض ما في جامع البخارى أو أى داود.

ثم اذا فرصنا فرض المحال أن أحاديثه الضبوطة تنحصر فيذاك القدار كان الواجب على مؤلف « حياة محمد » أن يعلم أنه لا يخلو حتى ذلك القدر الضبوط من أحاديثه عما يكفي لاثبات أن له معجزات غير القرآن ، مع أن الأحاديث الصحيحة كثيرة جدا . قال صديقنا العالم الكبير الشيخ زاهد في تعليقاته القيمة على « شروط الأمّة الحسة » المارة الله كر : «قال الشيخ أبو بكر بن عقال الصقلى في فوائده على مارواه ابن بشكوال إنما لم يجمع الصحابة سنن رسول الله عليقة في مصحف كما جمعوا القرآن لأن السنن المتشرت وخفي محفوظها من مدخولها ، فوكل أهلها في نقلها إلى حفظهم ولم يوكلوا من القرآن الى مثل ذلك ، وألفاظ السنن غير محروسة من الزيادة والنقصان كما حرس الله كتابه ببديم النظم الذي أعجز الخلق عن الاتيان عثله، فكانوا في الذي جمعوه من القرآن مجتمعين، وفي حروف السنن ونقل نظم الكلام نصا مختلفين، فلم يصح تدوين ما اختلفوا فيه، ولو طمعوا في ضبط الشرآن لما قصر وا على ضبط القرآن لما قصر وا على المختلفوا فيه، ولو طمعوا في ضبط السنن كما اقتدروا على ضبط القرآن لما قصر وا

=في جمعها، ولكنهم خافوا إن دونوا مالا يتنازعون فيه أن تجعل العمدة في القول على المدون في كذبوا ما خرج عن الدبوان فتبطل سنن كثيرة ، فوسعوا طريق الطلب للأمة فاعتنوا بجمعها على قدر عناية كل واحد في نفسه ، فصارت السنن عندهم مضبوطة فمنها ما أصب في النقل حقيقة الألفاظ المحفوظة عن رسول الله على وهي السنن السالمة من العلل، ومنها ما حفظ معناها ونسى لفظها ، ومنها ما اختلفت الروايات في نقل ألفاظها واختلفت أيضا رواتها في الثقة والعدالة ، وهي تلك السنن التي تدخلها العلل فاعتبر صحيحها من سقيمها أهل العرفة بها على أصول صحيحة وأركان وثيقة لا يخلص اليها طعن طاعن ولا يوهنها كيد كائد . انتهى ما قاله أبو بكر بن عقال الصقلي .

ثم قال الشيخ زاهد: « ومما يلفت المه النظر أن الشمخين (بعني المخارى ومساما) لم يخرجا في الصحيحين شيئا من حديث الامام أبي حنيفة مع أنهما أدركا صغار أصحاب أصحابه وأخداً عنهم . ولم يخرجا أيضا من حديث الامام الشافعي مع أنهما لقيا بعض أصحابه ولا أخرج البخاري من حديث أحمد إلا حديثين : أحدها تعليقا، والآخر نازلا بواسطة معأنه أدركه ولازمه، ولا أخر جمسلم في صحيحه عن البخاري شيئا معأنه أدركه ولازمه ونسجعلىمنواله ولاعن أحمد إلا قدر ثلاثين حديثًا. ولا أخرج أحمد في مسنده عن مالك عن نافع بطريق الشافعي وهو أصحالطرق أو من أصحها، إلاأربعة أحاديث، وما رواه عن الشافعي بغير هذا الطريق لا يبلغ عشرين حديثًا مع انه جالس الشافعي وسمع موطأ مالك منه وعده من رواة القديم . والظاهر من دينهم وأمانتهم أن ذلكمن جهة أنهم كانوا برون أن أحاديث هؤلاء في مأمن من الضياع لكثرة أصحابهم القسائمين مروايتها شرقا وغربا ، وجل عناية أصحاب الدواوين بأناس من الرواة ربما كانت تضيع أحاديثهم لولا عنايتهم مها لأنه لا يستغي من بعدهم عن دواو يسهم في أحاديث هؤلاء دون هؤلاء . ومن ظن أن ذلك لتحاميم عن أحاديثهم أو لمعض ما في كتب الجرح والتعديل من الحكلام في هؤلاء الأثمة كقول الثوري في أبي حنيفة وقول ابن معين في الشافعي وقول الكرابيسيفي أحمد وقول الدهلي في البخاري ونحوها ــــ

= فقد حملهم شططا ... وأما ماقاله العلامة ابن خلدون في مقدمة تار يخه من أن أباحنيفة لتشدده في شروط الصحة لم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثًا ، فهفوة مكشوفةلايجوز أن يغــتر مها، لأن رواياته على تشدده في الصحة لم تـكن سبعة عشر حديثًا فحسب بل أحاديثه في سبعة عشر سفرا يسمى كل منها بمسند أبي حنيفة خرجها جماعة من الحفاظ وأهل العلم بالحديث بأسانيدهم اليه ما بين مقل منهم ومكثر حسمًا بلغهم من أحاديثه ، وقلما يوجد بين تلك الأسفار سفر أصغر من سنن الشافعي رواية الطحاوي، ولامن مسند الشافعي رواية أبي العباس الأصم اللذين علمهما مدار أحاديث الشافعي . وقد خدم أهل العلم تلك المسانيد جمعا وتلخيصا وتخريجا وقراءة ومهاعا و رواية ، فهذا الشيخ محدث الديار المصرية الحافظ محمد بن توسف الصالحي الشافعي صاحب الكتب الممتعة في السير وغيرها يروى تلك المسانيد السبعة عشر عن شميوخ له ما بين قراءة وسماع ومشافهة وكتابة بأسانيدهم الى مخرجها ، في كتابه « عقد الجان » وكذا برو مها بطرق محدث البلاد الشامية الحافظ شمس الدين بن طولون في « الفهرست الأوسط» وهما كانا زيني القطرين في القرن العاشر. وكتاب « عقود الجوهر المنيفة » للحافظ المرتضى الزييدي -شذرة من أحاديث الامام ، وللحافظ محمد عابد السندي كتاب : « المواهب اللطيفة على مسند أبي حنيفة » في أربع مجلدات أكثر فيه جدا من ذكر المتابعات والشواهد ورفع المرسل، ووصل المنقطع، و بيان مخرجي الأحاديث والسكلام في مسائل الخلاف. ومن ظن أن ثقات الرواة هم رواة الستة فقط فقد ظن باطلا . وقد جرد الحافظ العلامة قاسم ابن قطاو بغا الثقات من غير رجال الستة في مؤلف حافل يبلغ أر بع مجادات، وهو بمن أقر له الحافظ ابن حجر وغيره بالحفظ والاتقان »

فقد تبين مما تقدم لاسيا من النفلين القيمين الأخيرين أن الأحاديث الصحيحة ليست كما أوهمه معالى المؤلف أقل من القليل، بل على العكس أكثر من الكثير، وكما أن لكتاب الله حفاظا فلاسنة أيضا حفاظ حفظ الله بهم حكم قولا في كتابه «يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شي فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر» ولولم تكن السنة محفوظة بل ضائعة بعد وفاة =

= الرسول عَلَيْتُ لَضاع معها حَمَ هذه الآية فى غير شطرها الأول ، مع أن هذا الشطر أيضا محتاج فى الأكثر الى بيان السنة ، وضاع أيضا حَمَ قوله تعالى «من يطع الرسول فقد أطاع الله » ولا يجوز أن يكون وجوب طاعة الرسول مقصورا على المؤمنين الموجودين فى عصره . ولا ضرورة فى حمل الآية عليه بعد أن كانت سنة خاتم النبيين محفوظة بهمم رجال أرادوا بدافع حبهم لدين الاسلام أن تكون محفوظة و بذلوا فى حفظها جهودا تبهر العيون إلا عين من أراد إعدامها وقلب الأمور حتى عد دافع الحب الدين منقصة للحافظ!

وما أعجب عقلية الكتاب العصريين لارون في انفسهم وهم صفوة الشرق، ولافي كتاب الغرب وهم قادتهم ، معجزة فينسكرون معجزات الأنبياء ولا يرون في أنفسهم قدرة وحماسة فيحفظ أحاديث نبهم،ولا لتدقيق ماحفظ الحفاظ حتى ولا دافعا دينيا اليه فينكر ون صحة الأحاديث المحفوظة ، ويحطون من قيمة الدافع الديني ويعللون أنفسهم بدعوى الطريقة العامية في تأليف الكتب من غير دليل لهم على هذه الدعوى غير تقليد الغربيين . فان كان الغربيون المؤلفون في السيرة المحمدية يلتزمون الطريقة العامية وينتهجونها في تدقيق حياة محمد عالية حين لا ينتهجها أئمة الاسلام المحدّثون وكانت الطريقة العلمية توصل منتهجها الى الحق وكان معالى مؤلف «حياة محمــد» يعتقد بكون نبوة محمد حقا ، لزم أن يصدّق الغربيون أصحاب التأليف في السيرة المحمدية نبوة محمد مِرْكِيْم فيسلموا أو أن لا تسكون الطريقة التي سلكوها في تدقيق حيانه طريقة علمية أوأن لا تكون الطريقة العلمية تذهب بسالكها الى الحق والحقيقة. فلا مندوحة من أن تكون النتيجة النطقية للمقدمات الثلاثة المذكورة أحــد هذه الأمور الثلاثة ، ولا يمكن نقض هذا الانتاج المنطقي ولو حدث مائة ألف (موضة) من الطريقة العلمية يتمسك بها العصريون مستخفين بالمنطق القديم. نعم لا مندوحة من أحد الأمور الثلاثة الأولى التي ألزمناها أحــد الثلاثة الأخرى . وأجدر ما في تلك الثلاثة بالرجوع عنه هوكون طريقة الغربيين المؤلفين فيحياة سيدنا محمد مرايخ طريقة علمية أقوم من طريقة علماء الاسلام =

= فقد علم القارى سوء ظن معالى مؤلف «حياة محمد » بكتب الحديث ورواته ورميهم بالأغراض الدينية والسياسية، وفي مقابل ذلك حسن ظنه بالمؤلفين الغربيين لاتباعهم الطريقة العلمية ؛ وليسمع الآن باختصار ماذا يقول العالم الهندى مولانا شبلى النعانى مؤلف كتاب في الحياة النبوية قبيل كتاب معالى هيكل باشا ، بهذا الصدد وكف يبتدئ كتابه : [\*]

« إن أسمى الوظائف والواجبات وأعظم الأفعال في هذه الدنيا السعى لاصلاح و إكال الأخلاق الانسانية وآدابها . فواجب الانسان في هذه المهمة أولا أن يقتنع بفكرة صحيحة في القواعد الأساسية الفضائل الأخلاق والزهد والتقوى والشرف والكرامة والاريحية والمسامحة والعفو والصفح والعزم والصبر والتضحية والجد والهمة، ثم السعى لنشر هذه الفكرة في وجه الأرض وارساخها في الاذهان

« وطرق القيام بهذه الحدمة كثيرة كالوعظ للجماعات ، والقاء الخطب وتأليف الكتب القيمة ونشرها أو تحميل تلك الفضائل للناس بالقوة ومنعهم عن خلافها .

« لكن أفضل الطرق الى هذه الغاية وأنفعها إراءة موجود تاريخى يثبت كون تلك الأسس الأخلاقية والتلقينات الأدبية فعلية حقيقية، ويكون مثالا بحسما للفضائل لأن هذا الموجود التاريخى دليل قطعى لمتانة تلك الأسس وسموها وماهيتها الفعلية، فكل قول من أقوال هذه الشخصية التاريخية يكون أوقع في النفوس من ألف كتاب في الأخلاق وكل إشارة منها يكون مطاعا كالأم المبرم، وفي الأصل أن الأمثلة أحسن من الدسانير وأقرب الى الفهم .

« وكل الدنيا اليوم باعتبار ما فيها من الفضائل الأخلاقية مدين لأمثال هؤلاء القادة الروحانيين والشخصيات القدسيين أعنى أنبياء الله المبعوثين الى الناس فى أزمنة مختلفة وليس مساعى الدنيا غير تلك الفضائل الاطلاء لبنيان المدنية .

« بيد أنا نفهم مما علمنا من تاريخ العالم أن كل واحد من الشخصيات العالية التي هي مثل الاقتداء يمثل نوعا من الفضائل ويجسم صفحة من الكمال الخلق، فالمسيح = (\*) ترجم هذا الكتاب الى اللغة التركية وأنا عربت هذه الكلمة من تلك الترجمة .

عليه السلام يعلم الحلم والعفو والصبر والاحتمال والصلح والسلام والقناعة والتواضع لكن تعليمه هذا لا ينطوى على قواعد الأخلاق اللازمة للحكومة والادارة. وما علمه سيدنا موسى ونوح من نوع الفضائل والكالات لاينطوى على ماعلمه سيدناعيسي منها « فيظهر أن كل دور من أدوار التاريخ الانساني الحتلفة كان محتاجا الى واحدمن تلك الشخصيات المقدسة، وكانت حاجة ذاك الدور الحاصة به تقضى بذلك الواحد، ومع هذا كانت الانسانية منتظرة للانسان الكامل الذي ليس بملك فقط أو قائد فقط بل زاهد متق أيضا في الوقت نفسه، وزعيم عام وموجود متواضع مطيع لخالقه مشفق على الحلق كريم قنوع فقير، فهذا الانسان الكامل الجامع لكل موجودية إنسانية ذروة البشرية العليا وأكر موفقياتها.

« وكما أن كل شيء فى الدنيا فان فهذا الانسان الكامل أيضا ليس بخالد من حيث المادية، فلهذا يجب أن يسجل ماقاله وان ينقل من سلف الى خلف وان يثبت كل ناحية من سجاياه ويضبط كل عمل من أعماله ويروى بكل صدق و إخلاص، وأن تصور كل حالة من حالاته ومواقفه ، لأن كل واحد من ذلك منبع نور لارشاد البشر فى كل زمان وذخر هداية لادارة الناس فى كل واد من أودية الحياة

« ومن المصادفات الجديرة بالدقة والتأمل أن المعلومات التاريخية المتعلقة بمؤسسي الأديان السائرة صلوات الله وسلامه عليهم كلها ناقص، وفي هذا مشامهة لكون كل منهم ممثلا لبعض أقسام الفضائل الحلقية المختلفة فحسب ، فنحن لانعلم مشلا من وقائع حياة السيح الممتدة ١٠٠٠ سنة الا مايختص منها بثلاث سنين ، حتى ان هذا النقص الزائد في حياته المضبوطة حدا كثيرا من النصارى الى إنكار وجود سيدنا المسيح بالمرة . ويحن لانطاع على مجددى إيران الدينيين الا بشهنامة الشاعر الفردوسي . أما المرشدون الدينيون الذين ظهروا في الهند فتاريخهم منتقب بنقاب الأساطير . ومنبع المعلومات عن حياة سيدنا موسى الكليم هو التوراة التي جمعت بعد وفاته بثلاثمائة عام

« ور بما كان هذا النقص فى الماومات التاريخية عنهم حكم الطبيعة لأن تلقينات هؤلاء الأنبياء وأولئك المجددين والمرشدين لم تكن مما لابدمنه بالنسبة الىكل زمان =

فربما من أجل ذلك لم يخدتار يخهم بجميع تفاصيله، وانما حفظت أقسامه التي كان لازما
 أن تعلم وتحفظ ، وأكبر حاكم فى تعيين حاجات كل دور من أدوار الزمان هو الطبيعة
 فمتى أحست هى حاجة أى دور الى شيء فالله تعالى يعطيه من فضله

«ثم ان كل ملة وكل طائفة من معتنق الأديان تقدس دينها وتفضله على دين غيرها فلو وجهنا سؤالا عاما الى جميع أهل الأرض عمن له الموجودية الفائقة من بين مؤسسى الأديان فلا شك ان الأجو بة على هذا السؤال ترد مختلفة بعدد اختسلاف مرسليها فى الدين ، ولكن اذا زدنا تفصيلا وايضاحا فى لفظ السؤال فقلنا مثلا: منذا الذي ضبط جميع نصوص كتابه المنزل عليه ضبطا وثبت حرفيا بموفقية وصداقة لم تكونا من حظ الكتب المقدسة ؟ ومن ناحية أخرى قيد ونقل جميع وقائع حياته وجميع أفعاله وأقواله وأسفاره وأخلاقه وعاداته حتى شكل لباسه وصورة تلبسه وخطوط وجهه وكيفية تكلمه ومسيه وطرز معاشرته، وحتى أكله وشر به ونومه وتبسمه ومساعيه بجميع فروعه وتفاصيله ؟ فالجواب لابد ان يكون: محمد مؤلية هي المؤلية الله وتفاصيله ؟ فالجواب لابد ان يكون: محمد مؤلية هي المؤلية المؤلية والمؤلية وتفاصيله ؟ فالجواب لابد ان يكون : محمد مؤلية هي المؤلية المؤلية

لقد أحسن هذا الؤلف الفاضل في التنبيه الى امتيازه على على سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بل امتيازه على جميع مشاهير الدنيا وعظائه الله ينبين والدنيويين بضبط حياته وسيرته وحفظ أقواله وأفعاله ، وأحسن خصيصا في التنبيه على حكمة هذا الامتياز بكونه جمع كل نوع من أنواع الفضيلة وخصال العظمة لامختصا ببعضها ، وأنا أضيف اليه أن كونه خاتم النبيين يقتضي أن يكون جامع الفضائل ومتمم مكارم الأخلاق، وأن تكون تلك الفضائل الجامعة والمكارم الشاملة مأثورة عنه محفوظة ، اذ لايأتي بعده نبي آخر يتمها و يصلح مافسد منها . فيازم أن يكون نبينا عملي متازا على السلافها الكرام بجمع أسباب العظمة في نفسه وانتقال أنبائه وأحاديثه محفوظة بحفظ أسلافها الكرام بجمع أسباب العظمة ولا يقدر مافي الحودين فيا بين مبعثه وقيام الساعة . وليس في القرآن ذكر سيرته وسنته ولو بقدر مافي الحتب المقدسة القدية من أنباء الأنبياء الذين نزلت عليهم تلك الكتب ، فلزم ان تكون سنته محفوظة بحفظ مستقل كاحفظ كتابه، وقد كانت كذلك بفضل الله و بحمده ، فالآن وفي كل زمان من حق حاسلام عليه وقد كانت كذلك بفضل الله و بحمده ، فالآن وفي كل زمان من حق

= الاسلام ان يباهى جميع الأديان بحفظ كتابه وسنته ولمن دخلت فى الأحاديث موضوعات فها لبث عاماء الحديث ونقاده أن تعقبوها وتعرفوها وميزوها عن الصحيح الثابت. وليس فى الذين أثاروا الشك فى السنة من المستشرقين ومقلديهم من المسامين العصريين بحجة وجود الأحاديث الموضوعة ، أحد وجد حديثا موضوعا بتعقيب وتدقيق من عند نفسه غير ما وجده علماء الاسلام المتقدمون

ولا مغالاة أصلافى نفى من يساوى محمدا عَلَيْتُ أو يدانيه فى كون حياته بعدمبعثه الى وفاته ولاسها أحاديثه مع المناسبات الداعية الى ورودها ، مضبوطة مدونة . ولامحل لأن يقول قائل : كون حياته عَلِيْتُ بكل تفاصيلها موضع اعتناء وتدوين لم يقع مثلهما لأى أحد فى الدنيا مسلمه ، واعما الشهة فى صحة المعلومات المدونة والأحاديث المروية ، لامحل لهذا القول بناء على ان الاعتناء المنقطع النظير انما يؤيد صحة المدون الضبوط لاشبهة المشتهين فى صحته ، فسكلما زاد الاعتناء بالضبط ازداد احتمال صحة المضبوط قوة والشبهة فى صحته ضعفا . ولا نغالى أيضا اذا قلنا ان ضبط سنة نبى الاسلام أصح وأثبت من ضبط كتب أهل الكتاب

فقد أدى كال الاعتناء الاسلامي بحياة نبينا وتتبع أقواله وأفعاله الى الاعتناء بحياة المتبعين أنفسهم أعنى الرواة عنه، وليس فى الدنيا أحد عنى فى سبيل العناية به بكل من لقيه و بكل من روى شيئا، و بمن روى عمن روى عمن روى الح وألف فيهم الكتب في طبقات ابن سعد وطبقات ابن ما كولا، وكتاب الحجابة لابن السكن، وكتاب ابن جارود، وكتاب العقيلى، وكتاب ابن أبى حاتم الرازى، وكتاب الأزرق، وكتاب السولابى، وكتاب البغوى و «أسدالغابة» و «الاستيعاب» و «الاصابة» ثلاثة عشر ألف السولابى، وكتاب البغوى و «أسدالغابة» و «الاستيعاب» و «الاصابة فلان عثر الجهم، ودرس فى كتب أسهاء الرجال من التابعين و تبع التابعين حياة مائة ألف رجل على الأقل. وعلى تخمين العالم الالمانى « اشبره نكر » خمسائة ألف . فلا أغلى اذا قلت أيضا ان كيفية الاعتناء بحياة محمد على المعجزة من معجزات الاسلام الكن معالى هيكل باشا مؤلف « حياة محمد على الحد من قيمة هذا الاعتناء لكونه من منائى هيكل باشا مؤلف « حياة محمد » يحاول الحط من قيمة هذا الاعتناء لكونه من منائى هيكل باشا مؤلف « حياة محمد » يحاول الحط من قيمة هذا الاعتناء لكونه من منائرى المعجزات. قال العالم الالمانى المار الذكر فى مقدمة كتاب تولى تصحيحه عن منائم من منائرى المعجزات. قال العالم الالمانى المار الذكر فى مقدمة كتاب تولى تصحيحه عن منائم من منائرى المعجزات. قال العالم الالمانى المار الذكر فى مقدمة كتاب تولى تصحيحه عن منائم منائم المعجزات المال العالم الالمانى المار الذكر فى مقدمة كتاب تولى تصحيحه عنائم المنائم المائل المائي المار الذكر فى مقدمة كتاب تولى تصحيحه على المنائم المائم الالمائي المار الذكر فى مقدمة كتاب تولى تصحيح المنائم المائم ال

= وطبع في «كالكوتا» اسمه «صانه»: « ان الدنيالم تر ولن ترأمة مثل المسلمين، فقد درس بفضل علم الرجال الذي أوجدوه حياة نصف مليون رجل » كافى سيرة المؤلف الهندى المار الذكر، وكتابه أصحوا ثرى مراجع اسلامية أو غربية بما لايقاس عليه كتاب معالى هيكل باشا

كان كل هذا التوسع في تدقيق أحوال الرجال للاطلاع على منزلة رواة الأحاديث في الصدق والضبط والأمانة . قال المؤلف الفاضل الهندى : «وسائر الأمم كانوا اذا أرادوا تدوين تاريخ قوم قيدوا كل ماسمعوه عنهم حتى ماسمعوا في الشوارع، وكل رواية لا تساس لها من الصحة ، وليس لرواة تلك السموعات وجود حقيقي جدير بالاعتهاد فينتخب من تلك الروايات ماهو أنسب التخمين وأوفق القرائن المتعلقة بذلك العهد وتعتبر هذه المفتعلات بعد مدة تاريخا . فقد أنشأ كتاب أور وبا تاريخ الأورو بيين بهذا الشكل » والمطلوب الأول عند علماء الحديث أن يكون الراوى عمن له صلة بالحادثة التي رواها أو استطاع إراءة سلسلة الاسناد مبتدئة عمن روى الحادثة متصاعدة الى الراوى الأصلى و ينظر خلال ذلك في سجية كل من ذكر اسمه في سلسلة الاسناد وخلقه ومسلكه وعقله ودقته وقوة ذاكرته وأمانته وعلمه، ولم يكن من السهل الاحاطة بهذه الأحوال ، لكن المئات بل الألوف من الحدثين كرسوا جهودهم وأنفقوا أعمارهم في هذا السبيل فكانوا يسيحون في البلد و يلاقون الرواة و يفحصون أحوالهم و يتعلمون أحوالمن مات منهم من معارفه الأحياء ، فحصل من ذلك علم أساء الرجال و يتعلمون أحوالمن مات منهم من معارفه الأحياء ، فحصل من ذلك علم أساء الرجال

اما تأثير سياسة الحكومات فى رواية الاحاديث أو يوضعها فيتداركه التزام تزكية الرواة . على الاموية والعباسية كانتا من أكبر دول العالم فى عهدهما، وكان الامويون يسبون عليا وأولاد فاطمة رضى الله عنهم فى خطب الجمعة، ويختلقون أحاديث فى مدح معاوية رضى الله عنه وكذلك وضعت أحاديث فى زمن العباسيين تزلفا اليهم ، ومع هذا فلم يلبثان أعلن أعمة الحديث كونها زيوفا ولم يبق ثى منها حتى بقدرما بقى من الاحاديث التى وضعها الشيعة والتى لم تنج هى أيضا من تعقب المحدثين

« والواقع انالمنازعات السياسية التي حدثت بعد الصدر الأول من الاسلام أدت الى اختلاق كثير من الروايات والأحاديث تأييداً لها . فلم يكن الحديث قد دون الى عهد متأخر من عصر الأمويين، وقد أمر عمر بن عبدالعزيز بجمعه، ثم لم يجمع إلا في أيام الأمون بعد ان أصبح الحديث الصحيح في الحديث الكذب كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود على قول الدار قطني (١) ولعل الحديث لم يجمع في الصدر الأول مر. الاسلام لما كان يروى عن النبي آنه قال : «لانكتبوا عني شيئًا غير القرآن ومن كتب شيئًا غير القرآن فليمحه » على ان أحاديث النبي كانت متداولة على الألسن من يومئذ وكانت الروايات تختلف فيها. ولقد أراد عمرين الخطاب أثناء خلافته أن يتدارك الحال فىذلك بأن يكتبالسنن فاستفتى أصحاب النبي فى ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها فطفق عمر يستخير الله شيئا ثمأصبح يوما وقد عزم الله (أي خلق له أسباب العزم من القوة والصبر ) فقال : « انى كنت أريد أن أكتب السنن وانى والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا » وعدل عن كتابتها ، وكت في الأمصار عنها : « من كان عنده شيء فليه محه » وظات الأحاديث بعد ذلك تتوالد وتتداول حتى جمع ما صح لدى جامعيه منها في عيد الأمون (٢) » ص ٤٩ - ٥٠

<sup>(</sup>۱) قول الدارقطني هذا الذي هو تمثيل الموجود بالمعدوم شطط منه حيث يعدم الاحاديث بقوله هذا، وهو أي هذا القول أحق بالاعدام لتناقضه مع فعلم لكونه نفسه أيضا من جامعي الحديث والغريب ان الدارقطني من الحسمة المستدلين على مذهبهم السخيف ببعض الاحاديث وهو القائل في الله تعالى:

فلا تعجبوا انه قاعد ولا تعجبوا انه مقعد

أى يقعد من شاء الى يمينه ومنشاء الى ثماله . فيفهم ان الشعر الأبيض فى جلد الثور الأسود هو تلك الاحاديث الحقيقة لان تكون فى رأس الشعرات السوداء لتضمنها مالا يقبله العقل بشأن الله تعالى

<sup>(</sup>٢) لوكان مؤلف «حياة محمد» مشي على الطريقة العلمية كما يدعيه لماكتب

= هذه الكلمات ولم ينقل هذه الروايات مستدلا بها على عدم جو از الاعتماد على صحة الاحاديث المروية في كتب الحديث ، اذ لوكان النبي عَلِيُّكُم نهى عن كتابة أحاديثه وأم بمحو ماكتب أمرا ونهيا باتين لما حاول عمر من أول الامر أن يكتبها ولا استفتى الأصحاب في ذلك ولا أفتوا هـم بذلك . ثم لو كان عمر عاد أخـيرا الى العمل بقول النبي عَمْلُكُمْ ( من كان عنده شي فليمحه ) وكانوا هم محوا ماكتبوه لماكتب المحدثون بعدهم كتهم التي نراها مثل موطأ مالك ومسانيد أيى حنيفة والشافعي ومسند أحمد بنحنبل وصحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، فهل يقبل العقل ان الأمة كلهم حتى عمر والأصحاب خالفوا رسول الله عليه في ينتهوا بنهيه، وزادا لمحدثون فخالفوا اجماع الصحابة أيضا وأثبتوا مامحوا، بل لم يثبتوا الا زيوف مامحوا بعد ان ضاع الاصل بمحوهم. فهذا غاية في سوء الظن بكتب الحديث وعامائه من مؤلف «حياة محمد» ثم أن الماشي على الطريقة العامية في الكتابة يلزمه أن يفكر فما ذا قد يكون مراد النبي عَرَاقِيْهِ بالنهي عن كتابة أحاديثه والاعمر بمحو ما كتب منها ؟ فهل النبي رجم عن الأحاديث التي قالها ؟ أو كان لايريد أن تبتى أحاديثه بعده بل تنسي لكونه نفسه أيضًا شاكًا في صحتها كمؤلف « حياة محمد » ؟ أم يريد شيئًا آخر يأتلف مع العقل وان لم يأتلف مع مقصد المؤلف؟ وكان يلزمه أن يفكر أيضا كيف وصل اليه حديث الأمر يمحو الأحاديث المكتوبة ولم يمح مع الأحاديث؟ أليس هو أيضا حديثًا؟ أم يصل اليه -ما يحاوله ولا يصل الى الناس مالا محاوله ؟

كل هذه الأسئلة ترد على ناقل تلك الروايات الناهية عن كتابة الحديث نقلا يقصد به التشكيك في سحة الأحاديث الموجودة في كتب الحديث بجملتها. نعم هذه الروايات معلومة أيضا لائمة الحديث ومعترف بها على انها أساس مذهب بعض الاجلة ، فقد انقسمت آراء الأقدمين في المسألة على طرفين من الكتابة وعدمها، ولكل من الطرفين أدلة نقلية تمسكوا بها، ولم يذكر مؤلف «حياة محمد » مذهب القائلين بكتابة الحديث وأدلتهم وكاتبيه منذ عصرالني على في من الانتقاض وأدلتهم وكاتبيه منذ عصرالني على في ما في المنافقة على المنافقة قبل أن على هو دأب المؤلفين الغربيين، فتكون لهم عقلية مخصوصة في مسألة تاريخية قبل أن

= يكتبواكتابا يتعلقها، فيلتزمون تفسيرماصادفوه عند البحث في السألة على وجه يلائم عقليته القررة، ويكون هذا الالترام وهذا التفسير منهم طريقة عامية، وقد يجرهم الترامهم الى خطاما أخرى عظيمة فلا يجتنبون ارتكاما في سبيل الاصرار على عقليمهم ، وقد يصطدمون بما ينبهم على خطاياهم فلا ينتهون. ومؤلف « حياة محمد » كشها مقتنعا بفكرة يحسبها فكرة عامية وهي عسدم امكان المعجزات ومن أجل ذلك قال ان محمدا مَالِيُّهِ لامعجزة له غير القرآن . فإذا ذكر مافي كتب الحديث من معجزاته أنكر صحة مافى تلك الكتب فارتقى الامر من انكار المعجزات وانكار الأحاديث الواردة فها الى انكار الأحاديث مطلقا، وارتق من الانكار الثاني الى انكار كتابة الحديث عن النبي مُرَاتِهِم . فالطريقة العلمية أو بالأصح الطريقة المزعومية عامية أضلته السبيل وجرّت عليه جرائر . وتراه يكتب في كتابه عن النبي في خطبته التي ألقاها في حجة الوداع قوله (١): ﴿ وَقَدْ تَرَكُّتْ فَيْكُمُ مَاانَاعَتَصْمَتُمْ بِهِ فَلَنْ تَصْلُوا أَبِدًا أَمْرًا بِينَا كَتَابِالله وسنة رسوله ) وكيف يقول انه ترك في أمته سنته ليعتصموا بها مع كتاب الله وقد كان نهي عن كتابة السنة وأمر بمحو ماكتب منها ، فأين السنة وأين خطبة حجة الوداع ؛ لانها أيضا مقضى علمها بالمحو بناء على حديث ( من كتب مني غير القرآن فليمحه ) هذا دأب مؤلفي الغرب ينقلون من الروايات مايوافق عقليهم ويتركون ما يخالفها ، لكن مؤلفي الاسلام ولاسيما أمَّة الحديث الناقلين عن رسول الله لايستنكفون عن رواية الآثار التي لاتؤيد مااختاروه من المذهب مراعاة لشرط الأمانة . وأشد بما فعله مؤلف « حياة محمد » من التنويه بذكر الحديث الناهي عن كتابة الحديث فقط تاركا ذكر مايقابله من أحاديث أخرى ، وأعظم منه جرما ، أنه حرف مذهب المانعين عن كتابة الحديث الذي تمسك به كل التمسك ، عما أرادوه بمذهبهم هذا ، فقد اختلف في كتابة

وقد عقد الحافظ ابن عبد البر في كتابه « مختصر جامع بيان العلم وفضله» بابين=

الحديث وعدم كتابته ولكن لم يستخرج أحد من مذهب منع الكتابة عدم الاعتماد

على الاحاديث الموجودة في كتب الحديث

<sup>(</sup>١) ص ٤٧٤ «حياة محمد » الطبعة الثانية

= بصدد هذه المسألة عنوان أولهما «باب ذكر كراهية كتاب العلم وتخليده فى الكتب» والثانى «باب الرخصة فى كتاب العلم » فذكر فى الباب الأول حديثا رواه أبو سعيد الحدرى رضى الله عنده ان رسول الله عليه قال: ( لا تكتبوا عنى شبئا غير القرآن في معيد فمن كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه ) ثم قال: وعن أبى نضرة قات لأبى سعيد الحدرى ألا نكتب ما نسمع منك قال تريدون أن تجعلوها مصاحف إن نبيكم عليه كان يحدثنا فنحفظ فاحفظوا كاكنا نحفظ. وعن ابن وهب قال سمعت مالكا يحدثان عمر بن الحطاب أراد أن يكتب هذه الأحاديث أوكتبا ثم قال: « لاكتاب معكتاب الله» وقال وعن الوليد بن مسلم قال سمعت الاوزاعي يقول « كان هذا العلم شيئا شريفا اذا كان من أفواه الرجال يتسلاقونه و يتذا كرونه فلما صار فى الكتب ذهب نو ره وصار الى غير أهله » ثم قال المؤلف أعنى الحافظ ابن عبد البر: « من كره كتاب العلم كره لوجهين: أحدهما أن لا يتخذ مع القرآن كتاب يضاهى به، ولئلا يتكل الكاتب على ما يكتب فلا يحفظ فيقل الحفظ كا قال الحليل:

ليس بعلم ماحوي القمطر ما العلم الا ماحواه الصدر »

أقول و يحسن هنا تذكير مانقلناه سابقا عن «فرائد» ابن عقال الصقلی: « انحا لم يجمع الصحابة سنن رسول الله عليه في مصحف كا جمعوا القرآن لان السنن انتشرت وخفي محفوظها من مدخولها فوكل أهلها في نقلها الى حفظهم ولم يوكلوا من القرآن الى مثل ذلك، وألفاظ السنن غير محروسة كا حرس الله كتابه ببديع النظم الذي أعجز الحلق عن الانيان بمثله، فكانوا في الذين جمعوا من القرآن مجتمعين وفي حروف السنن ونقل نظم الكلام نصا مختلفين، فلم يصح تدوين مااختلفوا فيه، ولو طمعوا في ضبط السنن كا اقتدروا على ضبط القرآن لما قصر وافي جمعها ولكن خافوا ان دونوا مالا يتنازعون أن تجعل العمدة في القول على المدون فيكذ بوا ما خرج عن الديوان فتبطل سنن كثيرة فوسعوا طريق الطلب الامة فاعتنوا بجمعها على قدر عناية كل أحد في نفسه » وهو كلام حسن جدا

وقال الحافظ ابن عبد البرأيضا . « من ذكرنا قوله في هذا الباب فأنما ذهب =

= ف داك مذهب العرب لانهم كانوا مطبوعين على الحفظ محصوصين بذلك، والذين كرهوا الكتاب كابن عباس والشعبي وابن شهاب والنخعي وقتادة ومن ذهب مذهبهم وجبل جباتهم كانوا قد طبعوا على الحفظ فكان يجتزي بالسمعة، ألا ترى الى ما جاء عن ابن شهاب انه كان يقول الى لأمم بالبقيع فأسد آ ذاني مخافة أن يدخل فيها شي من الخنا، فوالله مادخل أذني شي قط فنسيته. وجاء عن الشعبي نحوه. وهؤلاء كلهم عرب وقد جاء عن ابن عباس حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة: « أمن آل نعم أنت غاد فمبكر » في سمعة واحدة فيها ذكروا وليس أحد اليوم على هذا ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم. وقد أرخص رسول الله علي اللهم ورخص فيه جماعة من العلماء وحمدوا ذلك ونحن ذاكروه بعد هذا ان شاء الله. وقد دخل على ابراهيم النخعي شي في حفظه لتركه الكتاب . وعن منصور قال كان ابراهيم يحذف الحديث، فقلت له ان سالم بن الجعد يتم الحديث قال ان سالم كتب وأنا لم أكتب (قال ابن عبد البر) فهذا النخعي مع كراهته الكتاب الحديث قد أقر بفضل الكتاب »

وقال في الباب الشانى: «عن أبى هريرة: لما فتحت مكة قام رسول الله عَلَيْتُهُ وخطب قال فقام رجل من البمن يقالله أبوشاة فقال يارسول الله اكتبوالى، فقال عَلَيْتُهُ (اكتبوا لأبيشاة) يعنى الحطبة. وعن عبدالله من عمرو قال كنت أكتب كل شيء تسمعه أمسمعه من رسول الله عَلِيْتُهُ أريد حفظه فهتنى قريش وقالوا أنكتب كل شيء تسمعه ورسول الله عَلِيْتُهُ يَتَكُم في الرضا والغضب فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله عَلِيْتُهُ فأوماً بأصبعه الى فيه وقال (اكتب فوالذى نفسى بيده مايخر به منه إلا حق) وعنه أيضا ماير غبنى في الحياة إلا خصلتان: الصادقة والوهط أما الصادفة فصحيفة كتبتها عن رسول الله عَلِيْتُهُ وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو من العاص فصحيفة كتبتها عن رسول الله عَلَيْتُهُ كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو من حزم وغيره . وعن أنس من مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قيدوا العلم بالكتاب)

«وفياب العلم من صحيح البخاري قول أبي هريرة. ليس في أصحاب رسول الله =

= عَلِيْكُ أَحداً عَلَمْ مَى بِأَحادِيثه إلا عبدالله بن عمرو بن العاص المارذ كره أسلم قبيل أبيه وكان هو وعلى وأنس ممن يكتبون الحديث. فني «تقييد العلم» للخطيب البغدادى أن الصحابة كانوا يجتمعون حول أنس ليستمعوا منه أحاديث رسول الله عَلِيْكُ وكان يخرج من جيبه صحيفة و يقول « هذه أحاديث سمعتها من رسول الله عَلِيْكُ فقيدتها »

« وعن اسحق بن منصور قال: قلت لأحمد بن حنبل من كره كمتابة العلم؛ قال كره قوم ورخص فيه آخرون قلت له لو لم يكتب العلم لندهب، قال نعم لولا كتابة العلم أىشىء كنا بحن. قال اسحق وسألت اسحق بن راهو يه فقال كاقال أحمد ».

وفى سيرة الفاضل الهندى المارة الذكر نقلا عن سنن أبى داود وابن ماجه «انه لمامات رسول الله عَلَيْتُهُم كانت هذه الوثائق حاضرة: الأحاديث التي كتبها عبد الله بن عمرو بن العاص وعلى وأنس ، العهود المكتو بة مثل صلح الحديبية ، الأوامر المرسلة الى القبائل المختلفة والرؤساء، أساء ألف و خسمائة صحابى. »

فقد انجلى من كل هذا انه كتب في عهد رسول الله على الله شيء كثير من أحاديثه ومالم يكتب منها بقيت محفوظة في الصدور الى ان جمعها أمّة الحديث في كتبهم. وعدم كتابتها أولاكان ناشئا من اهتام العرب بالحفظ أكثر من الكتابة فكأنهم كانوايعدون المكتوب عرضة للاهال وعدم الاهتام بالنسبة الى المحفوظ في صدورهم على عكس ما يتوهم. فمن استخرج من عدم كتابتهم الأحاديث اعتادا على حفظهم عدم صحة الاعتاد على ما كتبه جامعو الصحاح بعد زمان مما وصل الهم من محفوظات الرواة واعتباره مكتوبا من غير أساس صحيح كافعله مؤلف «حياة محمد» ، كان كن استخرج من اعتاد الحفاظ على حفظهم معنى عدم الاعتاد وقلب نفس الأمرالي عكسه

بل نقول: وقبل ان جمع الأحاديث جامعوها مثل البخارى ومسلم وغيرهما قام أثمتنا المجتهدون مثل أبى حنيفة ومالك والشافعي وأصحابهم بتدوين علم الفقه الذي هوأيضا من معجزات الاسلام الحاصة به فدو تت السنة أيضا في ضمن هذا العمل العظيم قبل تدوين المحدثين فازدوجت المعجزتان وكتب الحاود للسنى وكان هدا مساعدة كبيرة متقدمة لعلم الحديث و فقل رواته، ألا يرى أن عمل امام معروف من أثمة الفقه بحديث من الأحاديث يعتبر مؤيدا لدرجته من الصحة =

« ومع ما أبداه جامعو الحديث من حرص على الدقة لاريب فيه فقد جرح بعض العلماء كثيرا من الأحاديث أثبتها جامعوها على انها صحيحة . قال النووى فى شرح مسلم : « قد استدرك جاعة على البخارى ومسلم أحاديث أخلا بشرطهما فيها ونزلت عن درجة ما النزماه (۱) ذلك ان الجامعين قد جعلوا مقياس السند والثقة بالرواية أساسهم فى قبول الحديث ورفضه، وهو مقياس له قيمته لكنه وحده غيركاف، وعندنا انخبر مقياس يقاس به الحديث ويقاس به سائر الأنباء التى ذكرت عن النبي ماروى عنه عليه السلام انه قال : « انكم ستختلفون من بعدى فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله وما خالفه فايس عنى (۲) » وهذا مقياس دقيق أخذ به أعمة المسلمين منذا العصور

= بق أنه لاير دعلينا وعلى الحافظ ابن عبدالبر الذى نقلنا شيئا من كتابه عندما ادعينا اهتمام العرب بالمحفوظ أكثر من المكتوب ، الاعتراض بالقرآن، لأنه مكنوب ومحفوظ معاء الكن الحديث لمما لم يكن في مرتبة القرآن لزم إما أن يكون مكتوبا فقط أو محفوظا فقط ، فمن فضل الكتابة فظر الى أنها أبق ومن فضل الحفظ نظر الى انه أدعى الى الاهتمام وان زيادة الاهتمام كفيلة بالبقاء أيضا . وهذا قمام تحقيق المقام

(۱) قد عرفت مما سبق ان النزول عن درجة ماالتزماه ليس نزولا عن درجة الصحة الى درجة عدم الصحة كما أوهمه أسلوب كلام معاليه واغدامعناه النزول عن أعلى درجات الصحة ، بل النازل عن درجة الصحة مطلقا في اصطلاح الحديث يكون حديثا حسنا والنازل عن درجة الحسن يكون حديثا ضعيفا، والحديث الموضوع أوالحديث المنكر غير ذلك ثم ان ماا تنقد على البخارى ومسلم اللذين جمعا في صحيحهما ما يقرب من عشرة آلاف حديث مئتان وعشرة أحاديث فقد اشتركا في اثنين وثلاثين منها واختص البخارى بثمان وسبعين ومسلم بمائة ، وليس مئتان وعشرة من عشرة آلاف بكثيرمع ان الانتقاد على البخارى ومسلم في تلك الأحاديث قد كان على انها غير مستجمعة لشر وطهما لأنها أحاديث غر صحيحة

<sup>(</sup>٢) هذا الحديث موضوع قال عبدالرحمن المهدى: الزنادقة والخوارج وضعوا --

## الأولى وما زال المفكرون منهم يأخذون به الى يومنا الحاضر (١) »

= حديث « ماأتا كم عنى فاعرضوه على كتاب الله النح » وكذلك قال يحيى بن معين: « ان هذا الحديث موضوع وضعته الزنادقة » والعجب من معالى الباشا يرمى الأحاديث الصحيحة بشهة الوضع ثم ينتق حديثا موضوعا لاثبات مدعاه فى رمى الاحاديث، ومعناه ان ظنه بالزنادقة أحسن من ظنه بأغة الحديث. وهما زاد فى الغرابة أنه لوعرض هذا الحديث الذى تمسك به على القرآن لخالف ماورد فيه من أمر الله باتباع رسوله فيا آتاه مطلقا غير مقيد بعرضه على القرآن: قال تعالى (وما آتا كم الرسول فخذوه ومانها كم عنه فانتهوا)

(١) معالى هيكل باشا يظن أن أهــل الحديث لم يراعوا ماذ كره مقياسا لقبول الحديث أو رفضه من موافقة القرآن أومخالفته ،فقد راعوه في حدود معقولة وغير محتاجة الى بنائه على حديث وضنعته الزنادقة وأعجب معاليه لتوافقه مع غرضه ، و راعوا معه شروطا تتعلق بروابة الحمديث وشروطا تتعلق بدرايته والمقياس الذي ذكره داخل في شروط الدراية وليس مقياس القيول والرفض منحصرا فيه يا معه شروط أخرى درائمة وشروط أخرى روائية . ومعاليه لايعير اهتماما بشروط الروانة التي هي أول مايجب على جامعي الأحاديث مراعاتها كا لايهتم بها مؤ رخو الغرب عشر معشار اهتهام المحدثين، مع أن علم الحديث كالتاريخ من العلوم النقلية التي يلزم أن تكون صحة النقلهي أول مايطلب كونه مضمونا فها . أما ناحمة الدراية فلا يكون لها المنزل الأول مهما كانت أهميتها و إلا انقلبت العلوم النقلية علوما عقلية . ثم ان النظر في الناحية العقلية من اختصاص المجتهد أكثر من المحدث الذي موقفه موقف الصيدلاني من الطبيب وان العقول متفاوَّنة ، فلعل الحديث الذي لاينفق مع عقل امرى ويرفضه رغم أمانة الراوي يتقق مع عقول آخرين أبعد منه نظرا وأقومةهما . والحديث المشهور : (نضرالله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كاسمعها فرب مبلغ أوعى من سامع) يشير الى هذه الدقيقة المهمة . فهذا الحديث الجليل بدل المحدث على أهدى سدل =

وقال أيضا: « وحق أن المسلمين قد بلغ اختلافهم بعد وفاة النبي حدا دعا الدعاة الى اختلاق الآلاف المؤلفة من الأحاديث والروايات، ومنذ قتل لؤلؤة بن المفيرة عمر بن الخطاب، ومنذ تولى عثمان بن عفان الخلافة بدأت الخصومة التي كانت بين بني هاشم وبين بني أمية قبل رسالة النبي العربي فظهرت من جديد. فاما قتل عثمان وقامت الحرب الأهاية بين المسلمين وخاصمت عائشة عليا وأيد عليا من أيده بدأت الأحاديث الموضوعة تكثر الى حد أنكره على بن أبي طالب حتى روى عنه انه قال «ماعنداً كتاب نقرؤه

= وفي إمكانى أن أوضح هذه الدقيقة بمثال لاأحتاج الى استحضاره من بعيد: فلو فرضنا كون معالى هيكل باشا من المحدثين واعتبرنا مخالفة القرآن مقياسا لرفض الحديث كا اعتبره هو ، كان كل حديث ورد في معجزات نبينا محمد علي غير القرآن مم موفوضا عنده بناء على أن القرآن يمنع في زعمه وجود معجزة لنبينا غير معجزة القرآن حتى ان هذا الزعم هو الذي حداه الى تفضيل هذا المقياس على غيره مع أن كون القرآن عنع وجود معجزة لنبينا غير معجزة القرآن فكرة خاطئة استولت على عقل الباشا تقليدا منه لدعوى المستشرقين التي سنبطلها إن شاء الله . فهذا المقياس الذي له قيمة الى حد ماء لم تصل بهذا المحدث الى نتيجة سالمة عن الحلأ الكونه مقياسا عقليا يختلف باختلاف عقل القائس قوة وضعفا .

ثم ان كون مخالفة القرآن مقياسا لرفض الحديث لايستقيم في جميع الأوقات إذيكن أن يكون الحديث الخالف قطعى الثبوت ومتأخر الورود عن القرآن الذي يخالفه فيكون ناسخا للقرآن كحديث (إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث) هذا مثال للسنة القولية الناسخة للقرآن، ورجم الزاني المحصن والزانية المحصنة المعدود من الحدود الشرعية المعنى باقامتها في الاسلام على طول تاريخه ، ثابت بالسنة المشهورة الفعلية فإن النبي عليق رجم ماعزا وغيره، و بها نسخت آية الزنا في القرآن القائلة (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ) في حق المحصن والمحصنة . وهذه المسائل =

عليكم إلا مافي القرآن » وما في هذه الصحيفة أخذتها من رسول الله عليه في فيها فرائض الصدقة (١) «على ان ذلك لم يقفرواة الحديث عن روايته ، ولم يقف قوما عن وضع الحديث لهوى يدءون اليه أو الفضائل يزعمون ان الناس أحرص على اتباعها حين ينسب الى رسول الله حديثها ... » ٥٠ – ١٥

« وقد كثرت هذه الأحاديث الموضوعة كثرة راعت المسلمين لمنافاة الكثير منها لما في كتاب الله، ولم تنجح المحاولات التي بذات لوقفها في زمن الأمويين فلما كانت الدولة العباسية وجاء المأمون بعد قرابة قرنين من وفاة النبي كان قد أذيع من هدف الأحاديث الموضوعة عشرات الألوف ومئاتها، وكان بينها من التضارب وفيها من التفاوت مالا يخطر بالبال . اذ ذاك قام الجامعون بجمع الحديث وتولى كتاب السيرة كتابها فقد عاش الواقدي وان هشام والمدائني وكتبوا كتبهم أيام المأمون وما كان لهم ولا لغيرهم أن ينازعوا الخليفة في آرائه مخافة ما يحل بهم (٢) لذلك لم يطبقوا بما يجب

<sup>=</sup> التى لايعرفهامعالى هيكل باشا ، وربما يتعجب منها لكونه لايقيم للسنة وزنا تستحق به أن تصح فى نفسها بله أن تكون ناسخة للقرآن ، هذه المسائل أيضا مما ينبئ عن الأهمية الراجحة لناحية الرواية فى الحديث كما ذكرنا من قبل . ثم إن لمعالى الباشا مسلكاعجيبا فى فهم معنى موافقة الحديث ومخالفته للقرآن سيطلع عليه القراء

<sup>(</sup>١) لماذا لم يمح على رضى الله عنه الصحيفة التي كتب فيها ماأخذه عن رسول الله على الله على من فرائض الصدقة بناء على الحديث الموضوع الذي تحديث به معاليه وعدممن أسباب عدم اعتاده على الأحاديث المجموعة في كتب الحديث وهو: (لات كتبوا عني شيئا غيرالقرآن ومن كتب شيئا غيرالقرآن فليمحه ) ؟

<sup>(</sup>٢) من المعروف عن المأمون وأخيم المعتصم انهما كانا يقولان بخلق القرآن ويرهقان العاماءعلى القولبه حتى إنهما كانا يعاقبان من خالفهما منهم في ذلك ومحنة الامام أحمد في عهديهما من أجلهذه المسألة أشهر من أن تذكر . فيلزم بالنظر الى إدعاءمعالى المباشأ أن تكون كتب الحديث للسيما وقد كتبت في أيام المأمون مشحونة بأحاديث في

موضوعة تعضد مذهبه ، مع أنه لا يوجد حديث واحد ينطق بخلق القرآن وان وجد ما ينطق بأنه غير محلوق . فمعاليه يدعى أنه ما كان العاماء ان ينازعوا الحليفة في آرائه عافة ما يحل بهم ، والواقع يشهد بأنهم نازعوه وانهم لم يخافوا ما يحل بهم . ومعاليه يدعى أن في كتب الحديث آلافا مؤلفة بل عشرات الألوف ومئاتها من الأحاديث الموضوعة على وفق أهواء الحلفاء الأمويين والعباسيين الشديدى البطش، وليس فيها أحاديث من ذاك القبيل وإن كان هناك أحاديث موضوعة في مواضيع أخرى ماخفيت عن أنظار المحدثين النقاد ، وفي حادثة المتوكل مع ابن السكيت لماطلب المتوكل منه المفاضلة بين إبنيه و بين الحسن والحسين رضى الله عنهما فأجاب بأن قنبرا خادم على أفضل من إبني المتوكل فقتله في الحال حدايل على عكس ماادعاه معاليه

ومن أمشاة شجاعة العماء الجبارة الجديرة بالذكرهنا ما كتبه صديقنا الأستاذ الكبير الشيخ محمد الخضر حسين في مجلة « الهداية الاسلامية » الغراء من إن عبد اللك ابن مروان رأى ان يدعو الناس الى مبايعة ابنيه الوليد وسليان بولاية العهد، وكتب فيما كتب الى والى المدينة هشام بن اسماعيل أن يدعو أهل المدينة الى هذه المبايعة ففعل وأطبق أهل المدينة على البيعة الا سعيد بن المسيب فانه امتنع بعلة ان النبي على منهم عن بيعتين . فكتب هشام الى عبد الملك يخبره بأن أهل المدينة بايعوا قاطبة ولم يأب منهم إلا سعيد بن المسيب ، فكتب عبد الملك إلى هشام بأن يأم سعيدا بالمبايعة فان أمر على عدم المبايعة جلده خمسين سوطا وطيف به فى أسواق المدينة

وصل كتاب عبد الملك إلى هشام واتصل بهشام ثلاثة من أصدقاء سعيد وهم سلمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبدالله ، فأخبرهم هشام بما أمر به في شأن سعيد ، والظاهر أن هشاما لم يطلعهم إلا على ماأمر به عبد الملك من عرض سعيد على السيف ان امتنع من البيعة ، ولم يذكر لهم ماجاء في الخطاب من ترك قتلهاذا أصر على رأيه واستبدال الجلد بالقتل ، ارتاع الفقهاء الثلاثة لهذا الحبر وخشوا أن يصمم السعيد على عدم المبايعة ، فيناله عقاب القتل ، فأخذوا يدبر ون وجها لتخليص سعيد من هذه =

= الورطة متى صمم على عدم البيعة حتى وصاوا الى تدبير عرضوه على الوالى فقبله، وكانوا يظنون ان مادبروه من الوجوه لانقاذ سعيد سيجد من سعيد لينا وقبولا حسنا

لذلك ذهب الفقهاء الثلاثة الى سعيد وقالوا جئناك فى أمرعظم: ان عبدالملك كتبالى الوالى يأمره بأن يعرض عليك البابعة فان لم تفعل ضرب عنقك ، ونحن نعرض عليك خصالا ثلاثا فأعطنا إحداهن وهى :

أن يقرأ عليك الكتاب فنسكت ولا تقول لا ولا نعم ، فيكتفي الوالى منك بهذا السكوت فتمضى على ماصممت عليه من عدم المبايعة وتدرأ عن نفسك عقوبة القتل سعيد : ماأنا بفاعل

الفقهاء الثلاثة: تجلس في بيتك ولاتخرج الى الصلاة أياما فيعتمد الوالى في عدم إنفاذ أمرعبدالملك على أنه قدطلبك من مجلسك فلم يجدك

سعيد: افعل هذا وأنا أسمع الأذان فوق أذنى : حىعلىالصلاة ؟! ماأنا بفاعل الفقهاءالثلاثة : انتقل من مجلسك بالمسجد الى مكان غـيره ، فان الوالى يطلبك ف مجلسك فان لم يجدك أمسك عنك

سعيد: أفرقا من مخلوق ؟ ماأنا بمتقدم شبرا ولا متأخر . ولما رأى الفقهاء صلابة سعيد وأيسوا من قبوله إحدى الخصال التي عرضوها عليمه خرجوا والأسف علىسفك ذم سعيد يملأ صدو رهم

وما كان من سعيد إلا أنه خرج الى صلاة الظهر وجلس في مجلسه الذى اعتاد الجاوس فيه من قبل ولم يكن من الوالى إلاأنه بعث اليه فأتى به، فقال له: ان أمير المؤمنين كتب يأمر إن لم تبايع ضر بنا عنقك

سعيد: نهىرسولالله عليه عن بيعتين

هشام: اخرجوا سعيدا الى الشدة ومدوا عنقه وساوا عليه السيوف ففعاوا وسعيد مصر على عدم البيعة

 من الدقة ، هذا المقياس الذي روى عن النبي عليه السلام من وجوب عرض مايروى عنه على القرآن، فما وافق القرآن فعن الرسول، وما خالفه فليسعنه .. (١) وقد ورث المتأخرون عن السلف هذه الطريقة في كتابة السيرة لاعتبارات غير اعتباراتهم . ولو انهم أنصفوا التاريخ لطبقوا الحديث على سيرة النبي العربي في جماتها وفي تفصيلهادون استثناء لأي نبأ روى عنها لايتفق وما ورد في القرآن الكريم (٢) فما لم يكن مما تجرى به سنة الكون ولم يرد ذكره في كتاب الله لم يثبتوه، وما كان مما تجرى به سنة

أقول: فكان مافعله سعيد بن المسيب كاقال فضيلة الاستاذ كاتب المقالة في عنوان مقالته « مثلا أعلى لشجاعة العاماء » وكان مافعله عبد الملك وواليه مثلا أعلى لسخافة الملوك وعمالهم . ومعالى الدكتور هيكل الذي لا يرجو من عاماء عهد الأمويين والعباسيين عهد تدوين الأحاديث النبوية غير الماشاة لأهواء الزمان وحكامه ، أعايقيس أولئك العاماء بمشايخ الأزهر الذين شجعوه على تأليف كتابه في السيرة مسيئا ظنه بروايات السيرة والحديث، والذين أثنواعلى هذا الكتاب أو دافعواعنه

- (۱) يعقل الى حد مااشتراط عدم المخالفة للقرآن فى قبول الحديثولكن اشتراط موافقته للقرآن لايترك للسنة مكانا مستقلا بين الأدلة الشرعية بل يجعلها مستغنى عنها لاسيا اذا أريد بموافقة الحديث للقرآن ورود ذكر ماورد فى الحديث، فى القرآن كا فسرها بعد أسطر من كلامه
- (٢) أطال المؤلف الكلام في وجوب اتخاذ الموافقة القرآن أو مخالفته مقياسا لقبول الحديث أو رفضه على الرغم من كون هدذا الوجوب المزعوم مبنيا على حديث موضوع عالف القرآن، وقد نبهنا من قبل على ان عدم الاتفاق مع القرآن الايوجب رفض الحديث مطلقا اذ قد يكون الحديث المخالف ناسخا القرآن وقد تكون مخالفة الحديث المقرآن في زعم الزاعم المفينفس الأمر، والعجب أن أحاديث المعجزات التي أراد معالى المؤلف رفضها وأثار في سبيل رفضها الشبهة في صحة ما كتب في كتب الحديث مطلقا، من هذا القبيل كما ستعلمه

الكون محصوه ثم أثبتوا منه ماثبتاديهم بالدليل اليقيني،وتركوا منه ما لم يقم الدليل عليه (١) ٥١ — ٥٢

« وأكبر ظنى ان الذين كتبوا السيرة كانوا يؤثرون هذا الرأى لولا أحوال المصر أيام المتقده بن ، ولولا أن ظن المتأخرون ان فى ذكر مالم يرد به القرآن من خوارق ومعجزات ما يزيد الناس إيمانا على إيمانهم ؟ لذلك حسبوا ان ذكر هذه المعجزات ينفع ولا يضر، ولو أنهم عاشوا الى زماننا ورأوا كيف اتخذ خصوم الاسلام ماذكروه منها حجة على الاسلام وعلى أهله لالتزموا ماجاء به القرآن (٢)، ولقالوا بما قال به الغزالى ومحمد عبده والمراغى وسائر المدققين من الأئمة (٦)، ولو انهم عاشوا فى زماننا هذا ورأوا كيف تزيغ هذه الروايات قلوبا وعقائد بدل أن تزيدها إيمانا وتثبيتا لكفاهم ذكر مافى كتاب الله من آيات بينات وحجج دامغة (١) ٣٥

<sup>(</sup>۱) اشترط في صحة الحديث هنا موافقته لسنة الكون زيادة على شرط موافقته للقرآن وهذا الشرط الزائدهو أساس الشرط الآخر عنده بل أساس الداء الذي جرعليه ماأحصيناه من جرائر الأخطاء

<sup>(</sup>۲) لا يجوز رفض ماورد فى السنة من سيرة نبينا عَلَيْكُم بمجرد أنه لم يرد به القرآن ولابمجرد أن خصوم الاسلام انخذوه حجة على الاسلام وعلى أهله وانما ينظراني كونه حجة علمهما فى نفس الأمر، وستتضعلك حقيقة هذه المسألة إن شاءالله

<sup>(</sup>٣) ذكر المؤلف من ذكرهم من الأئمة الثلاثة المدققين على ترتيب أزمنتهم لا على أن مجمد عبده يقل عن الغزالى والمراغى يقل عنهما فى الامامة والتدقيق . وأنا لاأدرى كيف يكون للغزالى رأى فى مقياس قبول الحديث أو رفضه يتفق معرأى معالى هيكل باشا أومع رأى من يتفق معه من الامامين ، فى نفى معجزات نبينا غير القرآن وفى عدم الاعتماد على كتب السيرة وكتب الحديث التي كتبت فيها أحاديث المعجزات وفى مخالفة تلك الاحادث للقرآن

<sup>(</sup>٤) لناكلام فما سيأتى ان شاء الله على هذه النقاط

« اما ومضرة الروايات التي لا يقرها العقل والدلم قد أصبحت واضحة ملموسة فمن الحق على كل من يعرض لهذه الأمور أن يراعى جانب الدقة العلمية في تمحيصها خدمة للحق وخدمة للاسلام ولتاريخ الذي العربي ...

« ولو اننا عرضنا كثيرا من الأمور التي ترويها كتب السيرة وكتب الحديث على مافي القرآن لما وسمنا الا أن نأخذ برأى الأئمة المدقةين ، فقد كان أهل مكم يطلبون الى النبي أن يجرى ربه على يديه المعجزات اذا أرادهم أن يصدقوه ، فنزل القرآن يذكر ماطلبوا ويدفعه مججج مختلفة . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَوْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرُ لِنَا مِنْ الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نحيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفحيراً . أو أوتسقط السهاء كما زعمت علينا كسفا أوتأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السهاء ولن نؤمن لرقيّك حتى ننزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هلكنت إلا بشرا رسولا ) وقال تمالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لأن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انمــا الآيات عند الله ومايشعركم أنها اذا جاءت لايؤمنون. ونقلب أفتدتهم وأبصارهم كما لميؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طفيانهم يعمهون. ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ) ولم يرد فى كتاب الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة على اختلاف عصورهم برسالة محمد الا القرآن الكريم (١) هذا مغ أنه ذكر المعجزات التي جرت باذن الله على أيدى من ســبق محمدا من الرســل كما انه

<sup>(</sup>١) لم يحسن معاليه التعبير عماحاول إفادته هنا فاستعمل « الارادة في محل الأمر والتكليف ، إذ لوكان الله أراد بمعجزة القرآن أن يؤمن الناسكافة برسالة محمد عَلَيْقَهُ لا يَمْنُوا ولم يبق على وجه البسيطة أحد إلا وقدأسلم . ولعله لا يعرف أن ارادة الله تستلزم وقوع ماأراده من غير أدنى تخلف، ولا السكلمة المأثورة المشهورة : ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا إجماع انسامين عليها

جرىبالكثير مما أفاء الله على محمد، وما وجهاليه الخطاب فيه، وما ورد فى الكتاب عن النبي العربي لايخالف سنة الكون فى شيء (١) ص ٥٥

« اما وذلك ما يجرى به كتاب الله، وما يقتضيه حديث رسول الله ( يمنى القول الله كورالموضوع) فأى داع دعا طائفة من المسلمين فيا مضى ويدعو طائفة منهم اليوم الى اثبات خوارق مادية للنبى العربى ؟ انما دعاهم الى ذلك أنهم تلوا ماجاء فى القرآن عن معجزات من سبق محمدا من الرسل فاعتقدوا ان هذا النوع من الخوارق المادية لازم لكمال الرسالة فصدقوا ماروى منها (٢) وان لم يرد فى القرآن (٢) وظنوا انه كما ازداد

<sup>(</sup>١) فيه امتداح معجزة نبينا محمد عليه بأنهالاتخالف سنة الكون كما إن فيه شيئا من انتقاص معجزات غيره من الأنبياء عليهم السلام بأنها تخالف سنة الكون

<sup>(</sup>٢) فيه تصديق المعجزات الكونية للانبياء الماضين، وتكذيب معجزات نبينا الكونية وتكذيب رواتها المسلمين وهو يتضمن عارا ان لميكن على نبينا فعلى أمته . ومعاليه متوهم فى كل ذلك

<sup>(</sup>٣) عدم و روده في القرآن لا يوجب عدم وروده في الحديث ، وهو يصر على توهم التلازم بين الأمرين وعلى عدم التمييز بين المخالفة للقرآن و بين عدم الورود فيه ، ومن البين أنه لولم يقبل مماورد في كتب الحديث والسيرة إلا ماورد مشله في القرآن لدين المجان نبينا محمد علي الذي هو أشهر رجل في تاريخ الدنيا وأكثره من ناحية العلم والضبط بحياته ، من أقل الرجال في ذلك لأن القرآن لا يتضمن من أنباء حياته غير القليل إلا أن القرآن ملا هذا الفراغ باعتنائه بسنة الرسول قائلا (وما آتا كم الرسول خذوه وما نها كم عنه فا نتهوا) وقائلا (وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحي) وقائلا (وأنز لنا عليك الكتاب لتبين لاناس مانزل اليم ولعلهم يتفكرون) وقوله تعالى (فاذا وأنز لنا عليك الكتاب لتبين لاناس مانزل اليم ولعلهم يتفكرون) وقوله تعلى (فاذا وأنولا الثقة بالسنة التي هي مبينة لجملات القرآن ومتممته من هذه الحيثية على الأقل أولولا الثقة بالسنة التي هي مبينة لحملات القرآن ومتممته من هذه الحيثية على السنة في المنت رسالة القرآن \_ بالتعبير الحديث \_ مختلة غير مؤداة حق الأداء . فضياع السنة في

عددها كانت أدل على هذا الكمال وأدعى الى أن يزداد الناس بالرسالة إيمانا . ومقارنة النبى العربى بمن سبقه من الرسل مقارنة مع الفارق فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو مع ذلك أول رسول بعثه الله للناس كافة ولم يبعث الى قومه وحدهم ليبين لهم ، لذلك أراد أن تكون ممجزة محمد انسانية (۱) عقلية لا يستطيع الإنس والجن الاتيان بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، هذه المعجزة هى القرآن وهى أكبر المعجزات التى أذن الله بها (۲) وقد أراد جل شأنه منها أن تثبت رسالة نبيه بالحجة البينة والدليل الدامغ سلطانه ٥٤ - ٥٠

« ولو أراد الله أن تكون المعجزة المادية وسيلة الى اقتناع من نزل الاسلام على رسوله بينهم لكانت ولذكرها في كتابه لكن من الناس من لا يصدقون الا ما يقره المقل » (٢) ٥٥

قرون الاسلام الأولى ضياع القرآن في الجلة ، ووعدالله تعالى بحفظ القرآن في قوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) يتضمن وعده بحفظ السنة أيضا. فأين تذهبون أيها المدعون ضياع السنة الصحيحة التي وعد الله حفظها في ضمن حفظ القرآن

<sup>(</sup>١) مامعني كون بعض العجرات انسانيا و بعضها غير إنساني ؟ سنتكام عليه

<sup>(</sup>۲) لاشك ان القرآن أفضل المعجزات ولكن اذا كان لنبينا معجزات أخرى مع القرآن ولم يكن جميع كتب الحديث والسيرة كاذبة وانما الكذب في دعوى كون أصحاب تلك الكتب تلوا ماجاء في القرآن من معجزات من سبق محمدا على فاختلقوا معجزات له تقليدا لمعجزاتهم وافتراء على الله ورسوله ، ولم يكن التقليد منهم بل من معلى مؤلف «حياة محمد» لأعداء الاسلام الفترين الكذب على كتب السيرة والحديث ... إذا كان الواقع في نفس الأمر كذلك فهل يكون حقا علينا ان ننفي تلك المعجزات مراعاة لحاطر معاليه أو لخاطر أعداء الاسلام ؟

<sup>(</sup>٣) فيه انتقاص لمعجزات سائر الأنبياء عليهم السلام بأنها لايقرها العقل وهو أشد من انتقاصها بماسبق من مخالفتها لسنة الكون لأن مالايقره العقل يكون مستحيل

وقال في مقدمة الطبعة الأولى ص ١٤: على أن لهؤلاء الذين يحمّلون الاسلام وزر انحطاط الشعوب الاسلامية من العذر أن أضيف الى دين الله شي كثير لا يرضاه الله ورسوله واعتبر من صلب الدين ورمى من ينكره بالزندقة (١) وندع الدين جانبا ونقف عند سيرة صاحبه عليه السلام فقد أضافت أكثر كتب السيرة الى حياة النبي مالا يصدقه العقل (٢) ولا حاجة اليه في ثبوت الرسالة. وما أضيف من ذلك قد اعتمد عليه

الوقوع وينجلى منه رجحان معجزة نبينا أعنى القرآن على معجزاتهم عند معاليه . أما لزوم كون القرآن حين ينطق بتلك المعجزات ناطقا بالمحال وكونه مقرا لما لايقره العقل فذلك لايهم معاليه !!

- (۱) ليس سبب انحطاط شعوب السامين دخول ماليس من دينهم في دينهم إذ لا يمكن ان يدعى أحد ان الاسلام طرأ عليه التحريف بأكثر مما طرأ على المسيحية معان الشعوب المسيحيين لا يعتبر ون مع الشعوب الاسلامية في دركة واحدة من الانحطاط لاسما عند معاليه وأمثاله من المسلمين العصر يين . ثم ماهى التي أضيفت الى الاسلام واعتبرت من صلبه وكان منها للذين حملوا الاسلام وزر انحطاط الأمم الاسلامية العذر في هذا التحميل ؛ فإن كانت هى المعجزات الكونية المضافة الى معجزة القرآن ولم يكن لها أساس من الصحة ، فكيف تسبب زيادة المعجزات الكونية المكذوبة على معجزة نبينا انحطاط شعوب المسامين حين لم تكن تلك المعجزات الكونية لسيدنا موسى وعيسى وهي غيرمكذو بة عليما ، سببا لانحطاط اليهود والنصارى ؛ فهل من اللازم مطلقا أن لا يكون لنبينا معجزة كونية حتى تحمل كتب السيرة والحديث في سبيل نفيها الكذب ويحمل إثباتها أوزار إنحطاط الشعوب الاسلامية ؛
- (٣) لم يذكر هناكتب الحديث بجانب كتب السيرة لا لا نه يصدق مافيها من أحاديث المعجزات بل لا نه ماراجع كتب الحديث عند تحرير كتابه «حياة محمد» وهذا نقص لكتابه مهم وهو فى ذلك أيضا مقتف لآثار المستشرقين الذين لايراجعون كتب الحديث عند كتابتهم عن حياة سيدنا محمد لا ن مراجعتها نكلفهم عناء كبيرا لا يحتملونه مهما كانوا ناشطين كانبه عليه الفاضل الهندى كاتب السيرة

المستشرقون، واعتمد عليه الطاعنون علىالاسلامونبيه وعلىالأممالاسلامية، وانخذوه تمكأتهم في مطاعنهم الى يومنا الحاضر » (١)

« وقال ص ١٧ « وهذا الاستمار يؤيد كذلك دعاة الجمود من المسلمين وكذلك تضافر عمل الاستمار على تأييــد مادس على الاسلام من خرافات لايسيفها العقل ولا يقبلها الدوق » (٢)

وقال في مقدمة الطبعة الثانية ص ٥٥: « ولو ان أمة مسلمة آمنت اليوم بهذا الدين ولم تحتج الى التصديق بمعجزة غير القرآن لما طمن ذلك في دينها ولا نقص من اسلامها (٣).

<sup>(</sup>١) طعنات المستشرقين في الاسلام وفي نبيه تثير سخط معاليه نحوكتب السيرة والحديث ورواة الحديث ولا تثير سخطه نحوالطاءنين أنفسهم

<sup>(</sup>٢) مايطابق الواقع ان الاستعاريؤيد التجديد الهدام للاسلام ويعادى الجود على الاسلام ويعده جمودا فى وجهه يشهد بهذا معاداة الاستعار لتركيا القديمة ومحاباته لتركيا الجديدة محاباة أوهمت الغافلين من قوة الاستعار العميقة قوة الترك الكاليين وضعف غالى الحرب الماضية أمامهم فى غدها

<sup>(</sup>٣) الايمان بدين الاسلام مع عدم الايمان بمعجزة نبى الاسلام غير القرآن يضر بالدين و يكون نقصا فيه اذا كان سببه عدم الاعتاد على غدير القرآن والاعتقاد بأن ما ثبت في الاسلام إيما يثبت بالكتاب ولا اعتداد بالسنة أوكان سببه عد المعجزات الكونية من المستحيلات العقلية . ومن أبعد مايتصور الى درجة مثيرة الضحك أن يكون معالى هيكل باشا التزم تأليف الكتاب عن حياة سيدنا محمد مستمدا فيذلك من القرآن فحسب كاقال في آخر صفحة من مقدمة الطبعة الثانية لكتابه : « وفي مقدمة ما يجب علينا خدمة الحقيقة والعلم والإنسانية ان نتعمق في دراسة سيرة النبي العربي تعمقا يهدى الانسانية طريقها الى الحضارة التي تنشدها والقرآن أصدق مرجع لهذه الدراسة وهذا الكتاب لايأتيه الباطل ولا تعلق به الريبة . . فكل ماتعلق بسيرة محمد الدراسة وهذا الكتاب لايأتيه الباطل ولا تعلق به الريبة . . فكل ماتعلق بسيرة محمد

فما دام الوحى لم ينزل بها (١) فلا جناح على من يؤمن بالله ورسوله أن يجمل ما يتصل به من أمرها محل تمحيص، فما ثبتبالحجة اليقينية أخذ به وما لم يثبت فله فيه رأيه ولا تثريب عليه ، فالايمان بالله وحده لاشريك له لايحتاج الى معجزة (٢) ولا يحتاج الى أكثر من النظر في هذا الكون الذي خلقه الله . والشهادة برسالة محمد الذي دعا الناس بأمن ربه الى هذا الايمان وجنبهم ما يزيغ قلوبهم عنه لا يحتاج الى معجزة غير القرآن ولا تحتاج الى أكثر من تلاوة الكتاب الذي أوحاه الله اليه (٣)

يجب ان يعرض على القرآن فما وافقه كان حقا ومالم يوافقه لم يكن بحق » والمراديما وافق القرآن ماورد به القرآن وقد عبر به فى كثير من كلاته التى سبق نقلها ، و يؤيده ان مرمى هذه المقدمة التى كتبها لطبعة كتابه الثانية وخلاصها أنه لايرى كتب الحديث وكتب السيرة مرجعا صادقا لا تتعلق به الريبة . فحيئذ يكون من حتى امرى ان يقوم فيرد كل ماورد به كتاب «حياة محمد» تقريبا ، بحجة أنه لم يرد به القرآن

- (۱) يظن معاليه ان الوحى ينحصر فى الكتاب المنزل ولم يوح إلى نبيناغيرالقرآن معأن الله تعالى قال فى كتابه: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) وقال: (وما آتا كم الرسول فحذوه وما نها كم عنه فانتهوا) فهو لا يعرف كون الوحى على قسمين: وحى متلو وهو السنة
- (٢) اذا كان المانع من الاعتراف بالمعجزات الكونية عدم اعتراف العلم بمايخالف سنن السكون فهذا العلم الذي يخضع لحكمه العصريون من المسلمين لايعترف أيضا بالله وحده لاشريك له ولذا قال معاليه فيأواخر مقدمة الطبعة الأولى لكتابه عن علاقة الانسان بالكون وخالق الكون: «قديقف العلم بوسائله حائرا امامها لايستطيع أن يثبتها ولا ان ينفها وهو لذلك لايعتبرها حقائق علمية » ص ٢٧
- (٣) إن كان لنبينا محمد عَلِي معجزات غير القرآن وهـذا مانعتقده بأدلة من السنة بل من الكتاب أيضا كا سيتبين للقارى ، فلا يجوز للسـلم أن يجازف و يقول: ليس لنبينا معجزات كونية ولا يحتاج الايمـان بالله ولا الشـهادة برسالة محمد الى تلك

وقال أيضا ص ٥٦ : « لم يذكر التاريخ أن معجزة حملت أحــدا من الذين آمنوا بالله ورسوله في حياة النبي العربي على ان يؤمن به (١) بل كانت حجة الله البالغة

المعجزات ، كأن الله تعالى أظهر تلك المعجزات على يده عبثا مستغنى عنها . ثم لما كان نبينا مبعوثا الى الناسكافة وفيهم أمم غير العرب لاتدرك إعجاز القرآن إلا من أكب منهم على تعلم اللغة العربية وأنفق شطرا كبيرا من عمره فيه وجبل على طبع أدبى سليم ، فلا تصح دعوى استغناء هذه الكثرة العظمى فى تصديق رسالة عمد عملي عن معجزاته الكونية التى روتها كتب الحديث أو على الأقل روت بعضها بصحة تفوق روايات تاريخ الأمم المقبولة

ان لسيدنا موسى معجزات يؤمن بها اليهود والنصارى ولسيدنا المسيح معجزات يؤمن بها المسيحيون وهذا قبلأن نزل القرآن وآمنا بهماو بمعجزاتهما نحن المسامين أيضا، وليس طريق إيمان اليهود والنصارى بتلك المعجزات الواصلة اليهم بروايات من سلفهم الى خلفهم، أقوى وأثبت من أحاديث معجزات سيدنا محد المروية في كتب الحديث، فلماذا إذن يؤمن كل من اليهود والنصارى بمعجزات نبيهم ولا نؤمن نحن المسلمين بمعجزات نبينا ولهم في القرآن أكبر معجزة وأفضلها يمنع من وجود معجزات أخرى لنبينا عملية والمائين وتخصيصها بعدم الوثوق أم الغرض تبرئة وبين معجزات الأنبياء الماضين التي لايقرها العقل ؟

(۱) يرد عليه ان ماسماه التاريخ ان كان مأخوذا من كتب السيرة والحديث فهى تشهد بمعجزات نبينا وان لم يكن مأخوذا منها وكان يذكر معجزات نبينا من غير ذكر من حملته المعجزات على الايمان فلماذا يقضل غير المذكور فى التاريخ على المذكور المنصوص عليه إن كان ذلك التاريخ حائز الثقة ؟ وان كان ماسماه التاريخ لايذكر معجزة ولا من حملته المعجزة على الايمان فكيف يصحله القول بأن التاريخ لم يذكر أن معجزة حملت أحدا من الذين آمنوا بالله ورسوله فى حياة النبى على ان يؤمن لأنه الما لم يذكر

عن طريق الوحى على لسان نبيه ، وكانت حياة النبى فى سموها هى التى دعت الى الايمان من آمن منهم وان كتب السيرة لتذكر أن طائفة من الذين آمنوا برسالة محد قبل الاسراء قد ارتدت عن ايمانها حين ذكر النبى أن الله أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى بارك حوله (١) ولم يؤمن سرافة بن جمشم لما اتبع محمدا حين هجرته الى المدينة ليأتى أهل مكة به حيا أو ميتا، طمعا فى مالهم على رغم ماروت كتب السيرة من معجزات الله فى سرافة وفى جواده (٢) ما الماريخ أن مشركا آمن برسالة محمد لمعجزة من المعجزات (٣) كم آمن سحرة فرءون لما لففت عصا موسى ماصنعوا »

معجزات نبينا لم يذكر أيضا أنها حملت أحدا على الايمان وليس للؤلف الحق منطقيا ان يستخرج من هذا حكمه بأن المعجزات لاتحمل أحدا على الايمان

<sup>(</sup>١) ماذا يريد أن يقول هيكل باشا ؟ فهل هو ينتقد حادثة الاسراء بأنها فشلت ولم تنفع في هداية الناس إلى الايمان برسالة محمد على ثم يتوسل بنفي فائدة المعجزات الى نفي المعجزات ؟ لكن المعجزات كا قيل انها تنقسم الى معجزة هداية ومعجزة إندار، منقسمة أيضا الى معجزة تكريم للنبي كافي الاسراء به الى المسجدالأقصى ثم الى السلوات ولا يازم ان تكون المعجزة حتى معجزة الهداية ضامنة للهداية بالنسبة الى كل زمان وكل انسان ، وهذا القرآن مع كونه في رأس معجزات الهداية ما آمن به إلامن شرح الله صدره للاسلام . فحسألة الهداية بيد الله فهو يهدى من يشاء و يضل من يشاء، ويهدى من يهديه اذا شاء من غير معجزة ومن غير نبي إلا انه لا يعذب الناس حتى يبعث رسولا وبالمعجزات تتم حجته عليهم ، و بهذا البيان يسقط ماذ كره معاليه هنا جملة

<sup>(</sup>٢) هو آمن بعد حين وأعطى أسورة كسرى في فتح إبران

<sup>(</sup>٣) لامعجزة عند معاليه غير الفرآن ومراده من العجزات التي لم يذكر التاريخ ان مشركا آمن عند واحدة منها برسالة نبينا ، هي المعجزات التي اختلقها التاريخ نفسه فلماذا اذن لم يختلق هذا التاريخ إيمان مشرك على الأقل مع كل معجزة اختلقها ؟ فهل

وقال أيضا ص ٦٢ « ان الفترة التي انتهت بقتل عنمان هي التي تقررت فيها القواعد الصحيحة للحياة الاسلامية العامة وهي لذلك وحدها التي يمكن الاعتماد الثابت اليقيني على ماوقع لمعرفة هذه القواعد الصحيحة (١) أما فيما بعد هذه الفترة فانه على الرغم من ازدهار العلم والمعرفة أيام الأمويين وبخاصة أيام العباسيين قد اندست يد العبث بهذه القواعد الأساسية الصحيحة لتقيم مقامها قواعد تتنافى في كثير من الأحيان وروح الاسلام تحقيقا لاغراض شعوبية في أكثر أمرها، وقد كان الاعاجم وكان الذين تظاهروا بالاسلام من اليهود والنصاري هم الذين روجوا لهذه القواعد الجديدة ، غير متورعين في تأييدهم عن اختراع الاحاديث ونسبتها الى النبي عليه السلام (٢) ولاعن ادعاء أشياء على الخلفاء الاولين لاتتفق وسيرتهم ولا تلتئم ومزاجهم (١)

عجز عن اختلاق الثاني الذي هو أسهل من الأول ؟

<sup>(</sup>١) استثنى هــذه الفترة الأولى التى جمع فيها القرآن لئلا يسرى العبث والتربيف اللذان ادعى استيلاءهما على الفترات اللاحقة وافسادهما لحجية الأحاديث المجموعة فى تلك الفترات، إلى القرآن

<sup>(</sup>۲) هذا القولوهذه الدعوى تشبه قول الشيخ محمدعبده أثناء مناظرته الأستاذ فرح انطون منشى مجلة «الجامعة » ـ ومقالات الناظرة منشورة في آخركتاب الأستاذ المنكور المسمى « فلسفة ابن رشد » تحت عنوان « باب الردود » ـ مامعناه وخلاصته ان الاسلام استعجم في عهد المعتصم بدخول العناصر الأجنبية عن العرب فيه كالفرس والترك . ولعل معالى هيكل باشا اقتبس هذه الفكرة من الشيخ محمدعبده ثم مزجها بأقوال المستشرقين . وكنت أنا قبل رؤية هذه الأسطر من مقدمة الطبعة الثانية لكتاب « حياة محمد » أحمل كلام الشيخ ذاك على مغزى سياسي قومي وأقول في نفسي إنه يغضبه إفلات الحكم من مد العرب حتى لايسره ازدياد قوة الاسلام بدخول عناصر جديدة فيه وانضامهم الى المسامين . والآن و بعد أن ازددت علما

انتهى مارأينا نقله من كلمات هيكل باشا فى مقدمة كتابه. وقد أظلنا فى النقل عنه كا أطال هو فى التدليل على أنه أحسن صنعا فى تجريد « حياة محمد » عن المعجزات الكونية ، حرصا منا على أن لانكون قد عزونا عند النقد عليه مالم يقله أولم يكن هو مراده مما قاله وانحا أسأنا نحن الفهم والتفسير وبنينا اعتراضاتنا عليه

فقد أنجلي من هذه النقول الطويلة أن معاليه يتوسل الى اسقاط معجزات نبينا ويتالي التقاط الله ويتوسل الى اسقاط معجزات نبينا والتي الكونية عن مرتبة الثبوت باسقاط جميع الأقوال المروية عنه غير القرآن مع الأفعال النسوبة اليه وجميع ماجرى عليه في حياته مما ذكر في كتب الحديث والسيرة ولم يذكر في القرآن ، عن رتبة الجدارة بالتعويل عليه ، على أن يكون سواء في ذلك ما يتعلق بلعجزات وما يتعلق بغيرها وأن يحق لكل شاك في صحة ماورد في تلك الكتب من أولها الى آخرها ، شكه !! (١)

فان صحت لمعاليه هذه الدعوى لزم ان يكون أول واجبه الاحجام عن تأليف هذا الكتاب الذي أسماه «حياة محمد» فمن أى مصدركتب ماكتبه فيه ان كانت كتب

بأفكار الشيخ ومبادثه أذهب في فهم معنى قوله المذكور مذاهب بعيدة ومرامى عميقة لو سردتها لخرجت عن الموضوع الى موضوع آخر لا يمكن توفية حقه إلا بتأليف مستقل (١) لم تقتصر مطاعن هيكل باشا في كتب الحديث والسيرة على مافيها من الروايات المتعلقة بالمعجزات كا نبهنا عليه من قبل أيضا ، وما كنا مغالين في هذا التنبيه ، بل سعى معاليه لالقاء الشبهة في كل ماورد في تلك الكتب وان كان مقصوده الطعن في رواياتها المتعلقة بالمعجزات فحسب ، وكان دافعه إلى اطلاق القول انه لم يجد سبيلا خاصا للوصول الى مقصوده هذا فعم كل مافيها بالطعن ولم يفكر فيها يترتب عليه أولم يبال به . وعليه فارتقى واجبنا في نقد كلامه من الدفاع عن معجزات نبينا غير القرآن وعن الروايات الواردة بصدها في كتب الحديث والسيرة ، الى الدفاع عن ركن السنة مطلقا في الاسلام

السيرة والحديث غير جديرة بالثقة والتعويل (١) وأسحابها متهمين بالأغراض السياسية والدينية ؟ وليس في القرآن مايكني من المعلومات اللازمة لتأليف كتاب عن حياة محمد ويتالينة مثل كتاب هيكل باشا ، لأن كتاب الله ليس كتاب السيرة والترجمة عن حياة من نبيه . فإن كان التشكيك المطلق في صحة ما عزى الى الذي عبالينة من الأفعال أو روى عنه من الأحاديث في كتب الصفوة من أئمة المسلمين ، غريبا من أى مسلم فهو من وضع كتابا عن «حياة محمد » أغرب! فن أى أصل اقتبس اذن ماضمنه في كتابه؟ حتى انه لا يمكنه أو بالأصح لا يجوز له بالنظر الى عقليته المفهومة واضحة من كلماته التي نقلناها وأطلنا في النقل - ان يأخذ من كتب المستشرقين الذين يقدر ون لمحمد ويتناه قدرها ولا يتعدون الحق والانصاف - على فرض وجود فريق منهم ويتناع هيكل باشا ثقة الناس بهاوهدم معها كتب الآخذين منها

ولا يمنع هذه الزعزعة وذاك الهدم كون معاليه استدرك الأمر فاستثنى الفترة الأولى من تاريخ الاسلام المعتبرة من بدئه الى مقتل عثمان وأولاها الثقة حيث قال ص ٦١ « فنى الفترة الأولى بنى اتفاق المسلمين تاما لم تغير منه روايات الاختلاف على الخلافة ولا غيرت منه حروب الردة ولا فتح المسلمين البلاد التى فتحوا . أما بعد مقتل عثمان فقد دب الخسلاف بين المسلمين وقامت الحروب الأهلية بين على ومعاوية واستمرت الثورات ظاهرة تارة خفية أخرى ولعبت الأهواء السياسية دوراً خطيراً في الحياة الدينية نفسها » اذ لم يجمع أحاديث النبى وتشايلة جامعوها ولم يكتب السيرة

<sup>(</sup>۱) لوانتقد تلك الكتب بأنها تحتوى روايات وأحاديث لايوثق بها نمعينت تلك الأحاديث والروايات و بينت أسباب النقد كما يفعله النقاد من علماء الحديث لهان الأمر ولم يقع جميع مافى تلك الكتب تحت الشبهة بحيث لايميز صحيحه \_ ان كان فيها صحيح \_ عن سقيمه

كتابها الا بعد الفترة الأولى ، فلا يكفى فى الوثوق بواقعات التاريخ الاسلامى كون زمان وقوعها قبل مقتل عثمان ، بعدأن كان كتابها وجامعوها من رجال الفترة الثانية المفروض فيهم الغش والتغريض ، ألايرى انالأحاديث والروايات الخاصة بالمعجزات لاريب فى أنها باعتبار مصادرها تتقدم الفترة الشبوهة ومع ذلك لم ينجها تقدمها الزمنى عن تشكيك معاليه فى صحتها

ولا يفتح امام الباشا طريقا لامكان تأليف كتابه بعد أن أقفل الطريق على نفسه ان يوجد هناك أحاديث صحيحة على نسبة حديث واحد فى مائة وخمسين حديثا ورواية واحدة فى مائة وخمسين رواية يمكن الاعتماد عليهما فى وضع كتاب عن حياة نبى الاسلام وليتياني كاذكر الباشا نفسه هده النسبة واعترف بها عند ذكر اهتمام الامام البخارى وأبى داود بتمحيص الأحاديث ونقدها ، لأن معاليه ذاهب الى اختسلاط القلة الضئيلة بتلك الكثرة القاهرة المؤدى الى فساد الجميع ، غير واثق بتمحيص البخارى وانتقائه أربعة آلاف من ستمائة ألف حديث . ولعل معاليه يبنى عدم وثوقه هذا على ما ذكره و قدنقلنا عنه سابقا من تجريح بعض العلماء لكثير من الأحاديث التى أثبتها جامعوها فى كتبهم على انها صحيحة (۱) فعالى المؤلف مدع لفساد الكل حتى الباقى بعد تجريح بعض معين من الأحاديث التى أثبتها جامعوها فى كتبهم على انها صحيحة (۱) فعالى المؤلف مدع لفساد الكل حتى الباقى بعد اسقاط مئات الالوف وحتى الباقى بعد تجريح بعض معين من النباق الأول . فلولم يدع ذلك لوجد أحاديث المعجزات فى البقية الباقية من انتقاء بعد انتقاء ونقد بعد نقد ، وما وسعه ان يجعل كتابه عطلا عن المعجزات

هذا هو النقد العلمي الذي يكرر الباشا ذكره عند ذكر الأسباب الناعية على أحاديث المعجزات ورواياتها والندي يدعى أنه أسس كتابه عليه والذي أيضا ينقض هو نفسه أساس كتابه نفسه مع أساس المعجزات وأحاديثها . ويجعله معلقا على الهوا. وخلاصة نقدنا أن كتاب الباشا ينقض نفسه بنفسه . هذا واحد

<sup>(</sup>١) قد بينا فيا سبق معنى هذا التجريح وعدد الأحاديث المنتقدة في صحيح البخاري ومسلم

۲

الثاني هل فكر معاليه فيما يترتب على مافعله حين أثار الشبهة في صحة الأحاديث النبوية بجملتها وفي أمانة رواتها بجملتهم وفي جدارة كتبها بجملتها بأن يعول علمها ؟ يَتر تب عليه ويلزمه لزوما عقليا بينا هدم الركن الثاني من الأركان الأربعة التي يعتمد عليها الاسلام أعني الكتاب والسنة والاجماع والفياس ، وهدم ماينبني على الثاني من الثالث والرابع . ولنقل جدلا : لينهدم مايلزم انهدامه أن لم يكن مبنيا على أساس صحيح وكانت الحقيقة على خلافه ولا نبال بأنهدام صلاتنا وصيامنا وزكاتنا وحجنا بانهدام ركن السنة لابتناء أحكامها التفصيلية عليها وكون الأحاديث مبينة لاجمال القرآن ومتممة له بهذه الحيثية ، فما كنا ندرى الولم تكن السنة كيف نصلي ؟ وكم نركع ونسجد وكيف نزكى وكم يخرج المزكى من ماله ؟ وكيف يحجالحاجومنذا يعلم مثلا ان المرأة لانصلي ولا تصوم أيام حيضها ثم تقضى الصوم ، وأن الصلاة تجب على المريض ولا تجب على الحائض ، والتفاصيل المذكورة في كتب الفقه عن مسائل هذه العبادات لأنجدها في الكتاب. فيلزم عند اقتصار مدار العمل على الكتاب أن يكون لقائل أن يقول: « هذه الأعمال التي يعملها المسلمون الى يومنا هذا لاتستند الى أساس صحيح ثابت في الدين » وهذا انهدام صلاتنا وصيامنا وزكاتنا وحجنا <sup>(١)</sup>ولنقل لينهدم ماينهدم ولا نبال به ، لكن سنة نبي الاسلام ليست كمازعمه وزيرمعارف مصر واهية الأساس لاتقاوم النقد والتمحيص على الطريقة العلمية أو لا يبق منها بعد النقد

<sup>(</sup>۱) عجيب مالق الاسلام والعلوم الاسلامية بمصر فى زماننا فانى أسمع كثيرامن العلماء والعقلاء فيها يتبرمون بمناقشات المتسكلمين وخوضهم فى مباحث الفلسفة مدعين الغنى عنها فى الاشتغال بمطالعة السنة، مع أنك ترى ماطراً على مكان السنة بمصر من اعتداء المؤلفين العصريين بكتبهم عليها ومن توانى الجمهور من علماء الدين فى كبح جماح المعتدين وتنبيه الغافلين بل ومن اشادة البعض من العلماء بتلك السكتب

والتمحيص شيء تبني عليه الأحكام، بل الطريقة المتبعة في الاسلام لتوثيق الأحاديث النبوية أفضل طريق وأعلاها لاتدانها فيدقتها وسموها أيطريقة علمية غربية أتبعت في توثيق الروايات . حسبك أن نقد الرجال أي رجال الحــديث أصبح علمــا مدونا في الاسلام له كتب خاصة لاتستوعبها المجلدات ، نذ كرمنها «تهذيب الكمال» للمرى وعلمه شرح علاء الدين المغلطاني في ثلاثة عشر محلدا و «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر في عشر مجلدات يذكر في أوله انه ألَّفه في ثمـانية عشر عاما و « الفاصــل بين الراوی والواعی» للرا مهرمزی و « میزان الاعتــدال » للذهبی و « لسان المیزان» لابن حجر . وقد ذكرنا من قبل أسمــاء الكتب الجامعة لتراجم ثلاثة عشر ألفا من الصحابة وشهادة الدكتور « اشبره نكر » الألماني بامتياز الأمة الاسلامية بين أمم الدنيا في الاهتمام بتمحيص الروايات واحاطة الموضوع من أوسع نطاقه . ففي صحيح البخارىمثلا ألفانوستمائةواثنان منالأحاديثالمسندة سوىالكررانتقاها مزمائةألف حديث صحيح يحفظها . وقريب من ألفي راو اختارهم من نيف وثلاثين ألفا من الرواة الثقاة الذين يعرفهم . وكتاب البخارى البالغ أربع مجلدات كبيرة يبقى بعــد حذف أسانيده على حجم مجلد واحد متوسط الحجم ، فهــل سممتم وسممت الدنيا أن كتاب تاريخ في هذا الحجم يروى ما فيه سمـاعا من ألفي رجـل ثقة يعرفهم المؤلف وغيره من أهل هذا العلم بأسمائهم وأوصافهم ، على أن يكون كل جملة معينة ،ن الكتاب مؤلفة من ســطر أو أكثر أو أقل تقريبا سممها فلان وهو من فلان الى ان اتصــل بالنبي عَلَيْكِاللَّهُ فيقام لكل سـطر من الكتاب تقريباً شهود من الرواة يتحملون مسؤلية روايته ؟

ولم يتأخر جمع الأحاديث الى عصر الأمون كما ادعاه الباشا فيما سبق تمديدا للزمان الحائل بين مصدرها وجمعها، بل جمع فى عهد عمر بن عبد العزيز المتوفى فى ١٠١ وكان قد أمر فى هذا الشأن بتشكيل دواوين يبلغ عددها ألوفا فجمع أربعة آلاف حديث

تتعلق بتفاصيل الأحكام الشرعية، وخمائة حديث تتعلق بأصولها وكان الخليفة نفسه من كبار المجهدين والمحدثين . ولم يتأخر التأليف في الحديث أيضا الى عصر المأمون فقد كان ابن شهاب الزهرى المتوفى في ١٩٠ مؤلف أول كتاب في زمن عمر بن عبد العزيز وكان ابن جريج في مكة المتوفى في ١٩٠ وابن اسحق في ١٥١ ومالك في ١٧٩ في المدينة وسفيان الثورى في ١٦٠ في الكوفة وحماد بن سلمة ١٦٧ أوربيع بن صبيح في ١٦٠ و سعيد بن أبي عروبة في ١٥١ في البصرة والأوزاعي في الشام متقدمين في جمع الأحاديث نعم قد يوجد بين الأحاديث أحاديث موضوعة وأحاديث منكرة وأحاديث ضعيفة حواديث منها في أحاديث المعجزات أيضا ـ لكن هناك مع كل ذلك أحاديث متواترة وأحاديث مشهورة وهناك أخبار آحاد متواترة المعني وأخبار آحاد في رتبة الحسن . وهناك أحاديث مرفوعة وأحاديث مرسلة (١) الصحة وأخبار آحاد في رتبة الحسن . وهناك أحاديث الواصلة اليهم بأسانيد مختلفة فأعة الحديث أنفسهم ورجالهم الثقات رتبوا الأحاديث الواصلة اليهم بأسانيد مختلفة على هده المراتب وميزوا زبوفها من صحاحها وكان الرواة المتهمون بالكذب أو عدم المدقة معلومين عندهم فإذا دخل واحد من المتهمين أوالمجهولي الحال في سلسلة الاسناد المدقة معلومين عندهم فإذا دخل واحد من المتهمين أوالمجهولي الحال في سلسلة الاسناد

<sup>(</sup>۱) وقد قالرسول الله على (الألفين أحدكم متكناعلى أريكته يأنيه الأمرمن أمرى مما أمرت به أونهيت عنه فيقول الأدرى ماوجدنا في كتاب الله انتقيناه) رواه الشافعي في الام ، وكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي رافع مولى رسول الله وفي رواية الترمذي (الا أبي أوتيت القرآن ومثله معه ألابوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه) وفي رواية مقدام (ألاوان ماحرمرسول الله كاحرم الله) وهذا الحديث معدود من معجزاته على المتعلقة باخباره عن الغيب قال الفاضل الهندي كانب السيرة المارة الذكر من قبل: « ان هذا الاخبار كا ينطبق على المعرلة القدماء ينطبق أيضا على طائفة حديثة من الهنديين والمصريين لا يعولون على الأحديث و يسمون أنفسهم أهل الفرآن »

لأي حديث أخــل برتبته من القبول. واليوم أصبحت مرتبة ثبوت كل واحد من الاحاديث المضبوطة فىجوامع الكتب المحصاة بمئاتالالوف متعينة عندنا تعينا لامحل للريبة فيه . فالذين ينظرون من بعيد الى مايجرى في علم الحديث الاسلامي من النقد الحر والرقابة الدقيقة ويطلعون منه على ان علماء الحديث لايقيمون فما بينهم لبعض الاحاديث وزنا . ويقيمون لبمضها وزنا ناقصا ، ليس من الانصاف ان يتخذوه وسيلة الحديث أنفسهم لم ينقدوا مايستحق النقد من الاحاديث لما أمكن المستشرقين ان يميبوا صحاحها بممتلاتها . فنقد علماء الحديث من تلقاء أنفسهم ما يستحق النقد من الا ُحاديث لا يكون نقيصة لصحاحها تزيل الثقة عنها بل مزية تجعلها جديرة بالثقة وهذه الصحاح ينبني عليها أكثر أحكام الشريعة الاسلامية من عباداتها ومعاملاتها . ومن المؤسف المؤلم للمسلم ان يرى بلادا اسلامية اجترى ً فيها على استبدال قوانين الأمم الاجتراء وطمن في تلك الشريعة بدعوى عدم استنادها من ناحية السنة على أساس متين وقصر الأساس الصحيح على الكتاب ، مع ان العمل ببعض الكتاب مهجور أيضا فى تلك البلاد. فلم يبق الا دور اهال البمضالباقي ثم الطمن في أساس الكتاب<sup>(١)</sup>

<sup>(</sup>۱) وانى لاأثق باخلاص العصر يين من الكتاب والعاماء الذين يقصرون اهتمامهم على القرآن و يهماون أسس الاسلام الأخرى ، لاأثق باخلاصهم في اهتمامهم بالقرآن زيادة على عدم وثوقى بكفايتهم العلمية التي توجب عليهم تقدير الأسس الأخرى فقدقرأت مقالة في مجلة « الرسالة » بعنوان « القرآن والمسامون » للشيخ العصرى محمد شلتوت وكيل كلية الشريعة وقرأت معها مقالة لصاحب المجلة الأستاذ الزيات يشيد بمقالة الوكيل و يعدها انبعاث الأزهر ورأيت مقالة الشيخ الذي عليها تعفل ذكر ماعدا القرآن وتنحى باللوائم على كتب التفسير المعروفة المتداولة في أيدى العاماء مدعيا أن أهل التفاسير ...

الماضية مافهموا القرآن . وهذا القول منه يتضمن القدح في الأئمة الحجتهدين الذين استنبطوا الأحكام من القرآن ، بل ان التفاسير القديمة ينتهى طرفها الأول الى تفسير الصحابة والرسول عراقية

ولعل الشيخ القادح لا يعجبه الامثل تفسيره في مقالة سابقة له قائلة بأن القرآن جارى عقيدة العرب في تصوير الشيطان كشخص ذى حياة مع كونه في الحقيقة عبارة عن نزعات الشر المنبثة في العالم . فليس ببعيد ان يلغى في التفسير الجديد الذي يعجبه كثيرا من الأحكام المنصوص عليها في القرآن بادعاء كونها مجاراة لا هواء العرب في عهد الرسول القريب من عهد الجاهلية ، و يمكنني ان أذكر اباحة تعدد الزوجات مثالا لهذه الدعوى المنظرة من الشيخ

والحق ان القرآن الذي هوكلام الله لا يكن ان تتصور فيه مجاراة الأهواء ، وانما للمصريين أنفسهم أهواء يشذون بها عن المسلمين ويريدون ارهاق بعض آيات القرآن عليها وهم فياعدا ذلك من الآيات التي لاصلة لها بأهوائهم الشاذة عاجزون عن كتابة سطر يستحق ان يسمى تفسير القرآن من غير مراجعة كتب التفسير القديمة التي ادعى الشيخ ان أصحابها مافهموا القرآن، أومراجعة ما بق منها في ذاكرتهم من تلك الآثار التي ورثوها معنا من العلماء الماضين فشكرناهم وكفروا

وآخر مأقول في الذين يتظاهر ون بحصر اهتمامهم في القرآن نائين بجانهم عن الحديث والفقه مثيرين الشك في صحة الأعاديث ومدعين كون الفقه عبارة عن آراء الفقهاء ثم مستهينين من القرآن بتفاسيره القديمة فلم يبقالا متن القرآن ، آخر مأقول فيهم: قد كذب القرآن في هذا البلدقبل بضع عشرة سنة تصديقا لبعض أعداء الاسلام من المستشرقين كما كذبت السنة أخيرا لانكار المعجزات في حياة محمد عملية تصديقا لبعض الآخر من الأعداء ، وعند ذلك انبرى من انبرى من كتاب المسلمين وعلمائهم للدفاع عن القرآن وصال على المعتدى . ولا أدرى لعدم كوني يومئذ بمصر هل بين المدافعين الصائلين الشيخ شلتوت أو الأستاذ الزيات أو الدكتور هيكل مؤلف «حياة المدافعين الصائلين الشيخ القرآن غير القرآن

وكيف يخطر ببال مسلم ان لا يكون ما في صحيح البخارى الذي كان المسلمون الى هذا الزمان يعتبرونه أصح الكتب بعد كتاب الله ، أو صحيح مسلم أو موطأ الامام مالك أومسند الامام أحمد بن حنبل أو مسانيد الامام أبي حنيفة أو الامام الشافعي؟ صحيحا حقيقة يعول عليه على الأقل كما يعول على كتب التاريخ المعتبرة عند علماء الغرب (۱) أو أن تكون أمانة أعة الاسلام المذكورين دون أمانة المؤرخين الغربيين واخلاصهم للحق وتضحيتهم في سبيله دون اخلاصهم وتضحيتهم أو لايكون بين عشرات الألوف من الأحاديث المروية في كتبهم — ومسند الامام أحمدو حده يحتوى من الأحاديث المروية في كتبهم — ومسند الامام أحمدو حده يحتوى من الأحاديث ما يقرب من أربعين ألفا \_ حديث واحد صحيح تثبت به واحدة من معجزات محمد عليه الكونية ؟

عجيب جدا أن يكون المسيحيون صعدوا بنيهم الى درجة الألوهية استنادا الى معجزاته الكونية ويكون المسلمون استكثروا لنبيهم معجزة كونية واحدة تدل على نبوته ولو بالنظر الى الذين لايقدرون معجزة القرآن حق قدرها كالمستشر قين والمامة من الناس. فهل يظن منكرو المعجزات الكونية منا لمحمد عليات أنهم يستجلبون بانكارهم هذا اعجاب المستشر قين نحونبينا ؟ كلا ، وانما يعجب ذلك الذين ينكرون النبوات منهم يبقى في الاسلام عندهم بفضل النبوات من الغربيين . والذين لاينكرون النبوات منهم يبقى في الاسلام عندهم بفضل معالى هيكل باشا من غير معجزة ، لانهم لايقدرون اعجاز القرآن الذي لايفهمونه . وفضلا عن هذا فعاليه يلطخ سمعة كبار المسلمين الذين كانوا وسائط بلاغ له عن نبيهم ، بوصمة شهمة الكذب . فاذا كان الحق يقال مهما كان مرآ فيا فعل هيكل باشا في

<sup>(</sup>۱) نعم أنا لاأدعى لاؤائك الأئمة الذين لاشك فى انهم أكثر خوفا من الله من مؤلنى الغرب وانه لاضمان أقوى لتجنب الكذب من مخافة الله ، لاأدعى لهم العصمة من الخطأ، والأمانة والمدالة غير العصمة مع ان كتب المؤرخين الغربيين لم تمحص ولم تغربل عليهم بعشر معشار ماغربات كتب أئمة الاسلام الآخرين

مقدمة الطبعة الثانية لكتابه من آثارة الشبهة في هجة أحاديث الرسول بجملتها (۱) للتوصل الى آثارة الشبهة في هجة أحاديث المعجزات، ومن التنازل عن آنى المعقلين الرئيسيين من معاقل الاسلام الأربعة ألا وهو السنة، في سبيل التنازل عن معجزات نبي الاسلام الكونية، جناية لاتفتفر، وتأبيد مشيخة الازهر لهضده الجناية أدهى وأمر. فكيف يتفق هذا التأبيد وتدريس الحديث في الأزهر بل تدريس أصول الفقه والفقه أيضا بمذاهبه الاربعة حال كون أكثر أحكامها مستندة الى السنة ؟ فهل الاستاذ الأكبر المراغى يحاول بتقريظ كتاب الدكتور هيكل باشا وتقديمه للمسلمين تهيئة جو ملائم لاالهاء كلية الشريعة ؟

ومن دواعى الأسف ان كتاب معاليه الذي تخاطف نسخه الراغبون في قراءته واقتنائه من المسلمين بمصر حتى طبع ثلاث مرات في أربع سنين كان يكيل في مرأى ومسمع من أواشك القارئين المسلمين طعنات تزييف على كتب كانت تعتبر من يوم تأليفها الى هذا الزمان أصح الكتب في الاسلام بعد كتاب الله مثل صحيح البخارى وصحيح مسلم وموطأ مالك (٢) وغيرها من السنن والمسانيد ، فلم تعل في مصر ولا في غير مصر أصوات دفاع عن كرامة هذه الكتب المباركة عند المسلمين ولو بقدر الاصوات المرتفعة من النواب المسلمين في بران مصر دفاعاءن كتاب «برناردشو» الانجليزى الذي كان يدرس في الجامعة المصرية والذي فيسه شتم نبينا وسسيدنا محمد المنتخذ أقبح شتم، ولا بقدرصوت الاستاذ الأكبرالمراغي شيخ الجامع الازهر والشيخ وشيد رضا صاحب المنار دفاعا عن كتاب هيكل باشا الطاعن في كتب الحديث (٣)

<sup>(</sup>۱) بل التشكيك في كتب الحديث والسيرة على الاطلاق بؤدى الى التشكيك في الفرآن أيضا لأن تلك الكتب هي المرجع أيضا في مسألة جمع القرآن وما التزم فيه من الدفة في ضبط الأصل (۲) أصح الكتب بعد كتاب الله على قول الامام الشافعي، وطأ مالك، وهذا لاينافي قول الآخرين بأن أصحها بعد القرآن صحيح البخاري لكون البخاري وصحيحه متأخرين عن الامام الشافعي

<sup>(</sup>٣) لايقال أن الطعن في كتب الأحاديث الموادي الى أنهيار أساس مهم من أسس الشريعــة

الثالث ان المانع من اثبات المجزات الكونية في «حياة محمد» على مايظهر من اعتدار مؤلفه في مقدمة الطبعة الثانية هو مخالفة تلك المعجزات للقرآن. وربما تراه يعبر عن هذا المانع بعدم ورود تلك المعجزات في القرآن ، لكن مخالفة القرآن شيء وعدم ورود الذكرفية شيء آخر . فان صح الأول صح كونه مانعا الى حدما . وليس الثاني بمانع ، صح أولم يصح! اذ القرآن لم يكن كتاب سيرة أوتاريخ لحياة محمد ويتعليق كما انه لامعني لتعليق صحة مافي كتب الحديث والسيرة من معجزات نبينا الكونية ، بشرط كونها واردة الذكر في القرآن فتكون تلك الكتب تكرارا لما في القرآن مستغني عنها

فالمقياس الذي يرى معاليه حتما على السلمين تطبيقه على الأحاديث النسوبة الى نبيهم ليعلموا صحاحها من زيوفها ثم يعنفهم باهماله مضطرب بين أمرين يحسبهما معاليه أمرا واحدا فيدذكر أحدها تارة والآخر تارة أخرى وتارة يذكرها معا وتارة يزيد عليهما مقياسا ثالثا . وقد جمع الثلاثة في قوله :

« ولو أنهم أنصفوا التاريخ لطبقوا الحديث على سيرة النبى العربى فى جملتها وفى تفصيلها دون استثناء لأى نبأ روى عنها لايتفق وما ورد فى القرآن الكريم فما لم يكن مما تجرى به سنة الكون ولم يرد ذكره فى كتاب الله لم يثبتوه ... »

فالأمران اللذان يذكرها ويحسبهما أمرا واحداها عدماتفاق نبأ الحديث مع القرآن

الاسلامية وقع من موالف «حياة محمد » في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه ، تبريرا لاهاله المعزات المذكورة في كتب الحديث والسيرة، وجوابا عن الاعتراضات الوردة على الموالف بسبب هذا الاهال ، لكن تقريظ فضيلة الأستاذ الأكبر انتشر مع الطبعة الأولى وتقدم تلك الطعون الملحقة بالطبعة الثانية . لانا نقول ان تقريظ فضيلته قبل الطبعة الثانية والطعون الملحقة بها لم يكن مقدما على الاهال الظاهر في الطبعة الأولى الذي ورط صاحبه في الطعون المنتشرة مع الطبعة الثانية . على انه كان في استطاعة فضيلته ان يسحب تقريظه لحكتاب الدكتور هيكل باشا بعد أن رأى طعونه الهدامة الصوبة نحو السنة في الطبعة الثانية والثالثة، فلم يفعل بل أذن في نشر تقريظه مم كل طبعة

وعدم ورود ذكره فيه . وقد عرفت أن نانهما حشو مفسد والمانع الثالث الزيد عدم كونه مما يحرى به سنة الكون ، وربما يعبر معاليه عن هذا المانع بكونه مما لايقر. المقل ويحسبهما أيضا واحدا مع ان المخالف لسنة الكون أولسنة الله شيء ومالايقر. العقل أومالا يصدقه العقل أومالا يسيغه العقل أومالا يدخل فيمعروف العقل أو ما يبعد عن مقتضى العقل أو مالايقبله العقل ، شيء آخر . وقد استعمل كلهذه التعبيرات في تارات: فاستممل كلا من الخمسة في أمكنة مختلفة من مقدمة الطبعة الثانية والأولى لكتابه واستعمل التعبير السادس في صلب الكتاب ص ١٤٢ فهناك أمور أربعة يذكرها معاليه كانها أمران ويعتبرها موانع لصحة الحديث : مخالفته للقرآن ؟ عدم ورود ذكر مافيه ؛ فيه ، مخالفته لسنة الكون ، مخالفته للمقل . وليس الأول متحدا مع الثاني ولا الثالث مع الرابع . وليس الثاني بمانع كما عرفت ولا الثالث وهو الخالف لسنة الله أوسنة الكون، اذ يمكن أنيكون هذا المخالف معجزة وهوالمطلوب، ولا يلزم ان يكون المخالف لسنة الكون أوسنة الله مخالفا للمقل أي محالاً ، ومن هذا تمد المعجزة من خوارق العادة لامن خوارق العــقل والا لـــا أمكنت ولـــا وقعت . لكن الذين لايميزون خارق العادة من خارق العـقل ويزعمون المعجزة التي هي من خوارق العادة وان شئت فقل من خوارق سنة الكون ، خارقة للعقل أيضا ، ينفونها قائلين باستحالتها ، وهذا الزعم منهم ناشي ً من زعم آخر هوعدم امكان خرق القوانين الطبيعيةالمقررة في العلم الحديث المثبت المبنى على التجارب الحسية ، وهذا قول الملاحدة المادية وهذا أيضا هو الداء المزمن الذي استولى على عقول كثير من مثقني العصريين والذي وقفنا مجهود كتابنا الكبير الذي هذا الكتاب جزء منه ، علىمعالجته

وأعجب شيء من المسلم عدم افلاعه عن دعوى مبنية على نفى وجود الله وقدرته المسيطرة على الكون . فرماكان العلم المادى علما مثبتا ومهماكان ظهم في العلم المثبت المبنى على التجربة انه لايقبل التغيير والتعديل ولايقر المعجزة ، فالعقل يفارق هذا العلم

المنقلب جهلا ويقر المعجزة أى يقول بامكانها . وقد أطلعنا القارئ في أوائل هـذا الكتاب الصغير على قيمة القوانين المثبتة بالتجارب زيادة على ماكتبنا فهاتقدم (من الكتاب الكبير)

ومعالى مؤلف كتاب «حياة محمد» النافي لمعجزات نبينا محمد عليه الكونية لوعلم ان نفاة المعجزات من الغربيين بناء على استحالتها عقلا، انحيا ينفونها ويدعون استحالتها لعدم اعترافهم بوجود الله وبوجود أنبيائه ، لما نفى المعجزات عن حياة محمد عليه الأقل لما بني نفيها على أنها لا يقرها العقل. والأسف ان الذين استشارهم من شيوخ المعاهد مكاشفا لهم ما ينتهجه في كتابه ، شجموه عليه بدلا من ان ينبهوه الى ان المعجزات لا تنافى العقل. ويتصاعد الاسف تجاه فضيلة الاستاذ الاكبر في تقريظ كتاب هيكل باشا ، بعد أن قال: «لم تكن معجزة محمد عيسية القاهرة الا في القرآن وهي معجزة عقلية » : « وما أبدع ماقال البوصيرى :

لم يمتحنّا بما تَمـي المقولُ به حرصا علينا فلم نرتَب ولم مَهيم وممنى قول البوصيرى هذا بالنظر الى اعجاب فضيلته به ان محمدا والنظير لم يأت أمته بمعجزات لاتستسيغه المقول كما أتى غيره من الانبياء صلوات الله عليهم ويعنى بها المعجزات الكونية ، مع أنا اذا فرضناهذا المنى لذاك القول كان ما أتى به البوصيرى القائل لهذا القول والقائل في نفس القصيدة مثلا :

جاءت لدعوته الاشجارُ ساجدةً تمشى اليه على ساق بلا قَدَم والقائل:

أُقسمتُ بالقمر المنشــق ان له من قابه نسبةً مبرورةَ القسم بل القائل :

وكل آى أتى الرسل الكرامُ بها فانما اتّصلت من نوره بهم من الأقوال المتناقضة ، هو ما تميى العقول به ، لاماأتى به الأنبياء من المعجزات

الكونية . ولقد أغرب فضيلته في استشهاده ببيت شعر أخطأ في فهم معناه (۱) وتفاضي لتمشية خطائه عن سائر أبيات القصيدة وهو بصدد الافتاء المؤيّد لاهال معجزات نبينا عليات غير القرآن في كتاب عن حياته، لعدم اعماد مؤلفه على كتب السيرة والحديث التي تلصق بها تلك المعجزات . فكيف يستشهد ببيت شعر للبوصيري المغلوط في فهم معناه حين لا 'يستشهد بالأحاديث المذكورة في كتب الحديث ؟ معان بيت البوصيري بريء مما توهم له الاستاذ الأكبر من المعنى، وقرينة البراءة أبياته الكثيرة الأخرى التي أوردنا آنفا بعض نماذج منها ، واعا معناه أن الاسلام لا يوجد فيه مالا يقبله العقل كما وجد في بعض الأديان الحرفة عن أصلها . أو معناه أن نبينا بعث بالحنيفية السهلة السمحة كما ورد في الحديث وكما جاء في القرآن ناعتا له ( ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم )

فان اعترض ممترض بكون المقارنة فى التوجيه الاول لا تقع بين الاسلام وغيره من الأديان المنزلة لمدم صحة اعتبار ماحرف منها دينا ، وبكون مافى الأديان السابقة من المشاق على التوجيه الثانى مما تعيىبه الابدان لامما تعييبه العقول (٢٠) ان اعترض علينا فى التوجيهين ولم يجد غيرنا توجيها للبيت أحسن منهما فاللازم حينئذ حمل التبعة تبعة امتناع البيت عن التوجيه المعقول على عاتق قائله أعنى البوصيرى رحمه الله، اذ ليس من الواجب على أحد أن يجد تفسيرا حسنالبيت البوصيرى ان لم يكن هو أحسن انشاده . ولا يجوز انكار معجزات نبينا الكونية طلبا لتقويم بيت شعر ، ثم لا يجوز

<sup>(</sup>۱) وقد ذكرنى هذا ما سبق لفضيلته آنه أخطأ فى فهم أقوال الفقهاء عند ترويج فنة ترجمة القرآن الحادثة فىتركيا ، حيث كتب مقالة فى «السياسة الاسبوعية» و «الاهرام» واستدل علىرأيه فى الجواز بأقوال العلماء المانعين كايظهر ذلك من مراجعة كتابى «مسألة ترجمة القرآن» ص ٢٣-٢٤ الذى نشرته قبل عشر سنين وانتقدت فيه مقالة فضيئته وغيره

 <sup>(</sup>۲) ويمكن أن يعد مانى الانجيل من الآية المشهورة الآمرة بتحويل الحد الايسر لمن ضرب الحد
 الايمن ظلما لبضريه أيضا ، ممانعي به عقول الرجال الأحرار

مرتين أن يقال عن بيت مثله مضطرب المعنى: ماأبدعه ! كما قال فضيلة الاستاذ وكما أغرب فضيلة الاستاذ الا كبر أغرب معالى مؤلف الكتاب في الاتفاق مع فضيلته على الخطأ في فهم البيت وفي نسيان ماعداه من أبيات البردة، ولم يكتف بتقبل هذه الفتوى المبنية على خطأ ظاهر في الفهم بل جعل ثمن الشكر لفضياته أن جعله في عداد الائمة المدققين مثل الغزالي ومحمد عبده

ومهما وجد في أقوال الامام الغزالي ما ينتقد عليه فليس في الامكان أن يكون له قول يتخذه الدكتور هيكل سندا في إنكار معجزات نبينا محمد عَلَيْكُ عَبْرِ القرآن . أما الشيخ محمد عبده الذي أزداد اطلاعا عنه بعد مجيئي مصر ماازدادت أيامي مها، على ضلع منه في حدث مدير ضد الاسلام كمساعدته الخفية لقاسم أمين في إثارة فتنة مجازفة تشف عن ضعف بصيرته في العلم كا إنكاره لبطلان التسلسل ونسبة كل ما قيل أو يقال في إبطاله إلى الأوهام الـكاذبة وقد سبق تفصيله في الباب الأول والثاني من الكتاب الكبير ، والشبيخ المرأغي الذي كتب كلمة التحبيذ فيصدر كتاب لايمترف لنبينا بممجزة غيير القرآن ويكذب ماجاء عنها في كتب السيرة والحديث ويسمى لرفع الثقـة بتلك الكتب في مسألة المحزات وغـمرها ويحسن ظنــه بكتب المؤرخين الغربيين كما سبق منافى مقدمة الكتاب الكبير نقل كلات عرف كتاب معاليه تشمد بذلك في حين أنه يسيء ظنه بكتب أئمة السلمين \_ كتب كلة التحبيذ والتقريظ على هذا الكتاب ورأى رأى مؤلفه في نفي المعجزات الكونية وذهب من قولالبوصيرى:

 <sup>(</sup>١) وبالنظر الى قول الشاعر المشهور علىجارم بك فى قصيدته المذاعة بالراديو من محطة الحكومة ليلة الاحتفال بذكرى قاسم أمين الثلاثين :

كنت فى الحق للامام نصيرا والوفى الصنى من أصحابه لم يكن قاسم هو مثير الفتنة والامام مساعده بل الأمر بالعكس

لم يمتحنّا بما تعسَى العقولُ به حرصا علينا فلم نَرتَب ولم نَهمِم الله انه أيضا على رأيهما غافلا عن أقوال البوصيرى من قصيدته فى غير هذا البيت ، وباعد بين الدين والعلم وبين الفقه والدين (١) فهذا الشيخ وذاك الشيخ لايعدهما من أعمة الاسلام المدققين

وما يمنع كون مدى بيت البوصيرى كما فهمه الاستاذ المراغى فضلا عن القرائن المانعة له من أبيات فى نفس القصيدة أنه لو كان معناه أن نبينا لم يأت أمته بمعجزات تميى العقول فى الاعتراف بها كما أتى غيره من الأنبياء ، لكان البوصيرى قائلا باستحالة معجزاتهم عند العقل ومنكرا لوقوعها فى أزمنتهم إذا المستحيل عند العقل وهو الذى يميى العقل دون الاعتراف به، لايقع ولا يمكن وقوعه ولذا أنكر الأستاذ فريد وجدى القائل باستحالة المعجزات عقلا وقوعها فى الماضى واعتبر جميع آيات القرآن المنبئة عن معجزات الأنبياء إلى المتشابهات . لكن البوصيرى رحمه الله لا يتصور أن يكون فى هذه العقلية الظاهرة البطلان . فهل الأستاذ الأكبر الذى فسر يتصور أن يكون فى هذه العقلية الظاهرة البطلان . فهل الأستاذ الأكبر الذى فسر الميز بين خارق العادة وخارق العقل ؟

بق أنه لا يقال عن فضيلة الأستاذ الأكبر بمد غض النظر عن خطائه الفاحش في فهمه لبيت البوصيرى الذى استشهد به ، أن فضيلته ماأنكر في تعريفه بكتاب هيكل باشا ومجازفته في كيل التقريظله ، معجزات نبينا غير القرآن وانما ادعى انحصار معجزاته القاهرة في القرآن وعني بها معجزته القطعية التي يكفر منكرها. لأنا نقول بمد غض النظر ثانيا عن معجزاته غيير القرآن الثابتة بالسنين المتواترة تواترا معنويا (٢٠)

<sup>(</sup>١) تكلمنا على الأول في مقدمة ألكتاب (الكبير) وسنتكلم على الثاني في الباب الرابع منه

<sup>(</sup>٣) قال المحقق الدوانى فى شرح العقائد العضدية ان معجزات نبينا المفايرة للقرآن وان لم يتواتركل منها فالقدر المفترك بينها متواتركشجاعة على وسخاوة حاتم. وقدصرح الفاضى عباض أيضا فى الشتاء بهذا التواتر

بل الثابتة بالقرآن: فهل كل ما كتبه مؤلف كتاب «حياة محمد» في كتابه مما يكفر منكره حتى يرى معجزاته غير القرآن لم تبلغ في الثبوت هذا المبلغ فيخلى عنها كتابه ويقر له فضيلة الأستاذ الأكبر بهذا الاخلاء على تلك المعذرة ؟ فان كان في المعجزات غير القرآن ماثبت ثبوتا يحكم على منكره بالضلال ان لم يحكم بالكفر — ولا شك في وجود مثله فيها — فهل لايكفي عيبا على كتاب هيكل باشا أن يخلوعنه وعلى الاستاذ الأكبر ان يحبذ هذا الضلال ؟ ومافعله الباشا في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه من سعيه لزعزعة ركن السنة في الاسلام وسكوت فضيلة الأستاذ مادح الكتاب على هذا السعى لاشك في أنه فوق الضلال

1

الرابع ماذا هو الباعث على اثبات معجزة عقلية وهى القرآن لمحمد عَلَيْلِيْ وَنَفَى كُلُ معجزة كونية عنه (١) وماذا هو الباعث على محاولة رفع الثقـة بعامة الأحاديث النبوية في سبيل نفى الثقة بأحاديث المعجزات ؟ فهل الباعث علىذلك ضعف مكان السنة حقيقة رغم كونها من أهم الأركان الأربعة التي تستند عليها الشريعة الاسلامية ، أم الباعث كون المعجزات الكونية لايقبلها العقل مطلقا أو لايقبلها العقل المصرى الباعث على التجربة ؟ وقد بينا في مواضع عـدة من الباب الأول وفي أول هـذا الباب (الثالث) من الكتاب (الكبير) حدود التجربة وحـدود العقل وأثبتنا أن العقل الذي ينظر الى المعجزة الكونية نظره الى المستحيل والذي تحكم عليه التجربة ولا

<sup>(</sup>١) كان فضيلة الأستاذ المراغى فال فيماكتيه تأييدا لاغفال المعجزات السكونية في كتاب «هيكل باشا » « لم تمكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الفاهرة الا في القرآن وهي معجزة عقلية » وقد يضيفون الى صفة « العقلية » « الانسانية » كما قال هيكل باشا ص ٥ ه « مقارنة النبي العربي بمن سبقه من الرسل مقارنة مع الفارق فهو خاتم الأنبياء والمرسلين وهو مع ذلك أول رسول بعثه الله الناس كافة ، لذلك أراد ان تكون معجزة مجد انسانية عقلية »

يحكم هو على التجربة ، انمــا هو عقل الذين لايعرفون العقل وينكرونه وينكرون الحياة والروح وينكرون خالق العقل والحياة لعدم انقياد كل من هذه الأمورللتجربة ولا يمكن أن يكون مؤلف كتاب «حياة محمد » المؤمن بالله وكتابه المنزل على نبيه،منهم لكن من الواجب ان يعرف معالى الؤلف ان منكري المحزات البانين انكارها على دءوى استحالتها ، لا يفرقون بين المعجزات الكونية والعقلية ويرونالكل مخالفا لسنة الكون كما يرون المخالف لسنة الـكون محالاً . فمتى بلغ أى شيء مبلغ المعجزة والخارقة خالف سنة الكون وخرقها والالم يكرن معجزة الافى تعبيرات الأدباء المتحوزين ، حتى أن النبوة والرسالة بممناهما المهروف عند المليين معجزة مخالفة لسنة الكون ، فمن يقول باستحالة المخالف لسنة الكون يقول باستحالة النبوة والرسالة أيضا ، الاأن تكونمن قبيل ماشاع في ألسنة الكتاب العصريين من رسالة المرأة ورسالة الرجل ورسالة «الجامعة» ورسالة «الأزهر» ورسالة الصحف ورسالة المجلة أو مجلة «الرسالة». ومن غرائب المصر الذي يسود فيه عدم الاعتراف بالمحزة والنبوة والرسالة كثرة استعال هذه الكلمات وأن كانت في غيرمواضعها، ولعل مرى المستعملين تنزيل هذه الأسماء من مسمياتها القديمة المستحيلة الىمسميات جديدة معقولة!!

فلا فرق اذن بين المعجزة العقلية والمعجزة الكونية ، فكلاهامحال عندالملاحدة القائلين باستحالة المخالفة لسنة الكون وكلاها ممكن الوقوع عقلا عند المسلمين بحول الله وقوته . فلو اعترفت الطائفة الأولى بوجود الله ووجود أنبيائه لقالت هي أيضا بامكامهما من غير فرق ولا وجه للتفريق بيهما باثبات المعجزة العقلية ونفي المعجزة الكونية ، الا أن يرادمن المعجزة العقلية ما يكون منشؤه التفوق العقلي المنظيع النظير لمن أتى بالمعجزة فلا يخرج على سنة الكون وانما يكون مبلغه أسمى ما يستطيع انسان أن يبلغه . ورعما يجد القارى المفكر تلاؤما مع هذا التوجيه في قول معالى المؤلف: ص 35

« فحياة محمد حياة انسانية بلغت أسمى مايستطيع الانسان أن يبلغ ، ولقد كان ويسلطية وريسا على أن بقدر المسلمون انه بشر مثلهم يوحى اليه حي كان لايرضى أن تنسب اليه معجزة غير القرآن ويصارح أصحابه بذلك (١) وقلنا عند الكلام عن قصة شقى الصدر انما يدعو المستشرقين ويدعو المفكرين المسلمين الى هذا الموقف من هدذا الحديث أن حياة محمد كلها حياة انسانية سامية وانما لم يلجأ في اثبات رسالته الى مالجأ اليه من سبقه من أسحاب الخوارق وهم في هذا يجدون من المؤرخين العرب والمسلمين سندا حين ينكرون من حياة النبي العربي كلها مالايدخل في معروف المقل ويرون ماورد من ذلك غيرمتفق مع مادعا القرآن اليه من النظر في خاق الله وان سنة ويرون ماورد من ذلك غيرمتفق مع مادعا القرآن اليه من النظر في خاق الله وان سنة ويرون عود لها تحويلا »

فهذا القول من المؤلف غاية في التخليط والتشويش لا يصعب فهمذلك لمن أحاط بتفاصيل ماقلنا في تحليل أقواله ، ففيه اعتبار الممجزة مما لا يدخل في معروف العقل أي مما يخالف العقل ماقلنا في تحليل أقواله ، ففيه اعتبار الممجزة مما لا يدخل في معروف العقل أي مما يخالف العقل وما يخالف سنة الكون، وفيه توهم كون الاعتراف بالمعجزات مانعا عما دعا اليه القرآن من النظر في خلق الله ، وفيه الاستدلال على نفى المعجزات بقول الله تعالى : (ولن تجد لسنة الله تحويلا) ، وكل ذلك خطأ ، وفيه زيادة على الحطأ عدم اعتبار حياة الأنبياء السابقين الذين ظهرت على أيديهم الحوارق حياة سامية انسانية ، وفيه ايهام ان الاولى بحياة النبي ان تكون حياة سامية انسانية ليست فيها خارقة لسنة الكون وان شئت فقل : ولا ارسال ملك ولا انزال كتاب بنصه ، لأنهما أيضا من الحادثات الخارقةلسنة الكون وقانون الطبيمة فلا تتوقف النبوة على شيء من هذا القبيل المستحيل وانما معجزة النبي هي التفوق المعقلي والخلق السامي االذي به يبلغ أسمى ما يستطيع انسان أن يبلغ

<sup>(</sup>۱) لایخنی أن كاتب حیاة نبینا مجردة عن المعجزات غیر الفرآن لو وجد حدیثا یصارح رسول الله أصحابه فیه بانه لایرضی ان تنسبالیه معجزة غیر الفرآن لبادر الی ذكرهذا الحدیث قبل كل شیء حتی قبل ذكر الحدیث الموضوع الذی تمسك به وهو یجعل الفرآن مقیاسا لقبول الحدیث أو رفضه

فمعنى كون القرآن اذن معجزة عقلية انسانية مفترقة عن المعجزات الكونية فى الاثبات والنفى أن يكون الاتيان به من الانسان ملتئمة مع العقل كمن أتى بكتاب يمحز غيره أن يأتى بمثله فى البلاغة أوفى أى مزية من المزايا!!

فنى هذه الأسطر المنقولة آنفا من كتاب «حياة محمد» أشياء كثيرة يؤخذ مؤلفه بها والمأخذ الأخير يتفق اتفاقا مع كلام الشيخ محمدعبده فى تعريف النبى والرسول الذى نقلناه قبل الشروع فى نقل أقوال عن مقدمة الطبعة الثانية لكتاب هيكل باشا ونقدها، نعم فى هذا المأخذ الأخير بعض مغالاة منا فى سوء الظن بعقلية العصريين فى مسألة المعجزة والنبوة كما انا أخذناهم وقادتهم من علماء الدين. وما أجدر أيامنا معهم بقول الطغرائي:

وحسن ظنك بالأيام مَعجزة فظن شراً وكن منها على وجل
ومهما غالينا في سوء الظن بهم فــلا تعدل مغالاتنا مغالاة غــيرنا في سوء الظن
بكتب الحديث ورواية المحدثين جملة بل الائمة المجتهدين أيضا لحد مايؤدى الى اسقاط
الاحكام الشرعيــة المبنية على ركن الســنة من حيز الاعتداد والاعتماد والله يهدينا
ويهديهم سواء السبيل

٥

الخامس مما يقضى به الانصاف ومع ذلك من الغرب أن الذين أرادوا تجريد حياة محمد علي من المعجزات الكونية حتى أثاروا في سبيل هدا التجريد الشك في مكان السنة من الاسلام ، انما جنحوا الى هذا الشذوذ الخطير المحد وركبوا متن هذا الشطط والاسراف في التضحية ، لدافع حسن في نفسه وهو ترغيب عقلاء الغرب في الاسلام وتحبيبه الى قلوبهم وتقريبه من عقولهم ، فكأن المعجزات الكونية والروايات عنها في كتب الحديث والسيرة أصبحت عيبا على الاسلام وحياة نبيه عليه الصلاة والسلام . وبهذه العقلية لابغيرها فسر الشبيخ محمد عبده سورة الفيل من القرآن

بما فسر واقتدى به ممالى هيكل باشا حيث قال فى كتابه عند ذكر وقمة الفيل:

«كان وباء الجدرى قد تفشى فى جيش أبرهة وبدأ تفتك به وكان فتكا ذريما لم
يعهد من قبل ، ولعل جراثيم الوباء جاءت مع الريح من ناحية البحر وأصابت المدوى
نفس أبرهة فأخذه الروع وأمر قومه بالعودة الى المين وفر الذين كانوا يدلون على
الطريق ومات منهم من مات . وكان الوباء يزداد كل يوم شدة ورجال الجيش يموت
منهم من يموت بغير حساب . وبلغ أبرهة صنعاء وقد تناثر جسمه من الرض
فلم يقم الا قليلاحتى لحق بمن مات من جيشه . وبذلك أرخ أهل مكة بمام الفيل
هذا ، وقدسه القرآن»

قال هكذا ثم كتب سورة الفيل بنصها كأنها جاءت طبق ما حكاه من أبرهة وجيشه أهلكم وباء الجدرى من غير أن يكون هناك شيء من الطير الأبابيل ولا مما رستهم به من حجارة من سجيل كما لم تذكر سورة الفيل شيئا من وباء الجدرى الذي أبادهم في حكاية هيكل باشا . فكانت صورة الحكاية مع ما كتب في نهايتها من آيات السورة آية في الجمع بين المتخالفين (۱) فماذا تقولون في ، والف كتاب «حياة محمد» الذي كان يشترط في قبول الأحاديث النبوبة موافقتها للقرآن ثم نراه لايراعي شرط الموافقة للقرآن في تفسير القرآن ؟ فكيف لايطه بن على صحة تفسير سورة من القرآن بهدنه من أحاديث المعجزات وغيرها ثم يطه بن على صحة تفسير سورة من القرآن بهدنه الصورة المأخوذة من تفسير الشيخ الراغي والشيخ رشيد رضا صاحب مجلة « المنار » ومن يؤيدونه مثل فضيلة الشيخ الراغي والشيخ رشيد رضا صاحب مجلة « المنار » لم يرد في القرآن ذكر معجزة كونية لسيدنا محمد من القرآن ذكر ومعجزة كونية لسيدنا محمد من القرآن ذكر والوكانت وردت

<sup>(</sup>۱) كان الشيخ محمد عبده قد أغضبه دخول أقوام غير العرب في الاسلام و في حكومة الحليفة العباسى المعتصم فقال: استعجم الاسلام في عهده مع أنه لاغرابة في استعجام الاسلام كما لاغرابة في استعجام الاسلام كما لاغرابة للسعوابه لسكونه دينا غيرخاص بقوم دون قوم واتحا الغرابة كل الغرابة في استعجام الفرآن العربي بنفسير الشيخ لسورة الفيل بما لانتحماه المة الفرآن

فماذا بنجع في المنكرين مالم يموزهم تأويل كتأوياهم في سورة الفيل ؟ (١)
وكل هذه التأويلات البعيدة التي لايقبلها العقل على الها مفهومة من النص القرآني
ولا يعدها تفسيرا بل تغييرا فاحشا انما ترتكب لاحساس الحاجة الى تطبيق الاسلام
على رغبات المستشرقين من الغربيين وامالته نحو هواهم ان لم تمكن امالتهم نحوه التي
هى فعل الأبطال الدائدين عن كرامة الاسلام ، بما لا يموزهم من الحجج، في حين أن
الموقف الأول موقف العاجزين الذين لا يستنكفون عن اجراء التعديلات في الاسلام
المعروف عند أهله بل عند الأجانب عنه الناقدين له ، ويقصدون بتضحيتهم من دبهم
هذه ارضاء أولئك الناقدين والتخلص من نقدهم كما يشهد بذلك قول مؤلف «حياة

« حسبوا ان ذكرهذه المعجزات ينفع ولا يضر . ولو أنهم عاشوا الى زماننا هذا ورأوا كيف اتخذ خصوم الاسلام ماذكروه منها حجة على الاسلام وعلى أهله لالتزموا ماجاء فى القرآن . ولو أنهم عاشوا فى زماننا ورأوا كيف تزييغ هذه الروايات فلوبا وعقائد بدل ان تزيدها ايمانا وتثبيتا لكفاهم ذكر مافى كتاب الله من آيات بينات وحجج دامغة »

وأنا أقول مضرة هــذه الروايات عن المعجزات تتصور عند معالى المؤلف وغيره

<sup>(</sup>۱) وكان الذى ينبغى للدكتور هيكل كاتب «حياة محمد » ان يقول عن حادثة الطير الأبابيل عام القبل النبيل عام القبل الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلا من ان يحرف السورة النازلة في القرآن بشأنها عن معناها اتباعا للشيخ محمد عبده وإلغاء للخارقة التي نصت عليها السورة وكانت معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم تقدمته وتسمى هذه المعجزة المقدمة على بعث الأنبياء ارهاصا ، كان الذي ينبغى للدكتور هيكل ان يقول كاقال الفاضل الهندى كاتب السيرة الممارة الذكر :

<sup>«</sup> انمحى جيس أبرهة بالحجارة التي رمتها الطير الأباييل عليه وكانت آية من كبريات الآيات يجب على المسلمين والمسيحين ان يتنبهوا لكونها لم تقع لانقاذ مشركى مكة من شر أبرهة الذي كان مسيحيا والذي كان دينه أعلى من دين مشركى مكة ، وانحما كان وقوعها ايذانا لظهوره صلى الله عليه وسلم صاحبا حقيقيا لمسكة وكان معجزة من معجزاته ، ولذا قال الله تعالى في أول السورة مخاطبا له صلى الله عليه وسلم (ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل الح)

من المتتبعين لعقليات الغرب ومرضاتهم ، بكونها مخالفة لسنة الكون ومقتضى العقل وقد أسند معاليه عدم اثبات المعجزات في كتابه الى هذين المانمين معالمو انع الأخرى. وواجب المسلم عندنًا ، واجبه المتمين تجاه هذه الحالة مجابهة هذه العقلية الباطلة بردها على أصحابها واثبات ان المعجزات الكونية لا تخالف مقتضي العقل وان خالفت سنة الكون وأن مخالفتها غير مستحيلة من سنها ، اثباتاعلميا كم فعلنا في أول هذا الكتاب فان لم يقم بهدذا الواجب بل تقهقر أمام الناقدين الغربيين بالتنازل عن المعجزات الكونية والتبرؤ باسم الاسلام من رواياتها في كتب الحديث والسميرة بل من جميع الروايات التي اعتمدعليها أصحاب تلك الكتب ورفعوها الى النبي علينية سواء كانت متعلقة بالمجزات أو بغـيرها ، بحجة ان في الأحاديث المنسـوبة اليه موضـوعات اختلطت بصحاحها والتبس الأمر . فهذا الذي هو فرار من الواجب الى ماهو أسهل وأرخص (١) والى ماوراء الأسميل والارخصمن الأخس والأرذل ، لايكون فيه أدني فائدة في استمالة الناقدين أعداء الاســــلام الى الاســــلام وفي التخفيف من غلواء تعصبهم عليه لأنهم يعرفون كتب الحديث والسير ومافهما ومابذل فيتمحيص رواياتها من المساعي الجبارة . فلا يقبلون تبرؤ المتبرئين من المسلمين منها على أنه تبرؤ الاسلام نفسه بل يعدونه مصانعة وتسكمًا وضعفًا ناشئًا من الضعف في نفس الاســـلام. وهل يظن ان علماء الغرب وعقلاءه يقبلون مثلا تفسير سورة الفيل بما فسر به المتبرئون على انه تفسير صادق مطابق للسورة ؟

ومثل الناقدين الأجانب الناقدون من أبناء المسلمين الذين لاتمجبهم معجزات نبينا الكونية المنسوبة اليه في كتب الحديث والسيرة ، لايقنمهم التبرؤ منها وتسكون

<sup>(</sup>١) أسهل وأرخص من تمييز صحاح الروايات عن زيوفها ثم الدفاع عن صحاحها ، ولا يظن ان فيه صعوبتين صعوبة التمييز وصعوبة الدفاع عن الصحاح لأن صحوبة التمييز أزالها النقاد من علماء الحديث قدما وانما رأس البلية ظن الفارين من الواجب عدم امكان الدفاع عن الروايات الصحيحة أيضا

مصانعتهم واسترضاؤهم بالتنازل عمافي كتب الحديث والسيرة من روايات المعجزات أشد مساسا بكرامة الاسلام وأشأم ، وهل هم الرادون وياللاً سف من أصحاب القلوب والعقائد الزائغة في قول معالى المؤانف : « ولو أنهم عاشوا في زماننا هذا ورأوا كيف تزيغ هذه الروايات قلوبا وعقائد، بدل ان تزيدها ايمانا وتثبيتا » ? وعلى أعناقكم أيها المتبرئون المتنازلون الفارون عن واجب الكفاح امام أعداء الاسلام وزر تلك القلوب والعقائد الزائغة ، لاعلى أعناق . ولني السير وجامعي الأحاديث مثل البخاري ومسلم ومالك وأحمدوأبى داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم رحمهم الله ورضيعتهم أليس سبب هذه الازاغة ظنهم بالمجزات الكونية انها لانتفق معالعقل؟ فاذن لو نحيتم تلك المعجزات عن الاسلام وفاديتم الأمر بالتبرؤ من كتب الحديث وكتب السير على الرغم من كون معنى هذا التبرؤ التضحية بثانى الركنين الرئيسيين من أركان الاسلام وهما الكتاب والسنة ، وا كتفيتم بالكتاب أعنى القرآن فهل تظنون انكم أنقذتم القلوب الزائغة وأنقذتم القرآن ؟ فماذا تفعلون بالمجزات الكونية التي يعترف بها القرآن ولو بالاضافة الى أنبياء الله السابقين (١) ويعتسبرها آيات بينات وبراهين من ربهم رغم الشيخ صاحب المنار الذي زاغ قلمه مع القلوب الزائغة فاعتبر المعجزات الكونية شبهة وقال : « لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضي وأن المفتونين بها الخرافيون» والذي استظهر بقوله مؤلف « حياة محمد » ؟ بل كيف تجردون القرآن عن المعجــزة الـكونية المضافة الى نبينا ونبيكم مع سائر الأنبياء ألا وهي على الأقل الوحى والنبوَّة وانزال الملك والـكتاب وكل ذلك يخالف سـنة الـكون ويأباء العلم الحديث المبنى على التجربة الحسمية الحاضرة علم الزائني القلوب؟ فهل تتبرأون اذن من القرآن أيضا وتصحون به كاضحيتم بالأحاديث؟ بل ان هذا المدعو علما لايمترف

<sup>(</sup>١) أم تطمعون فى اقتاع أصحاب القلوب وهم متعلمون ، بأن الآيات الواردة عنها فى القرآن ، بل وآيات الباث بعد الموت أيضا التى تملا الفرآن والتى لايقبلها العلم المذكورأيضا ، آيات متشابهات تمير مفهومة المعنى ولا مطلوبة الفهم كاهو رأى الأستاذ قريد وجدى ؟

بوجود الله الذى أرسل الرسل وأيدهم بالمجزات، وهو أىعدم اعترافه بهأصل زيخ الزائفين وأساسه . فهل تتبرأون من الله أيضا وتكونون علماء ذلك العلم الكاملين بدل ان تكونوا انصاف العلماء؟؟

فعلى القائمين بواجب الحيلولة دون زيغ القلوب المستعدة له أن يتشجعوا فيصارحوا ذوى القلوب المذكورة بالحقيقة انكان القاءون أنفسهم أدركوها حق الادراك ولا يداوروهم، وتلك الحقيقة أن يقال لكل من زاغ قلبه بسبب المعجزات أو الخوارق المنسوبة الى أى نبى من أنبياء الله بناء على أنها تخالف العلم : كن عاقلا قبل أن تكون عالماً . وقولى هذا يضاهي ماقال « مونته ني » : « إن الرأس الجيد الانشاء أولى من الرأسالجيد الملء» فقد يكون العلم مشوبا بالجهل يشوبه علماؤه المتعدون به حدوده. وعند ذلك يفترق العقل عن العلم ويكون قوله الفصل . والمعجزات لا ينكرها العقل كما بيناء في أوائل هذا الكتاب ( الصغير ) ، فليس بصحيح مايقال انها تخالف مقتضى المقل واتما هو قول الذين التبس عليهم العقل الحر والعلم المقيد بسنة الكون فظنوا الكل سواء . ويجدر بنا أن نورد هنا ما قلناه في الفصل الثاني من الباب الأول من هذا الكتاب(١) ردا على المنكرين لوجود الله بناء علىأنالملم لايمترف بوجوده وكان عنوان ذلك الفصل « موقف العلم من الله » وهــذا العلم الذي لا يعترف بوجود الله يريدون به العلم الطبيعي ، ومن دأب الغرب المادى والشرق المقلد انهما يذكراناالعلم مطلقا ويريدان ذلك العلم كأنه لاعلم غيره . وهذا ماقلنا في الفصل المذكور :

« القائلون بوجود الله لايقولون به على أنه موجود طبيعى بل يقولون به على انه موجود ضرورى يضطرنا الدليــل العقلى المنطق الى الحــكم بوجوده واستحالة عــدم وجوده . فهو موجود بوجود فوق وجود الموجود الطبيعى الذى لاضرورة فى وجوده وكان من المكن أن لا يكون موجودا ، ولهذا تحتاج عندالقول بوجودالموجود الطبيعى

<sup>(</sup>١) نعني الكتاب الكبير الذي لم ينصر بعد

الى التجربة الحسية فتراه بعينك أو تلمسه بيدك أو تحسه بحاسة أخرى ثم تستية ن وجوده ، ولا يضطرك عقلك قبل التجربة الى الاعتراف بوجوده . ولا كذلك الموجود الفرورى الوجود . فن الطبيعي أن لا يعلمه العلم الطبيعي الذي يختص علمه بالطبيعيات المكنة الوجود والمدم . ونحن القائلين بوجود الله لا حاجة لنا بان يعلمه العلم الطبيعي ولا أن نعلمه بواسطة ذاك العلم . فلو أن العلم الطبيعي أثبت وجود الله كوجود واحد من الطبيعيات لما أقنعنا ذلك لعدم لزوم كون ما أثبت وجوده واجب الوجود بل من الطبيعيات التي هي موجودة بالوجود الواقعي فقط لابالوجود الواجبي الضرورى الذي هو الوجود بوصف مضاعف والذي هو وجود الله

« فمن الطبيعى اذن أن يجهل العلم الطبيعى بالله ولا يجده فى الطبيعة . ولكن ليس بطبيعى أن يجهل علماء الطبيعة وهواتها انالعلم الطبيعى اذا لم يجد الله فى الطبيعة لعدم كونه من الطبيعيات وعدم تعلى العلم الطبيعى بما وراء الطبيعة ، لايلزم منه عدم وجود الله مطلقا فيكون واجبا عليهم أن يعلموا وجوده بواسطة غير العلم الطبيعى . فان جهلوا به بناء على ان علم الطبيعة المبنى على التجربة الحسية لا يعلمه لم يكونوا معذورين لان الانسان لايعيش بنوع واحد من العلم ولا يكون به انسانا

« ومن الطبيعى أيضا بناء مسائل العلم الطبيعى على التجارب الحسية وعدم التعويل على مالم يثبت بها من تلك المسائل ، واكن من الجمل أن تُجمل التجربة التي هى المقياس الأسلم والقسطاس الأقوم في الطبيعيات لكونها أى التجربة الحسية نفسها من الأفعال الطبيعية، مقياسا فيما وراء الطبيعة أيضا فيُحكم بناء على عدم دلالة التجارب الحسية على وجود الله ، بعدم وجوده

« فعلى هذا التفصيل يمكن أن يكون لقولهم: ان العلم لايدلنا على وجود الله وجه معقول ، وذلك بحمل مرادهم من العلم على العلم الطبيعى . ولا وجه أصلا لقول «كانت» ان العقل النظرى لا يدلنا على وجود الله ، لان نطاق العقل النظرى لا يقاس

ولا يحد بنطاق العلم الطبيعى ، فهو انما يغرف الوجود العادى أى يعرف الوجود ولا يعرف وجوب الوجود الذى يمتاز به الله ويمتاز بمعرفته العقل النظرى . ولا وجهاً يضا لان يطلق العلم في القول الاول ويراد به العلم الطبيعى كأن غيره من العلوم ليس بعلم أو ليس بعلم مثبت أو ان اثباته دون اثبات العلم الطبيعى ؛ بل عرفت مما نبهناك عليه في كثير من مباحث هذا الكتاب (الكبير) ان اليقين العقلي فوق اليقين الحسى . فليس لاحتكار اسم العلم على العلم الطبيعى ، كما هو دأب الغربي الحاضر ومقلده الشرق، وجه معقول . اللهم الا أن يقال: ان أنفع علم في الحياة الدنيوية يستخدم في حوائج البشر هو ذلك العلم الكثير الانتاج الذي حصل به الرق الأخير الصناعى في الغرب، واستعال مطلق العلم في العلم الطبيعي من المحدثات الأخيرة أيضا . وبقدر ما يصح هذا التوجيه يظهر سر قوله تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) . انتهى ماقاناه فيا سبق وأردنا اعادته هنا

فكما قلنا هنالك في مسألة وجود الله نقول هنا في مسألة المجزات: ان الحكم فيها بالامكان والاستحالة لا يدخل في اختصاص العلم الطبيعي . نعم من اختصاصه الحكم بأن المعجزات تخالف سنة الكون بشرط أن لا يجاوز حكمه هذا الى الحكم باستحالة المخالف لسنة الكون ، لان هذا العلم لا يعرف المحال ولا الممكن ولا الواجب بميزانه الذي هو التجربة الحسية وانما يعرف الواقع وغير الواقع في زمن التجربة ، وقد فصلنا ذلك فيا سبق غير ممة . اما مخالفة المعجزات لسنة الكون فنحن نعترف بها ولا ندعى ان المعجزات من الأفعال الطبيعية وانها تنطبق مع سنة الكون التي هي سنة الله الاستثنائية . ونحن لانقبل كون مخالفة المعجزات لسنة الدكون مانعة عن وقوعها ، بل ان هذه المخالفة لازمة مطلوبة للكون المعجزة معجزة ، ولا نقبل أن سنة الله بمدى سنته في الكون الطبيعي لن تجد لما تحويلا ولو كان الحول هو الله نفسه واضع تلك السنة

ثم ليعلم الذين يتنازلون عن معجزات نبينا الكونية ويقصرون معجزته علىالقرآن ارضاء لمنكرىالمعجزات والخوارق منالستشرقين وتفضيلا لموافقتهم في عقلية الانكار على تجشم معارضتهم : ان القرآن مهما حبباليهم وأعجبوا به فلا يبلغ تقديرهم واعجابهم مبلغ اعتباره معجزة تثبت بها نبوة محمد وَلَيْكُنْ . وقد يُطمع منهم أن يعدوه أفضل كتاب في الدنيا وضعه البشر . أما انه كلام الله أنزل على خاتم أنبيائه ليكون له معجزة النبوة فأمر خارق لسنة الكون لن يقبله منكرو المجزات والخوارق. وما دامأناس من المسلمين وفيهم معالى مؤلف « حياة محمد » ينكرون معجزاته الـكونية لا لعدم استنادها الى الروايات الصحيحة بللكونها أيضا مخالفة لسنة الكون، مخالفة للعلم، مخالفة لمقتضى العقل؛ فكيف ينتظر من المستشرقين الذين لايدينون بالاســــلام ان يقبلوا القرآن على انه من للمجزات الحارقة أعنى انه كلام الله لا كلام سـيدنا محمد ؟ فالواجب اذن أن يداوى أساس الداء وتقاوم حملات المنكرين من جباهما . وما أجدر معالى المؤلف الذي لجأ الى عصيان العلم في مسألة الوحي والنبوة واعترض على سلطته (١) ما أجدر. بأن يمصيه في مسألة المجزات أيضا التي لاتنفك عن النبوة ولا يعترف بسلطته فيما وراء الطبيعــة مطلقاً . لكنه ضحى هناك بالعلم وهنا ضحى بالمعجزات وكتب الحديث وشيء كثير معها من الاسلام في سبيل مماشاة العلم فلم ينتظم له المسلك أما المستشرقون الذين انتهج مؤلف كتاب « حياة محمد » هـذه الطريقة الملتوية لقطع ألسنتهم المتطاولة ضد الاسلام من جراء روايات العجزات الكونية \_ وما هو بقاطع كما عرفت \_ فاما ملاحدة ماديون أو نصارى متعصبون لدينهـــم . فان كانوا ملاحدة فلا يرضهم التنازل عن معجزات نبينا غير القرآن بحجة انها معجزات كونية ولم يرد ذكرها في القرآن ، رجاء ان يعترفوا بمعجـزة القرآن . وان كانوا نصارى فكيف يمترضون على معجزات محمد ميكالين الكونية ويمدون الأحاديث المروية عنها

 <sup>(</sup>١) يظهر ذلك بمراجعة الطبعة الثانية لكتابه ص ٤١ -- ٤٢ وهـذا دليل على ان العلم
 لايقبل الوحى والنبوة أيضا وانهما ممايخالفسنة الكون كالمعجزات

عاراً على الاسلام لأجل كوبها مخالفة لسنة الكون ومقتضى المقل والملم ، في حين معجزة وأوفقها لأن يكون معجزة مؤيدة لنبوة خاتم الأنبياء يخاطب المقول الناضجة معجزة وأوفقها لأن يكون معجزة مؤيدة لنبوة خاتم الأنبياء يخاطب المقول الناضجة بارشادات من سبقوه صلوات الله عليهم كلهم وكان بهذا المعنى حجة عقاية لابمه في اليس بمعجزة كونية خارقة لسنة الكون لأنه معجزة عقلية وكونية مما ، وكان خصيصا أحرى بأن يؤمن به الغرب الراقى الناضج المقل ، قبل الشرق ولسكن أين ذلك من الغرب الذي يعمه في طغيانه ويريد ان يخرج الشرق المسلم من دينه ويعاديه لدينه وقرآنه . وهذا في حين ان المسلم الغافل يتنازل عن شطر دينه ومعجزات نبيه تزلفا اليه ، وهيهات لا يضميه الا التنازل عن الشطر الباقي أيضا ، وهيهات من أصحاب القلوب الزائفة من الشرقيين أن يرجعوا بهذا القدر من التنازل الى رشدهم مادام الغرب الذي هم مقلدوه لا يعده كافيا و يستمر في مناوأة الاسلام ومكافحته

مضى بها ما مضى من عقل شاربها وفى الرُّجاجَة باق يطلُبُ الباق فبالنظر الى ان معجزة القرآن المقلية ماأثرت فى قلوب الغربيين المعدودين أعقل الأمم ، والى ان مرض الانكار والاستبعاد للمعجزات الكونية قدأ عدى الشرق من الغربيين ، ومع ذلك نراهم أى الغربيين لا يزالون مرتبطين بالأنبياء الذين لهم معجزات كرنية ، فالسعى فى تجريد نبينا عن المعجزات الكونية لاسمالة الغربيين ليس الا غفلة ظاهرة وسذاجة باهرة

وقد كتب معالى المؤلف في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه نوعين ممن انتقدوه: فكاتب مصرى مسلم بعث بمقالة الى مجلة المستشرقين الالمانية نقدا لكتاب «حياة محمد» وبعث ترجمة عربية لمقالته الى المؤلف يؤاخذه فيها على اعتماده على المصادر العربية واعتباره القرآن وثيقة تاريخية لامحل لريبة فيها مع ان مباحث المستشرقين من أمثال «فيلد» و «جولدزهر» و «نولدكي» وغيرهم تدل على انه حرف وبدل بعدوفاة النبي

والصدر الأول للاسلام واسم النبي بعض مابدل فيه فقدكان اسمه «قثم» أو «قثامة» ثم بدل وصار «محمد» ليتسنى وضع الآية (ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) وأضاف الكاتب الى أقواله هذا أن بحوث المستشرقين دلت كذلك على أن النبي كان يصاب بالصرع وأن ماكان يسميه الوحى انما كان أثراً لنوبات الصرع التى تمتريه ومعاليه شكرالله سعيه رد على فرية تحريف القرآن في صدر الاسلام بشواهد مفحمة من كلات المستشرقين وعلى فرية الصرع بأدلة علمية حاسمة (١)

والنوع الثانى من نقاد كتاب « حياة محمد » سماهم مؤلفه ببعض المستغلين بالعلوم الدينية الاسلامية الذين آخذوه بأنه يرجع الى أقوال المستشرقين ولا يأخل بكل ماسجلته كتب السيرة وما روته كتب الحديث متصلا بسيرة النبي العربي

ور بما يتوهم هنا متوهم فيلتمس عدرا للمؤلف فيما سلك في كتابه من النوسط بين عقلية ذلك الكاتب المصرى المسلم الذي هو أبعد بكثير من الاسلام من المستشرقين وبين عقليات ذلك البعض من المشتغلين بالعلوم الدينية الاسلامية كما قال المؤلف نفسه:

« بينا يؤاخذنا غلاة المصدقين لما أسرف فيه المستشرقون بانا نعتمد على المصادر العربية ونستند الى ماورد فيها ، اذا بعض المشتغلين بالعلوم الدينية الاسلامية يؤاخذوننا بأننا نرجع الى أقوال المستشرقين ولا نأخذ بكل ماسجلته كتب السيرة وماروته كتب الحديث متصلا بسيرة النبي العربي واننا لانهج نهج تلك الكتب »

لكن تحقيق الحقائق ووضع النصاب لها الذى هو واجب الؤلف فى أى موضوع من موضوعات المؤلفين الثقات الأثبات لم يكن تأليفا بين المتساويين المتباعدين واحتيار وسط تتعادل نسبته الى الطرفين . وليس بمستقيم ظهور الؤلف عند الشكاية من تشدد المشتغلين بالعلوم الدينية عليه فى مظهر من أوخذ لعدم أخذه بكل ماسجلته كتب السيرة

<sup>(</sup>١) والكاتبأشنع مثال لمبلغ كتاب يعدون من المسلمين وهم كفار بدينهم وكتابهم ، في تقليد الغريبين حتى معاداة الاسلام العمياء

وكل ماروته كتب الحديث متصلا بسيرة النبي عَلَيْكِيْنَ ، فلا علم لنا بنص ماكتبوا في مؤاخذته على أثر الطبعة الأولى لكتابه ، لكنا نحن لم نؤاخذه لعدم أخذه بكل ما في كتب السيرة والحديث متصلا بحياة نبينا بل لكونه عند الجواب على مؤاخذة الاولين في مقدمة الطبعة الثانية ، رمى كل مافي تلك الكتب بشهة الكذب

## 7

السادس اذا كانت المعجزات خارقة لسنة الكون وكان خرق السنة جائزا لامانع منه بل لازما ضروريا للمعجزة لتكون معجزة فلماذا يشهد القرآن بأن سنة الله ان تجد لها تبديلا ؟ فهذا السؤال يمكن أن يخالج بمض الأذهان بعد مطالعة ما كتبنا الى هنا كا خالج ذهن هيكل باشا قبل مطالعة ما كتبنا حيث قال ص ٥٥ من الطبعة الثانية لكتابه:

« ولو أن أمة مسلمة آمنت اليوم بهذا الدين من غير حاجة الى التصديق بمعجزة غير القرآن لكان الذين آمنوا من أبنائها أحد رجلين رجل لم يتاجاج قلبه ولم يتعثر فؤاده بل هداه الله الما الايمان أول مادعى اليه كما هدى أبا بكر فآمن وصدق من غير تردد . وآخر لم يلتمس ايمانه فيما وراء سنة الكون من خوارق بل التمسه في خلق الله هدا الكون الفسيح الارجاء الذي يقصر تصورنا دون ادراك حدوده في الزمان والمكان وتجرى أموره مع ذلك على سدن لا تحويل لها ولا تبديل (١) فاهتدى من

<sup>(</sup>۱) ماقاله من النظر فى خلق الله هــذا الكون الجارى على سنته أنما ينفع فى إيمان الرجل بالله خالق الكون لافى ايمانه بهذا الدين أى الاسلام وقد قلنا فى أوائل هذا الكتاب: إن سنة الكون ونظامه العام دايل على وجود الله وخرق تلك السنة يكون دايلا على وجود أنبيائه والدين المتضمن للتكليف من الله أنما يكون مبدأه الايمان بالنبي لا الايمان بالله فقط فعالى الباشا الذى أراد تحليل ايمان الرجل التأنى بدين الاسلام من غير حاجة منه إلى التصديق بشيء من الخوارق ، لم يوفق لذلك أعاد الله المرآن فلنا الرجل بنبي الاسالام بعد ايمانه بالله ؟ فان قال سبب إيمانه به القرآن وفرضنا أنه يفهم اعجاز القرآن فلنا ان القرآن أيضا من الخوارق فلولم يكن خارقا لسنة الكون لما كان معجزة ولم يعجز الناس عن الانبان يمثله

سنن الله في الكون الى بارئه ومصوره. سوا، عند هذين أكانت الخوارق أم لم تكن (١) بل ها لا يفكر ان في هذه الخوارق على أنها من آيات فضل الله. ومثل هذا الايمان براه الكثيرون من أعمة المسلمين مشلا أسمى في الايمان. ويذهب بعضهم كذلك الى أن الايمان الصحيح يجب أن لايكون مصدره خوفا من عقاب الله أو طمعا في ثوابه بل يحد أن يكون ايمانا خالصا بالله وفناء تاما فيه »

أقول من الغفلة أو التفافل ان يبحث عن اعمان كايمان أبى بكر فى العصريين الدين يساوموننا ويشترطون فى ايمانهم بالله وبالقرآن ان لايمترفوا بمعجزات تخرق سنة الكون (٢) كأن الله غير فادر على خرقها أوكا أنه لم يكن هو الذى سنها وانما هى طبيعة الكون ، كافال بذلك محمد ثابت الفندى فى مقالته التى نالت الجائزة الأولى من لجنة المباراة الصحفية والتى من الكلام عليها فى مقدمة الكتاب الكبير وهم لايزالون فى ايمانهم بالله وبالقرآن طبيعيين ، وكائن القرآن لا يعترف مثابهم بتلك المعجزات

<sup>(</sup>۱) يكاد الباشا يقول: « وسواءكان النبي أولم يكن» ولا يعتذر عنه بأنه لايقول ذلك لأنه أذا لم يكن النبي فمن يدعو الرجل الأول الى الايحان؟ لانا نقول في جوابه ومن أين يعلم ان الداعى نبي من أنبياء انة اذا لم تكن معه علامة لنبوته ورسالته من الله؟ وهي المعجزة الحارقة. فالذين لاتعجبهم المعجزات يطنون ان أتصارها يلتزمون وجودها مع النبي من غير حاجة اليها لامن النبي ولا من الذين أرسل اليهم

<sup>(</sup>۲) وقد قال معاليه عن أبى بكر فى كتابه فى مبحث الاسراء: « مالبث محمد حين حدثهم بأمر اسرائه ان ساور أتباعه والذين صدقوه أنفسهم بعض الريب فيا يقوله . وقال كثيرون والله انالعير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة أيذهب محمد ذلك فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة وارتد كثير ممن أسلم وذهب من أخذتهم الريبة فى الأمر الىأبى بكر وحدثوه حديث محمد فقال أبو بكر لأن كان قد قائه بكر انكم تكذبون عليه قالوا بلى هاهو ذاك فى المسجد يحدث الناس قال أبو بكر لأن كان قد قائه لقد صدق انه ليخبرفى ان الحبر ليأتيه من الله من السهاء الى الأرض فى ساعة من ليل أونهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه »

فهل أبو بكر الذى شبه به معاليه أحد رجلين مستغنيين فى ايمانهما عن الخوارق المخالفة لسنة الكون لما سمع حديث الاسراء آمن به ؟ أم لم يؤمن وقالى لاحاجة لى فى ايمانى الى هدده الخارقة الحالفة لسنة المكون ؟

الخارقة الظاهرة ولو على أيدى الأنبياء السابقين وكانها رغم شرادة القرآن بها ليست معجزات معقولة مقبولة عند أصحاب المقول الراجحة أوكأن الايمان بالقرآن جملة مع عدم الاعتراف ببعض مافيه يعتبر ايمانا ويكني في دين الاسلام، وكأنَّى بماليه يفتي في كل ذلك بالحواز وتدور فتاواه على محور سنة الكون التي لاتحويل فيها ولا تمديل. أما قوله المتناقض مع فتاواه وهو « بل هالا يفكران في هــذه الخوارق الا على انها من آيات فضل الله » فغاية مايفهم منه إن معاليه متردد في هــذه المسائل لم يستقر رأيه على شيء كمايقال عن الفتي المتردد في الفتوى : « أنه يقدم رجلا ويؤخراً خرى» ومع هذا الاضطراب في الرأي فهو أميل الى نفي الخوارق منه الى اثباتها تمسكا بسنة الكون المؤيدة بالعلم وبصراحة القرآن القائلة : ﴿ فَلَنْ تَجِدُ لَسَنَةَ اللَّهُ تَبِدِيلًا وَلَنْ تَجِد لسنة الله تحويلا )! ! لأنه اذا كانت هذه الصراحة القرآنية مانعة عن الخوارق لزمان تقع أنباء القرآن عن معجزات الأنبياء السابقين مثل ابراهيم وموسى وعيسى وصالح وسلمان وغيرهم صلوات الله علمهم ، تحت شهة الكذب والوضع كالأنباء المروية في كتب السيرة والحديث عن معجزات نبينا عِيْسَانَةُ على رأى معاليه أو تسكونَ الآيات الواردة في القرآن الناطقة بأنباء معجزات الأنبياء آيات متشابهات غير مفهومة كاقال الأستاذ فريد وجدى وان كان القرآن ينادى بقوله ( لقد كان في قصصهم عبرةلأولى الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كلشيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

معالى مؤلف «حياة محمد» لم يكن مبتكرا في الاستدلال بقول الله تعالى (فلن تجد لسنة الله تبديلا وان تجد لسنة الله تحويلا) على نفي المعجزات الكونية واثبات مذهب الطبيعيين ، بل اكتشفه قبله من اكتشفه من المستشرقين ومن علماء الدين عصر الذين ديد نهم تهيئة الأدلة المتمشية مع أهواء المتعلمين المصريين . لكن المراد بمصر الذين ديد نهم تهيئة الأدلة المتمشية مع أهواء المتعلمين المصريين . لكن المراد

من الآية ايس كايظنون ، وانحاهى مبينة اسنة الله فى أمم بعث فيهم أنبياء وأيدهم بالمعجزات فعصوهم وكذبوهم . وسنة الله انزال العذاب عليهم كما قال تعالى (ولقد سبقت كلتنا لعبادنا المرسلين البهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عبهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفيعذا بنا يستمجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) وهذا المعنى فى الآية التى تحسك بها هيكل باشا ومن تقدمه يدل عليه ماقبل الآية في سورة الملائكة :

( وأقسموا بالله جهد أيمانهم المن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير الكونن أهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير مازادهم الا نفورا استكباراً في الأرض ومكر السيىء ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فهدل ينظرون الا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)

وما قباما فى سورة الأحزاب: ( ائن لم ينته المنافقون والدين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا ملمونين أيها ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبلولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)

وما قبلها فى سورة الفتح : ( ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لايجدون وليًا ولا نصيرا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا )

وفى سورة الاسراء: (وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الاقليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) وكيف يمكن ان يكون معنى الآيات كاظنوه فيكذّب به القرآن مانص هو نفسه عليمه من أنباء الأنبياء ومعجزاتهم الخارقة لسنة الكون ويكذب فيما قاله فى آخر سورة يوسف (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ماكان حديثا يفترى)

أما القول بوجوب أن لايكون مصدر الايمان الصحيح خوفا من عقاب الله أوطمما

في ثوابه وكذا القول بكون مرتبة هذا الايمان دون مرتبة الايمان الخالص ، فقدأراد معالى الباشا ان يدخل في مبحث الايمان بسبب المعجزات مسألة عصرية أخرى وهي انتقاد العقلية القديمة الاسلامية الداعية الى محافة الله، وان كانت لاتبدو المناسبة بين مسألة المعجزات الخارقة لسنة الكون وبين مسألة الايمان بالله بدافع الخوف من عذاب الله أو الطمع في ثوابه بل وان كان في تطبيق هذين الدافعين على مسألة الايمان بالله شيء من عدم الانطباق اذ الايمان انما ينبني على عقيدة كون الشيء حقا والعقيدة نفسها تقوم على أسباب حقيقية تختلف باختلاف متعلقها أوعلى تقليد محض وليس بين أسباب كون الشيء حقا خوف المتقد من الشيء الذي يعتقده، فبناء على هذا لا يتصور ان يؤمن أحد بالله خوفا من عذابه وانما يتصور الخوف من عذاب الله بعد الايمان بالله فلم يكن المؤلف محسنا في وضع المسألة التي أراد انتقادها وانما يعقل ان تكون الطاعة لله خوفا من عذابه أو طمعا في ثوابه موضع البحث لا الايمان به

وعلى كل حال فان انتقاد الايمان بالله أوالطاعةله خوفا من عذابه وانتقاص هذا الايمان أوالطاعة ينافى مسلك القرآن فى مدح الخائفيين من الله ، مسلكه البارز فى آيت كثيرة لاتحصى الخبرتها كقوله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقوله (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون)وقوله (انما المؤمنون الذين اذا في كر الله وجلت قلو بهم ) وما حث الله عبده المؤمن فى كتابه على شىء حثه على تقوى من الله وما أكثر من الأمر بشىء اكثاره فى الأمر بالتقوى التي هى مخافته كقوله (واتقوا الله لعلكم تفلحون) وقوله (وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون كقوله (واتوله الألباب (۱) كما الله لم يكرم مرتبة عنده لعباده تكريمه لمرتبة التقى فقال: (ان يأولى الألباب (۱) كما الله لم يكرم مرتبة عنده لعباده تكريمه لمرتبة التقى فقال: (ان

 <sup>(</sup>١) انظركيف يخصانة تعالى أولى الألباب بالدعوة الى مخافته فى حين آن العصر بين الذين يعتبرون
 أنفسهم عقلاء من الطراز الأول يعدونها منقصة

قد يكون الايمان الخالص عند غير المعترفين بالكمال للايمان الصادر من القلب التقى المشحون بمخافة الله ؟ فهل هو ايمان عبده به من غير مخافته ؟ ولا يعقل ايمان مجرد من كل من كل دافع حتى أنهم أن قالوا نؤمن حبا فهو أيضا ليس بايمان خالص مجرد من كل دافع . على أن التعليل لا ينتهى في الحب لأنه أيضا يحتاج الى علة دافعة اليه . فان كان أساس العلل عظمة الله فعلاقتها بالمهابة والمخافة والاجلال أولى وأقوم من علاقتها بالمجبة ولأن المخافة والاجلال أحرى بموقف العبد

فقد وجدنا المصدرالحقيق للايمان بالله وهو ادراك عظمته واستحقاقه للمعبودية . وأول ما يحصل بتأثير هذا الادراك في نفس الانسان هو تصاغره بين يدى ذلك العظيم وتذلله (۱) وتخشمه له ومخافته منه تصاغرا وتذللا وتخشما يوشك معها أن يرى محبته فوق حد العبد وأدبه مع مولاه . وفي «أساس البلاغة» للملامة الزنخشري «الايمان هيوب» (۲) وليس بلازم أن تكون مخافته من عذابه كما صوروا المسألة قصدا لانتقاد مخافة الله وانتقاص أهميتها بل المخافة من الله نفسه كما قال عز من قائل ( ويحذر كم الله نفسه ) وهي تنطوى على المخافة من عدابه أيضا كما تنطوى هدده المخافة الناشئة من نفسه ) وهي تنطوى على الحافة من عدابه أيضا كما تنظوى هده والمهابة، ومن هذا قال سبحانه وتعالى ( فلما تجلى ربه للحبل جعله دكا وخر موسى صعقا )

فمقتضى المقل أن تُهاب القوة التي تسيطر على جميع القوى ثم تحب لكونها فوق الجميع . ومن هــذا لا يتصور الظلم من الله فيكون كل ما يفعله حقا وعدلا وحكمة .

<sup>(</sup>۱) لو كان الاستاذ فرح انطون منشىء مجلة « الجامعة » الذى ناظر الشيخ محمد عبده وانتقد على الفرآن تعبيره عن بنى آدم بعباد الله كما سبق ذكره فى مقدمة البابالاول (من الكتاب الكبير)، حيا واطلع على كلتى هذه لقال : « ماهذا التصاغر وانتذال المنافى لكرامة الانسان ؟ » ولا يعرف لذة التذلل لله والمصرف الذى فيه الا الأحرار الحقيقيون الذين يأبون التذلل للموك الدنيا والتصاغر بين أيديهم والذين يعرفون الله كما قال تعالى ( انحما نخشى الله من عباده العلماء )

<sup>(</sup>٢) ثم وجدت هذا القول في «الفائق» للزنخسري أيضا ، منسوبا الي ابن عباس رضي الله عنهما

والقوة ترداد افترابا من الحق كما ازدادت كبرا واتساع نطاق فتعتبر الغلبة بين الدولتين المتحاربتين استحقاقا للجانب الغالب على المغلوب ولا توجد محكمة تفصل بين الظالم والمظلوم في مثل هذه المسائل بل يُمترف بالحق للغالب بمجرد غلبته فتمتبر قوة السيف حقا مسلما به وتكون معاهدات الصلح بعد الحرب وثائق حقوق للقاتل على المقتول على عكس مااذا كانت حادثة القتال بين الافراد . لكن هذا الحق المبنى على الغلبة في الحرب بين الدولتين اعتبارى وقتى لا حقيق ودائمى، لاحمال أن تنهض الدولة المغلوبة في المستقبل فتتغلب على الغالب الأول فينتقل الاستحقاق الى جانبها في استرداد ماأخذ منها والاستيلاء على مازاد عليه ، أو لاحمال أن تقوم قوة ثالثة فتقهر الحجانيين ويفتقل حق الاستيلاء اليها وهكذا يدور هذا الحق الاعتبارى الوقتى مع الأقوى الوقتى عن الأقوى حتى اذا انتهت الى قوة لاقوة فوقها وهى قوة الله أصبحت القوة عند ذلك عين الحق

فق الامكان أن لا يحب الصغير المقهور الكبير القاهر وليس فى الامكان أن لا يخافه حتى انه لا يكون فى الامكان أن لا يحبه أيضا اذا كانت محبته مبنية على مخافته التى لا تفارقه . ولا تحسبوا أن هذه المحبة لا تكون صميمية لأن المقهور من جميع الوجوء لا يسمه الا أن يحب قاهره ولا يسمه الا أن يكون صميميا فى محبته والا يلزم أن لا يكون القهر تاما وهو خلاف المفروض . فكل أحد وكل شىء اذا خفته هربت أن لا يكون القهر تاما وهو خلاف المفروض . فكل أحد وكل شىء اذا خفته هربت منه الا الله تمالى لأنك اذا خفته هربت اليه فالخائف من ربه هارب الى ربه . واليه يشير قوله تمالى ( ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ) وقوله من الإماجا ولا منحا الا اليك )

وقد أطلت هـذه المسألة التي دخلت فيها عرضا وتبعا للدخول مؤلف كتاب «حياة محمد» ومع هذا فهي كانت حرية بالتدقيق لأهميتها، ولما كنت أدرى من زمان أنها من مزالق العقليات الجديدة المتصورة في مخافة الله منقصة وفي محبته غني عنها

ورجحانًا عليها أو المتصورة تنافيا بينهما . وكنت كتبت هذه المسألة في كتاب ألفته باللغة التركية لما كنت في بلادي قبل عشر من سنة وأوردت فيه قول الشاعر :

وأبكى لنفسى رحمةً من عِتابِها ويبكى من الهجران بعضى على بعضى وانى لأخشاها مُسيثا وعسنا واقضى على نفسى لها بالتي تقضى

واذا كان هذا شعور انسان رقيق الحس ومهذبه نحو انسان يحبه ويتفانى فى حبه فكيف ينبغى أن يكون شعوره نحو ربه العظيم . ولعل الفكرة الغريبة المتجهة الى عدم التقدير لمرتبة مخافة الله السامية فى الاسلام وفى نفس الأمن قدرها تسربت فى عقول بعض المسلمين تقليداً للمسيحيين بواسطة تقليد الغرب المسيحى وتقليداً لمتصلفة الصوفية . ومن الملوم ان إله المسيحيين رحيم فقط وليس بعزيز ذى انتقام ، حتى انه افتدى بنفسه عندهم فى العفو عن ذف البشر وكان الذب عظيا جدا فناسب أن يضحى المجنى عليه بنفسه لمحقو عن الجانى صاحب الذب ، ولا يمكن أن تكون فكرة فى الدنيا معكوسة الى هذا الحد، فالله يرحم البشر ويعفو عنهم ولا يرحمه البشر ويعفون عنه ولا ذب له وانما الذب ذنبهم والذنب يعنى عنه ولا يعنى عن الذي لاذب له وانما أذنب عليه ، فيجعلونه فداء يفتديهم ويجزى نفسه بذنوبهم جزاء ونه جزاء سنار ( ان الانسان لظلوم كفار )

هذا تحليل مسألة الخوف من الله فكائن الذين لايرونه متناسبا مع مقام الألوهية والعبودية من النصارى يرون خوف الله من الانسان أنسب من عكسه . والمتصوفة الوجودية لايفرقون بين الله وما سواء فلا محل للخوف

وجوابي للذين لايمجبهم ايمان المؤمن \_ أو بالأصح طاعة المؤمن \_ طمعا في ثواب الله أن الاعتراض على من أطاع الله طمعا في ثوابه يتضمن الاعتراض على قوله تعالى: ( ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ) وقوله مشيرا الى نعيم الجنان المشاد بذكره في الآيات المتقدمة: ( لمثل هذا فليعمل العاملون) وقوله

(وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) وقوله فى وصف المؤمنيين (تنجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) وقوله: (ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين) فالله تعالى فى الآية الأخيرة يأمر بدعائه خوفا وطمعا ويسمِّى الداءين له خوفا وطمعا محسنين والذين أناقشهم لايعجهم الخوف ولا الطمع فينهون الناس عنهما فأى القولين أحق أن يتبع ؟

## ٧

السابع أصحيح ان في القرآت مايمنع وجود المحزات لنبينا محمد مؤلف كا ادعاه مؤلف كتاب « حياة محمد » وآنخذ منه مقياسا يرفض به كل ماني كتب الحديث والسيرة من أنباء معجزاته الكونية ؟

هذه الدعوى يبنيها منكرو المجزات الكونية لنبينا على نوعين من آيات القرآن فأولا يبنونها على مايتكرر ذكره في سور مختلفة من أنه لانبديل لسنة الله ولاتحويل، فيحملون سنة الله هذه على سنته في الكون التي يسمونها القوانين الطبيعية المستنبطة من نظام العالم ويقولون أو بالأصح يريدون أن يقولوا: «كما أن المحزات الكونية لايقبلها العلم لكونها مخالفة لسنن الكون أى القوانين الطبيعية لايقبلها كتاب الله أيضا فيصرح في آيات عدة أن لانبديل لسنة الله، وقد سبق الجواب عنه وأنه ان كانت تلك الآيات مانعة عن المجزات الكونية فلا يخص منعها بمعجزات نبينا بل يعم معجزات الأنبياء كلم م المقصوص أنباؤها مفصلة في القرآن

وثانيا يبنون دعوى كون القرآن يمنع وجود معجزات كونية لنبينا على مايحكى في آيات كثيرة من أن المشركين كانوا يقترحون على النبي عَيَّلِيَّةٍ أن ينزل الله عليه آية أى معجزة ليؤمنوا بنبوته فيكون الجواب أن الآيات عند الله وانما النبي بشرمثلهم أرسل اليهم لينذرهم

فرأى الستشرقون هذه الآيات (١) وانتهزوا من وجودها في القرآن فرصة القول بأن محمدا لم تكن له معجزة مثل معجزة موسى وعيسى ، ومرادهم من هذا القول أن محمدا لم يكن نبيا ، ورآها كثير من المتعلمين بمصر تعلما عصريا يدفعهم الى التعويل على أقوال علماء الغرب المستشرقين أكثر منه على أقوال علماء الشرق أئمة الاسلام ، ورآهم ثم تابعهم علماء الدين في الأزمنة الأخيرة التي طرأ فيها الضعف على الاسلام وعلمائه ، من حدثتهم أنفسهم ان يكونوا أئمة كما كان السلف رضوان الله علمهم فابتدءوا امامة يتبع فيها الامام المأموم

رأى هؤلاء وهؤلاء النقص الذى رأى المستشرقون فى الاسلام ، نقص المعجزات ونقص التضاد بين الكتاب والسنة فى مسألة المعجزات الكونية نفيا واثبانا، لكن الرائين المسلمين كالم يفكروا فى أن الساف الصالح من رواة الأحاديث وجامعيها المتثبتين كالامام البخارى ومسلم ومالك وأحمد وغيرهم ورواتهم من الثقات البالغ عددهم عشرات الألوف ، كانوا أكثر قراءة للقرآن واطلاعا على آياته من مستشرق الغرب ومن أنفسهم أتباع أولئك الغربيين فى الشرق من الكتاب والعلماء فكيف فاتتهم كلهم رؤية هدذا التضاد بين القرآن وأحاديث المعجزات التى رووها وأثبتوها فى كتبهم ؟ كالم يفكر راءو التضاد من المسلمين فى هذا لم يفهموا مغزى وؤية الرائين الأجانب فحاولوا أن ينتصروا لدينهم ويتداركوا نقص التضاد بين الكتاب والسنة فى أمر المعجزات بالطمن فى صحة نسبة السمة ونقص المعجزات الكونية فى والسنة فى أمر المعجزات بالطمن فى صحة نسبة السمة ونقص المعجزات الكونية فى الرغم من ظهورها على أيدى الأنبياء المتقدمين ، حتى قال الشيخ رشميد رضا

<sup>(</sup>۱) التي منها ماأورده مؤلف «حياة محمد» ونقلنا عنه سابقا من قوله تعالى (وقالوا ان نؤمن لك حتى تفجر لنا منالأرضينهوعا أو يكون لك ببت من زخرف أو ترقى فىالسماء ولن نؤمن لرقيك حتى تغزل عليناكتابا نقرؤه قل سبحان ربي هلكنت الا بشرا رسولا)

صاحب مجلة « المنار » عند دفاعه عن معالى هيكل باشا وتصويبه فيما فعله فى كتابه من اخلاء حياة نبينا عن المعجزات الكونية : « ان الخوارق الكونية شهة عند علماء المصر لاحجة لأنها موجودة فى زماننا ككل زمان مضى وان المفتونين بها هم الخرافيون »

القول بأن المعجزات الكونية شبهة لاحجة الذي عزاه الشيخ رشيد الى علماء المصر الغربيين هومذهب الشيخ نفسه أيضا لأنه اعتمد في دفاعه عن كتاب هيكل باشا عليهم واعتبر قولهم حجة حين لايمتبر معجزات الأنبياء الكونية حجة ولا تعبير الفرآن عن تلك المعجزات تارة بالحق وتارة بالبينات وتارة بالآية الكبرى وتارة بالساطان وتارة بالبرهان وتارة بالفرقان ، حجة في أنها حجة : قال تمالى : (فلما جامهم موسى بالحق قالوا هذا سحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاء كم أسحر هذا) وقال : (ولقد هذا) وقال : (ولقد أرسلنا من قبلك رسلاالى قومهم فجاؤهم بالبينات) وقال : (ولقد آيننا موسى تسعآيات بينات) وقال : (وآ تينا عيسى بن مريم البينات) وقال : (ولقد آينا موسى الكتاب والفرقان لعلم ميهتدون) وقال : (وأن ألق عصاك فلما رآها آينا موسى الكتاب والفرقان لعلم ميهتدون) وقال : (وأن ألق عصاك فلما رآها بهذ كا نها جان ولى مدبرا ولم يمقب ياموسى أقبل ولا تخف انك من الرهب فذانك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملاه) وقال : (فأراه الآية الكبرى) وقال : (وفى مدبرا الى فرعون وملاه) وقال : (فأراه الآية الكبرى) وقال : (وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين)

وقال هذا الشيخ في كتابه « الوحى المحمدى » ص ٤٦ « وأما تلك المجائب الكونية فهى مثار شبهات وتأويلات كثيرة في روايتها وفي محتما وفي دلالتها (١) وأمثال هذه الأمور تقع من أناس كثيرة في كل زمان ، والمنقول منها عن صوفية

<sup>(</sup>١) يظهر من هذا انكل ماادعى هيكل باشا فى مقدمة الطبعة الثانية لكتابه متجرئا على كتب الحديث والسيرة فامامه فيه الشيخ رشيد . ومن غريبالمصادفة آنه ورد الى أثناء كتابة هذه السطور عدد مجلة (الفتح) الاسلامية ٥٥٦ ففرأت فيه مقالة للاستاذ الكبير صاحب المجلة يعد فيها كفريات

الهنود والمسلمين أكثر من المنقول عن العمد العتيق والجديد (١)

فكأن الشيخ وقد ذكر في كتابه أمثلة مما يأتى به الصوفيــة الهندوس وفيها احياء الموتى ، يسمى في مقابل مايدغي المستشرقون أعداء الاسلام من أن محمداً لم يأت بممجزة كما أتى موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء ، يسمى لأن يدعى في مقابل ذلك ان معجزات أولئك الأنبياء لم تكن بمعجزات. ويقرب منه ماقاله هيكل باشا: « ان القرآن ذكر المعجزات التي جرت باذن الله على أيدى من سبق محمدا من الرسل كما أنه جرى بالكثير ممــا أفاء الله على محمد وماوجه اليه الخطاب فيــه وما ورد في الكتاب عن النبي العربي لا يخالف سنة الكون في شيء » فكأن ما ذكر القرآن من ممجزات الأنبياء السابقين معيبة بمخالفة سنة الكون حين لايوجد هــذا العيب في معجزاة نبينا التي هي القرآن وعيب مايخالف سنة الكون عندهم آنه لايكون ولا يقبل العلم أنه يكون. ولا يغرنك قول الباشا «انالقرآن ذكر المعجزات التي جرت، باذن الله على أيدى من سـبق محمدا من الرسـل » لأنه لو وقعت تلك المعجزات رغم مخالفتها لسنة الـكون لم يذكر مخالفتها لهــاكعيب تنزهت عنه معجزة نبينا عَلَيْكُ ، بل لزم أن يكون وقوعها خارقة لسنة الكون مزية لها على المعجزة التي لاتخرق سسنة الكون لأن المعجزة التي تقع وتخرق بوقوعها سنة الكون لابدأن تكون أقوىمن

غلام أحمد الفاديانى وبينها قوله: « قد أعطانى الله اختياراً كاملا لأن أقبل الأحاديث الموافقة لالهامى وأردها اذا خالفت آرائى » وقوله عن سيدنا مجه صلى الله عليه وسلم « ماصدر عنه معجزة واحدة فضلا عن معجزات

<sup>(</sup>۱) كما لايقدح فى الأحجار الكريمة والجواهر الفاخرة ولا ينقس من قيمتها الغالية ، وجود زيوف تشابهها وتلتبس مع أصولها الحقيقية فى أعين الغافلين وأنظارهم الحمق ، كذلك لايقسدح فى آيات الله التي أظهرها على أيدى من اصطفاهم للرسالة الى الناس ، وجود مشعوذين من أهل السحر والدجل ، ولماذا لم يعتبر الشيخ من سحرة فرعون الذين لما رأوا عصا سيدنا ، وسى تلقف ما أفكون خروا سجدا وقالوا آمنا برب موسى وهارون حين لم يؤمن فرعون قائلا أنه المحبير كم الذي علمكم السحر ؟ . فكان ينبغي للشيخ أن يعتبر ويتعلم من سحرة فرعون تمييز المعجزة من الشعوذة بدل أن يتعلم من فرعون التسوية بينهما

التي لا تخرق فظهر أن مخالفة المعجزة لسنة الكون فضل لها لاعيب ونقص، واذا كان في الخارقة من حيث أنها خارقة عيب فلابد أن يكون عيبها في عدم وقوعها . فلماذا اذن ذكرها القرآن وأكبرها ؟ وترى الباشا يقابل ماذكره القرآن اللانبياء التقدمين من الخوارق ، بما ذكره القرآن لمحمد عليه في من الانتصار في الحروب . في اذا تفهمون من هذه المقابلة ؟ أليس الفرق فيما بينه وبينهم صلوات الله وسلامه عليهم كلهم ان القرآن نوه به بما يكون ونوه بهم بما لايكون ؟

عجيب هذا الجدال المحدث بين المستشرقين غير المسلمين والمستفربين المسلمين المبه على تعصب كل من الطرفين لدينه على دين الطرف الآخر: فالمستشرقون يعيبون الاسلام بأن نبيه لم يأت بمعجزة وعجز عن الاتيان بها حين قيل عنه: ( فليأتنا بآية كا أرسل الأولون) وهم لايمدون القرآن معجزة وان لم يقولوا عنه كا قال مشركو مكة المقترحون على النبي عين التيم بآية كا أرسل الأولون: ( أضاف مثل أحلام بل افتراه بل هو شاعر ) والمستغربون الفافلون يقابلون اعتداء المستشرقين بالاعتداء قائلين: ان معجزات المرسلين الأولين لم تكن جديرة بأن تمد معجزات للانبياء لانها موجودة في زماننا ككل زمان مضى وان المفتونين بها الجرافيون والمنقول منها عن صوفية الهنود والمسلمين أكونهم صد قوا دعوى الغربيين أن الامعجزة والجديد. وأنا أقول عنهم «المستغربون» لكونهم صد قوا دعوى الغربيين أن الامعجزة لحمد غير القرآن بشهادة القرآن نفسه وما ورد في كتب الحديث والسيرة عن معجزاته مكذوب عليه . وأقول عنهم «الفافلون» لكون اعتدائهم المقابل على المستشرقين مكذوب عليه . وأقول عنهم «الفافلون» لكون اعتدائهم المقابل على المستشرقين مكذوب عليه . وأقول عنهم «الفافلون» لكون اعتدائهم المقابل على المستشرقين يضمن الاعتداء على القرآن أيضا

وقال الشيخ رشيد أيضا: « ان آيات المرسلين لم يؤمن بها ممن شاهــدها الا المستعدون اللايمان بها وان فرعون وقومه لم يؤمنوا بآيات موسى وال أكثر بنى اسرائيل لم يعقلوها وقد آنخذوا العجل وعبدوها بعد رؤيتها ورؤية غيرها في برية سينا. وقال اليهود في المسيح لولا أنه رئيس الشياطين لما أخرج الشيطان من الانسان وقالوا ان ابليس يفعل أكبر من فعله ، وقد كان أكثر من آمن بتلك الآيات أنما خضعت أعناقهم واستخدت أنفسهم لما لايعقلون له سببا وكان أضعاف أضعافهم يخضع مثل هذا الخضوع نفسه للسحرة والمشعوذين والدجالين ولا يزالون كدلك . ونقلوا عن المسيح انه قال : « الحق أقول المم ليس كل نبي مقبولا في وطنه » (۱) وجعل يعني المسيح القاعدة لمعرفة النبي الصادق تأثير هدايته في الناس لاالآيات والمجائب فقال « من ثمارهم يعرفونهم » ومن استقرأ تواريح الأمم علم ان أهل الملل الوثنية أكثر اعتمادا على العجائب من أهل الأديان السماوية ورأى الجميع ينقلون منها عن معتقديهم من الخواياء والقديسيين أكثر مما نقلوا عن الأنبياء والمرسلين وان أكثر المصدقين من الخرافيين »

وأنا أقول في هذا البيان ايهام ان المعجزات الكونية أظهرها الله على أيدى رسله عبثا لانها لن تنجح في تأييد رسالتهم ولم تكن خير وسائل الى اقتناع الناس بصدقهم ولو بقدر اقتناعهم بصدق السحرة والشعوذين والدجالين في دعاويهم فكائن الله تمالى ماأصاب والعياذ بالله و فاختيار المعجزات لأنبيائه الا في معجزة القرآن التي تخاطب المقول والافهام مع ان قول الشيخ: «ان آيات المرسلين لم يؤمن بها ممن شاهدوها الا المستعدون للايمان بها » يجرى في كل معجزة ولا تعزب عنه معجزة القرآن. فالمعجزة مطلقا لا يؤمن بها الا المستعدون للايمان وهم الذين شاء الله هدايتهم لا الذين قالوا مثلا: (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) ولا الذين جعل الله على قلومهم أكنة أن

<sup>(</sup>۱) الظاهر من هذه الجملة رفع الايجاب السكلى يمعنى ان بعض الانبياء مقبول فى وطنه لا كلهم، مع ان الذين ينقلون هذا القول عن المسبح عليه السلام يريدون السلب السكلى . فلو قال « ليس نبى مقبولا فى وطنه » بدون «كل » لسكان أوفق بالمهنى المقصود الذى هو عموم النبى مدلولا عليسه بنكرة فى سياق النبى . لسكن الشيخ أو من نقل عنه أتى بالسكل على ظن انه أدل على العموم فأفسد المتنى وقلبه من عموم النبى الى نبى العموم فأفسد

يفقهو. ولا الذين قال الله فيهم (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لايؤمنون به ـأى بالذكر الحكم \_ وقد خلت سنة الأولين ) فشبه الذين لا يؤمنون بالقرآن بالذين لم يؤمنوا بمعجزات الأنبياء المـاضين . ولقد أخطأ الشيخ في احتقار المؤمنين بالأنبياء المتقدمين بسبب معجزاتهـم الـكونية التي سماها «مجائب» فاستهان بها أيضا ، بان أ كثرهم من الخرافيين، فـكانه قال آمن بهم السذج ولم يؤمن أصحاب المقول الراجحة مع ان رجحان المقل وخفته يجب أن يوزن بميزان الايمان بالنبي الحق وآياته التي هي آيات الله والاعراض عنه فمن آمن فهو أعقل الناس ومن كفر فهو أجهلهم وأغباهم الحاصل ان في معجزات الأنبياء عليهم السلام دلالة كافية على صدقهم في دعوى النبوة للذين شرح الله صدورهم للايمان ولا يقدح في قيمة المعجزات ظهور أشباهها الزائفة فى أيدىالسحرة والمشموذين ولذا لم يمنع هذا التشابه سحرة فرعون عن الايمان بمعجزة موسى . ولا يقال ان السحرة كانوا عارفين بالفرق بين الممجزة والسحر بفضل معرفتهم بالسحر ولم يؤمن فرعون لمدم معرفته مهذا الفرق المتوقفة على معرفة السحر، اذ لاعــذر له في عدم المعرفة بمد معرفة المارفين ولان المؤمنـين بموسى لم يكن كلهم سحرة حتى يعذر فرعون بمدم معرفته المعجزة منالسحر . والذين ينتقدون الخوارق الكونية من معجزات الأنبياء تارة بحجة التباسها بأعمال السحرة وتارة بمدم كونها ضامنة لايمان الأمم التي بعثوا المها فقد تعددوا بالمجزات حدودها وطالبوا الأنبياء بمعجزات ملجئة لاتتفق مع اختيار المكلفين وتجعل الايمان بالنيب معاينة لايبق معيا امتياز المؤمن على الـكافر بل يضطر الجميع عندها الى الايمان . وليس لنا أن نشترط في نصاب دلالة المعجزة على صدق النبي أن يؤمن به كل من شهد معجزته ، ألا يرى ان دلالة المعجزة على صدق النبي في دعوى النبوة لاتفوق دلالة البراهين العقلية على وجود الله ومع هــذا فقد لاتؤثر تلك البراهين في قلوب الملاحدة الضالين . فهل يحد ذلك من قيمتها عند ذوى المقول السليمة ؟ وانى أرى الشيخ رشيد الذى يقيس قيمة المعجزات بمقياس عدد الذين آمنوا بها ثم ينتهى منه الى فشل معجزات الرسل الأولين ، فى غفلة عن الكثرة الهائلة التى نواجهها من اتباع الدين المسيحى الذين تغلبوا فى وجه البسيطة حتى استطاعوا أن يحولوا بين طائفة من علماء المسلمين وكتابهم وبين دينهم وعقولهم فجملوهم ينكرون معجزات نبيهم الكونية ويرتابون فى أحاديثه المروية عنه فى كتب الحديث ويطعنون فى قرآنهم على ظن انهم يطعنون فى معجزات الأنبياء المتقدمين مع ان تلك المعجزات فى ضمان القرآن. فهاذا ترتبط بدينهم فى رأى الشيخ تلك الكثرة الهائلة المتغلبة، حتى بعد انقضاء أوان هذا الارتباط بمبعث محمد علياته ، ان لم يكن لعجزات سيدنا عيسى وموسى تأثير معتد به فى قلوب الناس ؟

م أقول: محن المعترفين بالمعجزات الكونية نقدر قدر القرآن أكثر ما يقدره منكرو المعجزات غسير القرآن. لكن فضل القرآن وتفوقه بين المعجزات لا يوجب انكار كل معجزة غسيره بتنزيلها منزلة السحر والشعوذة والدجل أو منزلة أدنى من منزلتها كما فعل الشيخ رشيد. ولم أقل عبثا الا نقدر قدر القرآن أكثر من الذين يظهرون بمظهر أنصار معجزة القرآن ومكبريها المتذرع منه الى الاستهانة بغيرها من المعجزات لان القرآن مشحون بالاعتناء بمعجزات الانبياء الكونية ، فاذا كانت تلك المعجزات لافرق بينها وبين أفعال الدجاجلة والمشعوذين أو كانت حى دونها فى التأثير المعجزات لافرق بينها وبين أفعال الدجاجلة والمشعوذين أو كانت حى دونها فى التأثير الخرافيين مربرا الما يكبرونه، وذلك ينقص من قدر القرآن أى نقص. وما ذا هوالفرق بين مافعل الشيخ رشيد من تغزيل معجزات الأنبياء الكونية منزلة السحر والدجل وبين ماقاله كفار قوم موسى مشلا الحكى فى قوله تعالى : (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى) ؟ وما ذا هوالفرق بين قولهم هذا فى الزمان الماضى وبين قول عقلاء الغرب اليوم ان القرآن كلام محمد لا كلام الله ؟ وما كانت معجزات

سيدنا موسى سحرا لكن من لم يؤمنوا بموسى ادعوا ذلك كما ان القرآن لم يكن كلام سيدنا محمد لكن الغربيين يدعون انه كالامه ، فهل يحط قولهم هذا من مكان القرآن؟ كلا . فاذن لا يحط ماقاله قوم موسى سابقا وما قاله الشيخ رشيد لاحقا من مكان معجزات موسى صلوات الله على نبينا وعليه (١)

(۱) وجملة القول ان وضع نبينا مع الانبياء صاوات الله وسلامه عليهما جمعين ووضع معجزته مع معجزاتهم في صف الجدال لأهل الكتاب مسلك شديد الخطر وتفريق بين رسل الله محالف لمسلك القرآن القائل ( لانفرق بين أحد من رسله ) فكا ان القرآن الندى هو معجزة نبينا قول الله تعلى فالمعجزات الكونية الظاهرة على أيدى الانبياء وفيهم نبينا أيضا أفعاله تعالى المؤيدة لهم، ولا وجه لتفضيل قول الله على فعله فالمفاضلة بين المعجزات باطراء بعض والحط من شأن ما عداه ليست من شأن العاقل وكل منها أوفق لزمانه من غيره فمعجزة موسى بالعصا وقعت في عهد رواج السحر فجاءت تفوقه و تبطله، ومعجزة عيسى بابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى وقعت في عهد رواج الطب وهي ليست من جنس الطب المستند الى التوسل بالاسباب، ومعجزة نبينا في عصر البلاغة والتبارى بها وكل ذلك عثل تفوق فعل الله أو قوله على أفعال البشر وأقوالهم . فاذا كان في معجزة القرآن فضل على ماعداها من المعجزات فليس ذلك الفرق في أصل الاعجاز واعا هو في اتحاد المعجزة مع الوحى في القرآن حين كان سأئر المعجزات منفصولة عن الوحى الذى هوالقصود الأصلى من النبوة وكانت المعجزات نفسها أمورا مقصودة لغيرها وهو تأييد الوحى باثبات كونه من قبل الله

وكدا الحال فى موقف الاسلام من النصرانية واليهودية لا تفاضل بينها وكلها دين الله الذى أمر عباده أن يدينوا به فى برهة من الزمان وكل دين فى زمانه أفضل من غيره ولولا ذلك لما اختاره الله لذلك الحين. وملاك فضل الاسلام عليهما أن مضى دورها وجاء دور الاسلام فى مختتم الجميع فنسخ الأديان الأولى و بقى الى يوم القيام لاناسخ له

ولقد سلك مذكرو معجزات نبينا غير القرآن مسلكا وعرا جربهم الى القدح فى معجزات الأنبياء المتقدمين بل فى نبوتهم أيضا . وكان هذا التورط الثانى وقع منهم ملافاة للنقص فى معجزات نبينا في فيجملون القرآن معجزة وحيدة مطلقا بعد انجعلوه معجزة وحيدة لنبينا . لكن هذا المسلك الذى يتضمن اعلاء شأن القرآن فى الظاهر يخالف مسلك القرآن نفسه ويتضمن قدعا فى القرآن أيضا كا بينا من قبل . ونبين هنا وجها آخر وهوأن القرآن تحدى بلغاء العرب أن يأتوا بسورة من مثلة فلم يستطيعوا ، وهذا التحدى تحسك به

فليس لأحد بعد مبعث محمد علي الناس كافة أن يبتى متمسكا بالدين الماضى نائيا بجانبه عن الاسلام الذى هو الذين الحاضر. حتى لو فرضنا فرض المحال ان معجزات موسى وعيسى تفوق معجزات نبينا عليه وعليهما السلام عكس ما أثبته الشيخ رشيد رضا فى كتابه لما كان لليهود والنصارى اليوم الا أن يتبعوا دين محمد و يتركوا دين آبائهم الأولين الذين تقدم عهدهم عهد الاسلام فيكونوا مسلمين بدلا من كونهم هودا أو نصارى اذ لامعنى لكون الانسان يهوديا بعد انقضاء عهد اليهودية أو نصرانيا بعد انقضاء عهد النصرانية، الا اذا لم يكن لمحمد عميزة كونية كا هو زعم الشيخرشيد والدكتور هيكل ولا غيركونية كا هو زعم المهود والنصارى

هذا هو القول الأسلم في المقارنة بين الاسلام والنصرانية واليهودية الحقيقيتين من حيث انهما دينان مهاويان كالاسلام . اما مقارنة الاسلام مع النصرانية الحاضرة فلا وجه لهما أصلا لكونها مقارنة بين الدين السهاوى الحفوظ والدين الصناعى المحرف عن أصله و بعبارة أخرى الدين الذي لايقاوم أمام العقل والنقل ولم تجيء معجزات سيدنا عيسى لتأييد هدذا الدين المحرف المسعى "لا دامته بعد نسخه ومسخه، فلا وجه للقارنة بينها و بين معجزات نبينا عناسبة المقارنة بين النصرانية الحاضرة والاسلام ، فضلا عن الاعتداء على تلك المعجزات بهذه المناسبة

الشيخ رشيد رضا وغيره في انكار كل معجزة لنبينا غير الفرآن (١) وادعوا تفرد القرآن به مع أنه ان ارتفعت الثقة بكتب الحديث والسيرة وكان أصحاب هذه الكتب لم يكتبوها لوجه الحق بل محاباة للاسلام ، كما ادعى ذلك المدعون من المسلمين عند انكار العجزات الثابتة بالأحاديث ، تأتى لمن شاء من أعداء الاسلام المنكرين لمعجزة القرآن أيضا أن يقول : من الجائز أن يكون في عصر النبي أتى آت من البلغاء بمشل ما تحدى به ثم لم تروه كتب الحديث والسيرة التي لايؤمن على أنبائها من الزيادة والنقصان، وليس في الشرق ولا في الغرب مراجع تاريخية لصدر الاسلام غير تلك الكتب، فمن أين نثبت اليوم ان القرآن معجزة تحدت فأعجزت وسلمت من المعارضة ؟ وقد كان فضيلة الاستاذ المراغى قال في مقالته التي نشرتها « السياسة » الاسبوعية و « الاهرام » أيام حدثت فتنة ترجة القرآن بتركيا وآقامة الترجة مقام الأصل المربى في الصلاة وغيرها و انحاز فضيلته الى أنصار تلك الفتنة و مروجها:

<sup>(</sup>۱) نعم ذكر المتكلمون في المعجزة شروطا منها التحدي لكن المحقق الدواني نبه على انه لايشترط فيها صريح التحدي بل يكني قرائن الأحوال. والمعقول عندي أن يكون مرادهم من شرط التحدي مقارنة المعجزة بدعوى النبوة أعنى يلزم لأن يعتبر خارق العادة معجزة ظهوره على يد مدعى النبوة تحييرا لها عن الكرامة والارهاس ، فلو اشترطنا في كون المعجزة معجزة أن يكون من ظهرت على يديه تحدي بها الناس وطاابهم بالانيان بمثلها كا وقع في معجزة الفرآن واستدل به الشبخ رشيد على انحصار معجزة نبينافيه وجاء هذا الاشتراط موافقا لأقوال علماء السكلام لزم أن لايكون لنبينا في جميع ماظهر على يديه معجزة واحدة عند الشيخ لي انكار ماعدا القرآن من معجزات رشيد ! وكيف يكون علماء الكلام متفقين مع هدذا الشيخ في انكار ماعدا القرآن من معجزاته أنقدان شرط التحدي ، في حين انهم صرحوا بأنله صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة غير القرآن لم تثبت كل واحدة منها عنه تواترا قالقدر المسترك متواتر كجود حاتم وشجاعة على ، كما نقلناه سابقا من شرح المحتق الدواني للعقائد العضدية ، والتمسك بشرط التحدي ليس الإ من مناورات الشيخ اطهارا المتكلمين في مظهر الاتفاق معه ، فهل هو أعني الشيخ حين أنكر المعجزات المحونية الظاهرة على يد نبينا أو أيد قول من أنكر فكتب دفاعا عن كتاب هيكل باشاء أنكر هالكونها خارفة اسنة الدكون أم أنكر ها المقدي ؟

«ان قراءة الأعاجم للنظم العربي نفسه لايدلهم على الاعجاز وليس في استطاعتهم فهمه، والامم العربيـة الآن ومن أزمنـة طويلة خلت لايفهمون الاعجاز من النظم العربي، وقد انقضى عصر الذين أدركوا الاعجاز من طريق الدوق وآ منوا بالقـرآن بسبب هذا الادراك ونحن الآن نقيم على الاعجاز أدلة عقلية ونقول ان القرآن تحدى العرب وانهم عجزوا وهذا يدل على أنه من عندالله »

وكان الأستاذ فريد وجدى وهومن غلاة منكرى المجزات بدعوى انها مخالفة للمقل حتى انه ينكر البعث بمد الموت أيضا للسبب نفسه ، كان هذا الأستاذ أنكر اعجاز القرآن بألفاظه ومبانيه في مقالاته التي كتبها دفاعا عن فتنة ترجمة القرآن وقال « انه لم يتحد أحدا ببلاغته وانحا تحدى الانس والجن أن يأتوا بمثله في حكمته وشريعته » (١) وهذا مع كونه مخالفا لما قاله فضيلة الأستاذ المراغى ففيه ان الاستاذ فريد يمرف ان أمما اسلامية لم تعجبهم شريعة القرآن فاستبدلوا بها شرائع الغرب قبل استبدالهم ألفاظا أعجمية بألفاظه ومبانيه والأستاذ الذي ناصرهم في تبديل ألفاظه لم يؤاخذهم يومئذ على تبديل شريعته ، فنكرو المعجزات كايفرقون بين الكتاب والسنة فيدافمون عن الكتاب ومعناه وليتمسكون بمناه ويخذلون الفظه ويتمسكون بمناه على حسب ايقضى فيتمسكون بمناه ويخذلون لفظه ويتمسكون بلفظه فيخذلون معناه على حسب ايقضى وي التحديد المصرى

ثم ان المتظاهرين بشكريس كل أهمية وكل تعويل على القـرآن لثلا يكترثوا بغيره، تراهم يقاومون صراحة القرآن اذا شاء هواهم ذلك كما فعله الشيخ رشيد حين أنكر معجزة شبق القمر التي سيأتي بيانها

وانظر ماقاله الشيخ في « الوحى المحمدى » بعــد التنبيه على كون نبينا لم يتعلم القراءة والـكتابة وكون قومه الذين نشأ فيهــم أميين جاهاين بعقائد الملل وتواريخ

<sup>(</sup>١) وفد نقلت كلا القولين عن الاستاذين في كتابي « مسألة ترجمة القرآن »

الأمم وعلوم التشريع والفلسفة ص ٤١ — ٤٣

« وترى تجاه هذا (أن موسى عليه الصلاة والسلام) قد نشأ في أعظم بيوت الملك لأعظم شميه في الأرض وأرقاه تشريعا وعلما وحكما وفنا وصناعة وهو بيت فرعون مصر (١) ثم انه مكث بضع سنين عند حميه في مدين وكان نبيا \_ أو كاهنا كما يقولون \_ فمن ثم يرى منكرو الوحى ان ماجاء به موسى من الشريعة الخاصة اشعبه ليس بكثير على رجل كبير العقل عظيم الهمة ناشى في بيت الملك والحكمة

« ثم ظهر فى أوائل هذا القرن الميلادى ان شريعة التوراة موافقة فى أكثر أحكامها لشريعة «حمو رابي» العربى ملك كلدان الذى كان قبل موسى معاصرا لا براهيم وتتاللة وقد قال الذين عثروا على هذه الشريعة من علماء الألمان فى حفائر العراق انه قد تبين أن شريعة موسى مستمدة منها فلا تعد أحق منها بأن تكون وحياً من الله . ولم ينقل ان حمورا بي ادعى أن شريعته وحى من الله (٢)

« ثم يرى الناظر ان سائر أنبياء العهد القديم كانوا تابعين للتوراة متعبدين بهــا وأنهم كانوا يتدارسونها في مدارس خاصة بهم وبأبنائهم مع علوم أخرى فلا يصح أن

<sup>(</sup>١) وقال معالى هيكل باشا فى كتابه س ٦٦ من الطبعة الثانية: « فى مصر نشأ موسى وفى حجر فرعون تربى وتهذب وعلى يدكهنته ورجال الدين من أهـــل دولته عرف الوحدة الالهيـــة وعرف أسرار الــكون » !!

<sup>(</sup>۲) وأنا أقول في جواب ماذكره الشيخ من وجوه الطعن في نبوة سيدنا موسى ان فرعون الذي نشأ في بيته موسى ادعى لنفسه الألوهية وسيدنا موسى دعا الناس الى عبادة الله فكيف يصح أن يقال آنه نشأ في بيت الحكمة والتشريع مع هذا البون الشاسع بين المنشأ والناشئ من حيث الهدى والضلال وهل فرعون حكم فادعى الألوهية أو ادعاها فحكم أى صار حكيا؟ وحكاية حورابي العربي ملك الكلاان وفيها وفي وصفه بالعربي تفضيلذلك الملك العربي على سيدنا موسى الأعجمى ان صحت فلا مانع من أن تكون شريعة موسى متوافقة في بعض أحكامها مع نظم حورابي وموسى لم يدع لنفسه الأمية مثل نبينا حتى ينقضها اطلاعه على أحوال الملل وتواريخ الأمم . أما ان موسى كان نبيا ولم يكن حورابي فان العصا التي هي على رغم أنف الشيخ تقطع قول كل خطيب ، ظهرت على عبي موسى. وانة أعلم حيث يجمل رسالته

يذكر أحد منهم مع محمد ذكر موازنة ومفاضلة (۱) ويرى أيضا أن يوحنا الممدان الذي شهد المسيح بتفضيله عليهم لم يأت بشرع ولا بنبأ غيبى ، بل يرى أن عيسى عليه السلام وهو أعظمهم قدرا وأعلاهم ذكرا وأجلهم أثرا لميأت بشريعة جديدة بل كان تابعا لشريعة التوراة مع نسخ قليل من أحكامها واصلاح روح أدبى لجمود اليهودالمادى على ظواهر ألفاظها. فأمكن لجاحدى الوحى ان يقولوا أنه لا يكثر على رجل ذكى الفطرة ذكى العقل ناشى في حجر الشريعة اليهودية والمدنية الرومانية والحكمة اليونانية على عليه الزهدوالروحانية ،أن يأتى بتلك الوصايا الأدبية .على ان منهم من يعزو جلها الى كونفشيوس المشترع الصيني والى غيره من الحكماء الذين كانوا قبل المسيح عليه السلام . ونحن المسلم بن نقول هذا ولا ذاك وانما يقوله الماديون والمعلون وألوف منهم المسيون الى المذاهب النصرانية »

فقد قدح الشيخ في نبوة سيدنا موسى وسيدنا عيسى و كتابيهما التوراة والانجيل تفصيلا ثم تبرأ منه عا لا يعدله من الاجمال حيث ذكر وجوه القدح ولم يجب عنها وانحا اجترأ بأن يقول « ونحن المسلمين لانقول هذا ولا ذاك وانحا يقوله الماديون والملاحدة والعقليون » ومعناه أنا لا نقول ولكن ننقل أقوال القائلين ولا نجيب عنها إذ لاجواب لها وهذا هو القدح بعينه! فالشيخ يقول الملاحدة مالا يستطيع ان يقوله ، ويدل استنكافه عن الجواب على اعتقاداتهم مع عدم استنكافه عن نقل تلك الانتقادات ، أنه يراها واردة . على أنه يرى الناظر فيما كتب الشيخ تحت عنوان «ويرى الناظر » وعنوان « فأمكن لجاحدى الوحى » شيئا كثيرا ينم على أن رأيه لا يبعد الناظر » وعنوان « فأمكن لجاحدى الوحى » شيئا كثيرا ينم على أن رأيه لا يبعد

<sup>(</sup>١) كما أنه ليس فى الحتى والعدل مافعله أهل الكتاب الذين لايؤمنون بنبي بعسد نبيهم من اثارة الشبهة حول نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فكذلك لايجوز لنا أن لذكر أنبياء الملل الذين لايؤمنون بنينا بما يثير الشبهة فى نبوتهم كما فعل الشيخ رشيد فلسنا تحن المسلمين كأهل الكتاب لانفرق بين أحد من رسل الله بل نؤمن بهم عن آخرهم إيمانا لايخوم حوله شك الشاكين ولاشبهة المفرقين

عن آرائهم. وحسبك أنه يعنيه انتقاداتهم ولا يعنيه ان يجيب عنها فلو عناه لأجاب وكيف يجيب والجواب الحاسم الذى هو معجزات الأنبياء قد قدح فيها الشيخ قبل القادحين حيث قال انها شبهة لاحجة على الرغم من تعبير القرآن عنها تارة بالآيات البينات وتارة بالبرهان وتارة بالفرقان وتارة بالسلطان وتارة بالحق، وقد سبق كل ذلك. نعم ان الشيخ قال أيضا ماقال عن تلك المعجزات انها شبهة لاحجة ، عازيا له الى علماء العصر ، لكن قد عرفت أن هذا الأسلوب من ألا عيب الشيخ والا فكيف يؤيد بقول علماء العصر هذا ان لم يكن قولهم مقبولا عنده ، ماالتزمه هيكل باشا في كتابه وحياة محمد» من أهمال معجزاته علي الكونية ؟

فههذا أى عند الكلام مع جاحدى نبوة سيدنا موسى وعيسى الذين أحضرهم الشيخ رشيد أمامنا وأحضر معهم مالديهم من شبهات واحمالات عن أصل التوراة والانجيل ومأخذها ، وعند توقف ازالة الشبهات والاحمالات على معجزات ذينك النبيين الجليلين .. عندهذا الموقف الدقيق الذى يمنينا نحن المسلمين بقدرمايهنى اليهود والنصارى ، يتبين عظم جناية المستهينين بالمجزات الكونية المنكرين لأهميتها في نبوة الأنبياء . فالأنبياء كلهم غير نبينا صلوات الله وسلامه عليهم، على ماأدى اليه قول الشيخ رشيد مفحمون من جانب جاحدى الوحى، فإن كان عند الشيخ ما يدفع الافحام عنهم ولم يذكره عمدا فهو مع الجاحدين أعداء الأنبياء ، وإن لم يكن عنده ذلك فهو مفحم مع الأنبياء بصفة انه مسلم بؤمن بالله وكتبه ورسله ، بل مفحم معه نبى الاسلام أيضا بصفة كونه مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل

فياأيها المتكلمون بلسان الاسلام لاتحدثوا الناس من غير ميزان ولا مقياس في أسمى ميزات الاسلام على سائر الأديان السهاوية انه ضامن لتلك الأديان أيضا فاذا دخلت شبهة فى أصل واحد منها يتأثر الاسلام بها أيضا ولا يسلم من عدواها . فاياكم أن تستهينوا بمعجزات الأنبياء عند إكبار معجزة القرآن وتستهينو بالسنة عند

اعظام شأن الكتاب، فالكتاب لايتنصل من السنة والقرآن لايتنصل من التوراة والانجيل. فأنتم تعلمون دعوى اختلاق الشعر الجاهلي بعد الاسلام، ولعلكم تعلمون أيضا ماترى البه تلك الدعوى من اثارة الشبهة في القرآن من ناحية الرواية، بواسطة اثارة الشك في أمانة الرواة المسلمين مطلقا. وكانت تلك الدعوى قد قوبات بضجة في الرأى العام الاسلامي بمصر، ثم ظهر كتاب «الوحى المحمدى» فطعن صاحبه في الوحى الموسوى والديسوى وظهر كتاب «حياة محمد» فطعن صاحبه في سنة محمد الطعن في الطعن في الطبعة الثانية كل الظهور فلم يحرك كل من ذلك ساكنا في الرأى العام وما أخل برغبة المسلمين لاسيما في الكتاب الثاني، مع أن صلة السنة بالكتاب وصلة التوراة والانجيل بالقرآن أشد وأقرب من صلة الشعر الجاهلي بالقرآن. والفرق المشهود بين الحالين لايسفر الاعما طرأ على الاسلام بمرور الزمان من ضعف في الحاسة أو ضعف في النفكير

\*\*\*

وعند كتابة هدفه السطور \_ وأنا ماانتهيت عن الكلام في الوجه السابع من وجوه النقد على كتاب هيكل باشا أوبالأصح على مقدمة الطبعة الثانية له \_ اطلمت على المعدد الخاص من مجلة « الرسالة » بأول العام الهجرى ١٣٥٨ ورقم السنة هذا منى ، لان المجلة كمادتها ، ورخة برقم السنة الميلادية ، وقد أعجبني مما قرأت منها \_ وما قرأت جلها \_ قصيدة « قومي بين الشرق والغرب» ومقالة «عندنا غدهم» و « روح العبادة في الاسلام » و « أعظم يوم في تاريخ العالم » الا آخر المقالة الأخيرة التي يقول فيها كاتبها الأديب الأستاذ عبد العزيز البشري :

« و بعد فان بممجزات عيسى عليه السلام قد ختم هذا الضرب من الخوارق التي تجرى على أيدى الرسل » ثم يقول : « ان معجزة محمد عليات تمتاز بأمرين: الأول أنها لاخلاف فيها لسنن الكون ولامغايرة فيها لطبائع المخلوقات »

ياللعجب! حتى الأستاذ ابن الأستاذ الأكبر المرحوم سليم البشرى من شيوخ الأزهر السابقين يشارك الزاعمين بمصر من الكتاب والعلماء أن لامعجزة لنبينا عليه الأزهر السابقين يشارك الزاعمين بمصر من الكتاب والعلماء أن لامعجزة لنبينا على غير القرآن، ولا أظن ان والد الأستاذ رحمه الله يقبل هذا الرأى لوكان حيا ولا أن الأستاذ نفسه يقبل ما يتضمنه وما يترتب على ما يتضمنه من المفاسد ولا ما يقصده الزاعمون أو زعماء الزاعمين منه . أما ما يتضمنه وما يترتب على ما يتضمنه فقد أمهبت في ايضاحه لمن كان له قاب أو ألقي السمع وهو شهيد . واما ما يقصد منه فأقوله هنا:

أرى طائفة عصرية من الكتّاب والعلماء بمصر اتفقوا فيا بينهم على حصر معجزات نبينا وَلِيَّالِيَّ في القرآن. وقد راقتهم هذه الفكرة كأنهم اكتشفوا بها حقيقة خفيت على من سبقهم من علماء الاسلام وعقلائه طيلة تاريخه. وربما انتحلوها من علماء الغرب وعقلائه م أو على الأقل من علمهم وعقليتهم الحديثين، وانى أقول ما الغرب وعقلائه عن مقصدهم الأقصى، على أنه هو الآخر اكتشاف لى كما ان ما القول عصر معجزات نبينا في القرآن اكتشافهم ، غير أنى لم أنتحل ما اكتشفته من الغرب، وغيرى لا يستطيع الكشف عن مقاصدهم، فإن استطاعه فقد لا يستطيع عاهدتهم بها

أيها القارئ العزيز وياأيها الاستاذ عبد العزيز ان عقول الطائفة التي أشرت اليها والتي لاأود أن تكون منها مخطوفة من علم الغرب المادى، وعهدى بالعقل الذى هو أشرف خلق الله أنه يأبى أن يخطفه خاطف العلم ويأسره آسره (١) انهم لا يؤمنون بالمعجزة أى معجزة كانت ، لان علمهم المثبت يمنعهم ان يؤمنوا بكل ما يخالف سنة الكون، مع ان المعجزة لا بد ان تخالف سنة الكون والا فلا تكون معجزة .

<sup>(</sup>١) وقد قلنا فى الفصل الثالث من الباب الأول (من الكتاب الكبير ) المعنون « موقف العلم من العقل » انالعقل اكتشف العلوم وأدركها ولم يدرك العلم بعد ماهية العقل

أما معجزة القرآن فانهم يؤمنون بها لكونها معجزة لاتشبه المعجزة وأنما هي كلام أبلغ ما يكون في الكلام ، وهم لايرون في أن يكون كلام أبلغ من كل كلام مايخالف سنة الكون كقلب العصاحية واعادةالميت حيا، كمانهم يريدون أن يتصوروا نبوة محمد مَسَالِينَةٍ على غير ما نتصوره نحن المسلمين القدماء، ليس فيها مايخرق سـنة الكون وانما عبقرية في الفضيلة والنزاهة والحكمة والهداية الى مافيه سعادة الأمم، وان شئت فلا نقل عبقرية لما أن فيها شيئا من الخروج على سنة الكون ، بل زعامة فضلى وكال في الزعامة دونه زعامة الزعماء ، انهم بريدون أن يجملوا محمدا عَلَيْكُ وَ زعيما عربيا بزكل زعيم منكل أمة في الصــلاح والاصــلاح . وقد سمعوا قول أحد المستشرقين عنه « بطل في صورة نبي » ولا لزوم عندهم لأن يكون محمد الزعيم نبيا ينزل عليه الفينة بعد الفينة ملك يسمى جبريل ويأتى ببلاغ من الله بلفظه ومعناه (١١) وهو القرآن الممجز بمراسم ايحائه وانزاله قبل أن يكون ممجزا ببلاغته ، لالزوم لذلك لأن القرآن يكون حينتُذ معجزة من المجزات الكونية التي تنكرها هذه الطائفة الشرقية اقتداء بملماء الغرب المنكرين لكل مايخالف سنة الكون، ولاأشد مخالفة من الزال ملك على بشر حاملا بلاغا متلواً من الله ومتمثلا على الأكثر في صورة البشر فمنكرو المجزات الكونية من العرب للزعيم العربى الأعظم عِيَّالِيَّةُ ينكرونها عبثا ان لم ينكروا معها نبوته ورسالته المعروفة المعنى عند المسامين منذ قرون الاسلام الأُوَلُ<sup>(٢)</sup>الا أن تكوننبوة كاعر"فها امامالطائفة الشيخ محمدعبده وسبق نقلهمنا،ورسالة من نوع رسالة مجلة «الرسالة» وبعض كتّابها ولكن من أعلى وأفضل فردمن ذلك النوع

<sup>(</sup>۱) قال الله تعالى (لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه )

<sup>(</sup>٢) ولكون نبوة الأنبياء والذي تضمنته من الوحى الحاص بهم ، مخالفة اسنة الكون التي لا يقر العلم المدعو بالعلم المثبت مايخالفها ، تلعثم معالى هيكل باشا الذي ألف «حياة محمد» بالعلم ، في تأليف وحي محمد صلى الله عليه وسلم بالعلم تلعبًا كاد يكفر به أي بالعلم في سبيل الايمان بوحيه ، وقد أشرنا اليه من قبل ، راجع ص ٤١ ، ٢٤ من الطبعة الثانية من كتاب حياة محمد

وليس لقائل أن يقول اعتراضا علينا: ولكن ماالضرر من أن لا يكون محمدرسولا غالفا لسنن الكون اذا فرضنا كونه رسولا طبيميا موافقا لسنن الكون وفرضنا معه —وهو فرض مطابق للواقع— أنه قام بكل مالزمأن يقوم به لوَكان رسولا غيرطبيعي كما يتصور المسلمون الأولون، وأتى بمحزات لا تختلف عن المحزات الا في مطابقة بالسنة الكون (١) وإن شئت فقل رسولا انسانيا وغيرانساني بدل الرسول الطبيعي وغيرالطبيعي وقبل أن نجيب عن هذا الاعتراض الذي أوردنا علينا ، نورد كلــات من مقالة الدكتور زكى مبارك المنشورة أيضا في العدد المتاز من محلة « الرسالة » تأييدا لصحة اكتشافنا المار الذكر عن عقلة طائفة من السلمين عصر في المحزة والنبوة المحمدية: قال: «كان محمد انسانا بشهادة القرآن. وبنو آدم يؤذيهمأن يتلقوا الحكمة عن رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق (٢) « وفي غمرة هذه الضلالة نسيت النواحي الانسانية في حياة الرسول والا فهن الذي يصدق ان رجلا مثل محمد يضيع من عمره أربعون سنة بلا تاريخ ، ولأى سبب ينسى الناس أو يتناسون تلك المدةمن حياة الرسول ؟ » (١) وكان الأستاذ فريد وحدى الذي هومن غلاة منكري المجزات محاول في الأزمنة الأخيرة ان يصور الاعجاز في رسالة نبينا بمـا يشبه هذا النوع الطبيعي الذي يكون اعجازه في مبلغه من

الكمال المنقطع النظير لافيمخالفته الطبيعة . راجع ماكتبه فيمجلة « الأزهر » من المقالات بعنوان « السرة المحمدية تحت ضوء العلم والفاسفة »

<sup>(</sup>٢) في هـــذا القول تعريض للمســـلمين القدماء الذين يتصورون لنبيهم أحوالا فوق الأحوال الطبيعية كالمعجزات ونزول الملك عليه بالوحى من السهاء فسكائهم فى زعم الدكتور يصعدون محمدا صلى أنة عليه وسلم الى مافوق البشرية . وهذا مايعنيه يقوله : « وبنو آدم يؤذمهم تلق الحكمة من رحل ما كار الطعام وعشي في الأسواق» . وأنا أقول لاية ذي المسامين ان يكون نبيهم بشيرا وأنميا يظن الدكتور ومن في عقليته من المتعلمين العصر بين أن تصور النبي كما يتصور المسلمون القدماء مأن ينزل عليه الملك بالوحي من الله ويحكون له معجزات تخرق سان الكون ، مخرحه من البشرية وينافى انسانينه . ومن عجيب المغالطة استشهاد الدكتور على بشرية نبينا بتول القرآن ، كائن هناك من يشك في أنه انسان ، حتى أن الذين عاموه من حملاء المشركين فقالوا (مالهذا الرسول يأكل الطعام وعممي في الأسواق) وأراد الدكتور تطبيق عقليتهم بغير حق على المسلمين ، لم يشكوا في كو نه بشرًا وانما أشكل عليهم نبوة البشركما أشكات على الدكتور نفسه

ماذا يريد الدكتور زكى مبارك أن يقول ؟ فهل هو معترض على تأخر اعلان رسالة محمد ويتلقي الى مبدأ العقد الخامس من عمره ؟ والا فما معنى نسيان الناس أو تناسيهم المدة التى تقدمت ذلك الحين من حياة الرسول ؟ فكا به يقول ان حياة محمد الرسول أضرت بجياة محمد الانسان حيث طفت عليها وأنست النساس ماكان له من حياته قبل مبعثه . مع ان الذين كتبوا تاريخه مانسوا ولا تناسوا ماعرفوا من حياته قبل رسالته . لكن مؤرخي الاسلام ليسوا بكتاب الرواية حتى يملأ وا فراغ مايمرفون بما لايمرفون بما لايمرفون . والله تعالى يتولى الجواب عن اعتراض الدكتور فيقول لرسوله : (قل لوشاء الله ماتلوته عليكم و لا أدرا كم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تمقلون) ويقول (وما كنت تتاو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون) وهذا الفراغ في حياة الرسول ويتياني قبل رسالته معدود من جملة ماجمل القرآن معجزة

ولمل الدكتوركان يتوقع على الأقل من مؤرخى الاسلام القدماء أن يقولوا عن حياة سيدنا محمد قبل مبعثه أنه قضاها فى التفكير فيما سيضمه موضع الفمل والتنفيذ من المبادئ كما قال الأستاذ أحمد أمين فى مقالته المشورة فى المدد ١٨ من مجلة «الثقافة» بمنوان « محمد الرسول المصلح »

«كم أجهد نفسه فى التفكير وأجهد روحه فى البحث وكانت عزلته فى غارحراء وسيلة من وسائل تفكيره ، وفيم كان يفكر ويطيل تفكيره ؟ فى سوء ماعليه العالم وفى سوء مايعتقد العرب وغير العرب وفى سوء الحالة الاجتماعية فى العالم الذى رآه فى الشام . قد يكون هذا الفساد واضحاءولكن فى جزيرة العربوفى العالم الذى رآه فى الشام . قد يكون هذا الفساد واضحاءولكن ماهو الحق؟ وأين الحق ؟ كان هذا هو زمن التفكير ونوع التفكير ثم همتدى وكان الوحى إيذا ما بالهداية . شمكان له بعدذلك من الله قوة فى التنفيذ لا تبارى » فتأمل وقال الدكتور زكى مبارك أيضا : «كان محمد انسانا قبل أن يكون نبيا »

أقول ان كان هذا كقول بعض المسلمين القوميين أنا عربى أوتركى أولا ثم مسلم ، كان استهانة بالنبوة فلو فرض ان رسولا تبكلم هذه الكلمة على معنى ان انسانيته أهم في نظره من رسالته لسقط عن مرتبة النبوة والرسالة كما يسقط عندى من يقول أنا من القوم الفلانى أولا ثم مسلم، عن اسلامه . ثم قال الدكتور: وذلك من أعظم الحظوظ الذي غنمها في التاريخ . فسيأتى يوم قرب أو بعيد يثور فيه الناس على الأمور الغيبية ولكنهم لا يستطيعون أن يثوروا على عبقرية محمد »

ممناه سيأتى يوم قريب أو بميد يثور فيه أتباع محمد عامة والمرب خاصة على نبوته وعلى الدين الذي أتى به ويستغنون عنهما لـكونهما من الأمور الغيبية التي لايصدقها أهل المصور العلمية ولكنهم لايستطيعون أن يستغنوا عن عبقريته كزعيم غيرديني، فكأن عبقريته وبطولته أظهر وأقوى من نبوته كمايدعيه بعض المستشرقين . ولايخني أن قول الدكتور هـذا ثورة من الآن على نبوة محمد عَلَيْكُ ودينه . فان قال قائل: ان الدكتور نفسه لايريد ان يكون ثائرا على نبوته عَيْنَاتُهُ التي هي من الأمور الغيبية وانمــا يقول عن ثورة محتملة يحدثها آخرون في الآتي القريب أوالبعيد ، فجوابي عليه ان المفهوم من كلام الله كتور أنه لايأمن على نبوته من الثورة كائنا من كان الثائر ، بقدر مايأمن على عبقريته. ولاريب في أنه ينم على شك منهأوتشكيك في نبوته، فكا نه الناس بعبقريته ، ألسـنا صادقين اذن في القول بأن طائفة من الـكتّاب المسـلدين وبعض علماء الدن بمصر لايؤمنون بالمعجزة والنبوة على معناهما المعروف عند المليين لاسيا وهم يجدون في محمد عَيْسَالِينْ أوصافا عبقرية تؤهله لأعظم زعامة وتغنيه عن النبوة، ودعوى النبوة منه كانت عندهم حيلة توسل بها الى اقناع الناس بالاذعان لمبادئه وفيها مصلحتهم وسعادتهم ان لم يَكن في الآخرة التي هي أيضا من الغيبيات غير الآمنة من أن يثار عليها ، فني الدنيا . والاحتيال الذي لايتفق مع النبوة يتفقءُم المبقرية . وهكذا

تكون عبقرية محد مفترقة عن نبوته

فلو قلنا اعتراضا عليهم ان العبقرية لا يمكنها ان تعدل رتبة النبوة وحسبنا في ذلك المكان اتفاق العبقرية مع الاحتيال الذي هو نوع من النفاق ، لكان جوابهم نمم ان النبوة أفضل وأسمى من العبقرية لولااتها من الغيبيات التي تثار عليها بأنها أمر لاحقيقة لها ولا وجود الا في نحيلة أهل الدين ، فخلاصة كلام الدكتور زكى مبارك ان نبوة محمد لا يمكن الدفاع عنها تجاه الثائرين عليها ما أمكن الدفاع عن عبقريته ، ويكون جوابى على هذا الجواب أن محمدا العبقرى من غير نبوة لايصير زعيم المسلمين وأنما يصير زعيم العرب ولا جميع العرب بل الذين لا يؤمنون بنبوته ، فهو زعيمهم و نبينا عن المسلمين، لا ترتاب يوما في نبوته ولا ننى مدافع عنها وأنا أحقر أمته دافمت عنها في هذا الكتاب لا لأن نبوته محتاجة الى مدافعتي بل لأني محتاج الى شفاعته يوم يملم أيهما أحب الية من هو نبيه أو زعيمه؟ على ان النبوة تتضمن الزعامة أيضا من غير عكس

وقال الدكتور أيضا: « أنهم يصنعون بتاريخ الرسول ماصنعوا بتاريخ الأمة العربية . لأنهم أرادوا أن يخضعوا خضوعا تاما للمعجزات فالنبي لم يكن رجلاعبقريا وانحا خصه الله بالرسالة فكتب له الخلود، والعرب لم يكونوا أمة قوية وإنما ارتفعوا بفضل الرسول »

كنت أعيب على الترك المنتمين الى الانقلاب الذى أحدثوه قبل سنين فى تركيا ، انهم لا يعترفون بأى حق و فضل للاسلام على الترك فاذا بى أرى طائفة من العرب الذين انتشر منهم هذا الدين، لا يدون الاعتراف بفضل الني العربي على العرب. وكائن العرب الأحداث يريدون أن يأخذوا اللادينية من الترك الأحداث كما أخذ الترك المسلمون دينهم من العرب القدماء . ان الني عند الدكتور زكى مبارك لم يكن محتاجا فى عبقريته و خلود اسمه الى أن يكون بفضل الله عليه نبيا ، كما لم يكن العرب محتاجين في نهضتهم ورقيهم الى أن يدينوا بالاسلام بفضل الرسول . فلو كانت للنبي عبقريته في فهضتهم ورقيهم الى أن يدينوا بالاسلام بفضل الرسول . فلو كانت للنبي عبقريته

من غير نبوة لكفته فى خلود اسمه ، ولوكانت للمرب قوتهم من غيردين لكفتهم فى رقيهم ونهضتهم تحت زعامة هذا العبقرى العربى بل تحت زعامة أى عبقرى كان .

وهذا من الدكتور غاية في النكران بفضل الله على النبي العربي وبفضل الاسلام ورسوله على العرب. فهو أجرأ فضولي تعصب لرسول الله بحا 'يسخط الله وتعصب للعرب بما يسخط الرسول. لكن القرآن يقول لنبيه ردا على الدكتور: (ولولا فضل الله عليك ورجمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) وقال عن العرب: (هو الذي بعث في الأميدين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لني ضلال مبين)

وحتى الأستاذ أحمد أمين يكذِّب دعوى الدكتور فى العرب حيث يقول فى مقالته المارة الذكر المعنونة: « محمد الرسول المصلح »

« لقد نشأ فى جو خانق ويئة مضطربة فاسدة وحالة اجتماعية تبعث اليأس ؟ فيمل من الشر خيرا ومن الاضطراب أمنا ومن الفساد صلاحا . فالعرب قد وهبت نفسها للأصنام ، وجعلت البيت الحرام ـ الذى بنى ليعبد فيه الله ـ مباءة لثلاثمائة حجر أو تزيد ، تعبدها من دون الله . ومن تنصر منهم أوتهود فقد تنصر أوتهود بنصرانية أو يهودية فقدت روحها ، وتقسمتها المذاهب والشيع ودخل على تعاليمها الأولى كثير من البدع فلم تنجح فيهم يهودية ولا فصرانية ، والحنفاء الذين ظهر واقبل الاسلام كان صوتهم ضعيفا خافتا ، عجزوا ـ كاعجزت اليهودية والنصرانية ـ أن يغيروا شيئا من حياة العرب وعقلية العرب . ثم كانت حياتهم سلسلة ساب ونهب ، كل قبيلة وحدة بل كل فرع قبيلة وحدة ، وكل قبيلة فى عداء مع من جاورها ، لا أمن على الحياة ولا أمن على المال ، لا يفقهون معنى أمة ولا يفهمون معنى لحياة سياسية أو

مدنية، ولا يمرفون معنى لعلم أو فن ؟ فلو أنت قلت ان أحدا من الأنبياء والمصلحين لم يجد من اختلال أمته وفسادها ماوجد محمد من العرب وغير العرب، ماعدوت الصواب، واني كنت قرأت قبل أن رأيت مقالة الدكتور زكى أشياء كثيرة عن خصوم المعجزات، فرأيت منهم من يفرق بسبب المعجزات بين الرسل الذين لانفرق بين أحد منهم، ومن يفرق بين معجزة وممجزة، وما رأيت مثل الدكتور من يفرق بين الرسول وبين رسالته ومعجزاته . فمن ذا الذي قال له إن رسالة محمد عليه وانسانيته شيئان مختلفان بحيث بعث أيهما بفضله كتب الخلود لحمد ؟ فالدكتور يكاد يحنق على نبوة محمد واسلام العرب بسبب نبوته لان الناس أفنوا تاريخ انسانية محمد وعبقريته في نبوته كا أفنوا تاريخ العرب في الاسلام . فكأنه عليه الناريخ عن أمة العرب وعن محمد العربي أكثر وأبهر مماكتبه أو على الأقل ما يعدله (١)

فلمل الدكتور تشبع أولا بالدعوى القومية التي تملمها الشرق من الغرب بعد ان نبذها النبي العربي وسهاها دعوى جاهلية، ثم رأى بعض الأبطال القوميين المعاصرين والى لعلى يقيين من أنه لايعرف زيفهم من خلصهم و فتمنى لو كان محمد ويتعلقون كأحدهم ، ولم يصبغ عبقريته بالصبغة الدينية الغيبية ، فلمل مجد العرب كان اذ ذاك باقيا لهم ولم يذهب بذهاب قوة اسلامهم . وهنا يطول الكلام اذا وفي بعض حقه

الكنى أوجز القول فأسأل الدكتور: أكان يكون بيد محمد مُوَلِيَالِيَّةِ هذا القرآن لو لم يكن نبيا ، فان أجاب بالايجاب يلزمه أن لا يكون مؤمنا بأن القرآن كلام الله أو على الأقل يلزم أن تكون نسبة القرآن عنده الى محمد أصح من نسبته الى الله ،

<sup>(</sup>۱) ومما هو جدير بالاعتبار ان الدكتور على الرغم مما يرى انه من غلاة دعاة القومية يحدث المفاضلة والمنافسة بين نبوته ولله وعربيته ولا يستطيع أن يحدثهما بين نبوته وعربيته لان سيدنا محمدا نفسه أفنى قوميته فى دينه

ويلزمه أيضا أن يكون القرآن ومنشئه أعنى محمدا كاذبين في دعوى أنه لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله اذ لايجرأ انسان عاقل على أن يقوم بمثل هذه الدعوى لأى كتاب ألفه ، لان في امكان البشر أن يأتى بمثل كلام أحد منهم مهما كان مبلغه في القدرة على انشاء السكلام . وان أجاب بالنفي ولم يكن نقصان القرآن عن عبقرية الزعيم المربي خسارة لاتقبل التلافي لزمأن لا يكون الدكتور مؤمنا بعبقرية القرآن ايمانه بعبقرية محمد . ثم لو لم يكن القرآن لما اعتنى بلغة المرب وخدمها من خدمها من علماء العرب والعجم تلك الخدمة التي لم تخدم بمثلها أى لغدة أمة في الدنيا والتي لا يقدرها الجيل الحديث من العرب حق قدرها ؟ بل لو لم يكن القرآن لما كان بقاء الله العربية والعرب الى يومنا هذا مضمونا ؛ وما ظن الدكتور زكي مبارك بمصر : آلعرب أتوها بالعربية والعروبة أم القرآن والاسلام (١) ؟

فلا يستطيع عربى عاقل أن ينكر كون عبقرية محمد المربى كلمها أو جلمها بفضل القرآن الذى حصل عليه بفضل رسالته من الله ؟ حتى ان المنكرين لمعجزات نبينا ما وسعمهم انكار معجزة القرآن؛ ولا يكون القرآن معجزة الا اذا كان من عند الله ، ولا يكون من عند الله الا اذا كان محمد رسول الله بالمعنى الممروف الغيبي للرسالة . وانظر فيما قاله الدكتور وتأمل جدا : « ان محمدا حرم نفسه الشهرة باجادة البيان وبفضل الكتاب

<sup>(</sup>۱) لا تجد فى العالم لفة من اللغات الراقيسة الا وقد طرأت عليها تغيرات كبيرة وتطورات بحيث لا يفهم الجيل الحديث لغة الجيسل الفدم من نفس القوم أو يستثقله ، الا اللغة العربية الفصحى فنجد ماقيل أو كتب قبل أ كثر من ألف سنة من النظم أوالنثر العربي كانه قيل البوم أو كتب أوأفضل مما قيل اليوم أو كتب . وهذا بفضل القرآن الذي ثبت على ما كان عليه من لفظه المعجز لم تتبدل منه ولا كلة واحدة وبقيت لغة الفصحاء والبلغاء في كل عصر غير متباعدة عن جاذبية محور القرآن وكان من أثر تبعيسة الفصحى للقرآن غير منفادة للتطورات التي يقتضيها الطبيعة البشرية ان اتسعت مسافة الفرق في اللغة العربية بين الفصحى الثابتة بثبات القرآن والعامية المنفيرة بنغير الزمان وأصبحت أكثر مما بينهما في أي لغة أخرى

الذي بلُّغه عاش البيان (١)

وقال الدكتور أيضا: « وما يجوز عند جمهور المسلمين أن يقال: ان الله خص محمدا بالرسالة لأنه كان وصل الى أسمى الغايات من الوجهة الانسانية ولا أن يقال: ان الله اختار ذلك الرسول من العرب لانهم كانوا وصلوا الى غاية عالية من قوة الروح. » جمهور المسلمين الذين عاتبهم الدكتور لا يجهلون أن الله أعلم حيث يجمل رسالته، ولكن أدب الاسلام وفلسفته لا يسوغان دعوى الاستحقاق بين يدى الله لأى عبد من عباده وانما يقال ان أناب فبفضله وان عاقب فبمدله. فان كان على الله أسمى الغايات من الوجهة الانسانية - ولا ريب في أنه وصل - فقد كان وصوله اليه أيضا بفضل خاص من الله به ؛ وان كان العرب اختار الرسول منهم لانهم كانواو صلوا الى غاية عالية من قوة الروح ، ولكن هل هو قبل اسلامهم أو مع اسلامهم أو بعده بقليل أو كثير ، وعلى كل حال ان كانوا وصلوا الى غاية عالية فذلك بفضل الله أيضا وقال أيضا وأنا أنقل عنه غير متبع لترتيبه:

« أعتقد انشخصية الني محمد لم تدرس حق الدرس الى اليوم فى البيئات الاسلامية

<sup>(</sup>۱) وانى لاأعلق على هذا القول غير تذكير ماكنت قلته فىأوائل الباب الأولى ( من الكتلب الكبير ) عند مناقشة أقوال الأستاذ فرح أنطون منشىء مجلة « الجامعة » ومناظر الشيح محمد عبده فى الزمان الماضى :

<sup>«</sup> والحاللة المشتكى من الرياء الذى لايزال الجيل الأخير من الكتاب المتفرنجين ينتقبونه ، ماأشفه وما أغلظه ! فلو لم يكن لأهل الدين فخار ولا لهؤلاء عار الا اختلاف الطائفتين في الاخلاس والرياء لكفاها ، وهل محجة الكمال التي يأملون أن يصل اليها البشر في المستقبل ، وهم معاشر العقلاء المتفرنجين قد وصلوا اليها من الآن ، مراآة الناس ومصانعتهم ؟ وهؤلاء المراؤن مزيفون أشد وأشنع من الحجرمين أهل المهنة المعلومة ، لانهم يزيفون النقود والمراؤن يزيفون أنفسهم »

وقول الدكتور زكى هذا يؤيد ما ذكرته سابقا فى مغزى تخصيص معجزة القرآن بالاعتراف من منكرى المعجزات قائلين انها معجزة عقلمة انسانية !!

لان المسلمين يجعلونه رسولا في جميع الأحوال فهو لا يتقدم ولا يتأخر الا باشارة من جبريل وممنى ذلك انشخصية محمد في جميع نواحيها شخصية نبويةلاانسانية وقلت وكأن ممنى قول الدكتور هذا ان نبوة سيدنا محمد تنافى انسانيته . ثم قال « يضاف الى هذا ان جمهور المسلمين يعتقدون ان النبوة لاتكتسب ، وهم يعنون بذلك انها لاتنال بالجهاد في سبيل المعانى الانسانية وانما هي فضل يخص الله به من يشاء . »

قلت وهو كذلك رغم أنف الدكتور ، لأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . ثم قال :

« وانحا غلبت هذه العقيدة لأن الاسلام نشأ في بيئات وثنية أوخاضعة للعقليات الوثنية ، والرسول لم يشق بين قومه الالأنه حدثهم بأنه بشر مثلهم ولو انه كان استباح الكذب فحدثهم بأن فيه عنصرا من الألوهية لوصل الىقلو بهم بلا عناء »

وأنا أقول هل قوم الرسول الذين شقى هو بينهم ولم يصل الى قلوبهم بلاعناء لأنه لم يحدثهم بان فيه عنصراً من الألوهية ، هم العرب اندين كان يقول عنهم الدكتور: « ان الله اختار الرسول منهم لأنهم كانوا وصاوا الى غاية عالية من قوة الروح » ؟

ان المسلمين أيها الدكتور من العرب وغيرهم أو استباح النبي الكذب فحدثهم بان فيه عنصراً من الالوهية لما آمنوا به نبيا بله ايمانهم به على ان فيه شيئا من الألوهية . ولا مناسبة أصلا بين عقيدة المسلمين أن النبوة فضل من الله يخص به من يشاء من عباده ، التي هي عقيدة التوحيد الخالص وبين عقليات وثنية تتصور في النبي عنصرا من الألوهية

الحق ان المسلمين وأعنى بهم مايعـنى الدكتور بجمهورهم ممن كانوا على مذاهب الائمة الأربمة أبى حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والذين أخذ أوائك الائمة منهم ومن ( • ﴿ — القول الفصل )

كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة مثل الأشاعرة والماتريدية ومعهم كثير منغيرهم ماأنكروا في أي وقت من الأوقات كون النبي انسانا ؟ وأنما الطائفة العصرية المارة الذكر ينكرون أن يكون الانسان نبيا يأتيه وحي من الله على طريقة خاصة معاومة عند أنبياء الله الذين نعرفهم بأسمائهم المذكورة في القرآن ، ورعما يأتيه ملك أوينزل عليه كتاب أيضا . وهذا مراد الدكتور مما عبر عنه بعنصر من الألوهية غيرَ مصيب في تعبيره ، وأنما الله كتور ومن في عقليته يعتبرون النبوة الحقيقية عنصرا من الألوهية ويزعمون انها لاتأتلف مع البشرية . (١) وهي عقاية قديمة جاهاية كانحما القرآن في كثير من آياته كقوله (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا مأ ازل الله على بشر من شيء) وقوله (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق) وقد سبق أن الدكتور طبق هذه الآية بغير حق على الذين يخالفهم من المسلمين في العقيدة، مع أن الآية تنطبق عليه نفسه ومن على شاكاته كما نبهنا اليه في محل تطبيقه أيضا . فالرسول لم يشق بين المسلمين حين حدثهم بأنه بشر مثابهم ، كما أنه مااستباح الكذب عند ماحــدَثُهُم بأنه نبي يأتيه وحي من الله ، والذين يتصورون المنافاة بين الحالتــين من الجاهايين القديمين والحديثين لم يكن خطأهم في أنهم ماقدروا النبي حق قدره فحسب بل أصل اخطائهم انهم ماقدروا الله حق تدره كما نبه عليه القرآف الحكيم لأنهم بإنكارهم النبوة المعروفة عند المسلمين أنكروا قدرة الله على ارسال الرسل وانزال الكتب وانظرقول القرآن الحكم أيضا: (قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فأنهم لاَيكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) والله تعالى أذن لاتصال الانسان به بأن خلق فيه العقل والادراك حتى زعم « بلوتن » الاسكندري ان الانسان يتحد

<sup>(</sup>١) حتى أن النبي الذي لم يستبح السكذب حين قال لتومه انه بشر مثلهم استباحه عند الدكتور حين قال لهم انه نبي بالمعنى المعروف الذي يتوهم الدكتور أن فيسه عنصراً من الألوهية وحين قال ان القرآن كلام الله لاكلامه ، انظروا الى قوله السابق « انعما حرم نفسه الشهرة باجادة البيان الخ» تجدوا فيه تصديق ما أقول

مع الله عند ادراك أى شيء من الأشياء وقد تقدم بحثه (في الكتاب الكبير) عند النظر في الفلسفة الحسبانية في آخر الفصل الأول من الباب الأول. فالله الذي خلق المقل وجعله صلة بينه وبين الانسان من غير أن يخرجه من البشرية على خلاف زعم « بلوتن » قادر أيضا على أن يجعل بينه وبين من اصطفاه من عباده صلة أخص من صلة المقل وينزل عليه وحياً أوضح من وحي المقل من غير أن يخرجه أيضا من البشرية على خلاف زعم الدكتور زكى وأمثاله

## هل يجوز أن تـكون النبوة مكتسبة

فالنبى انسان له اتصال خاص بالله تعالى فوق الاتصال الذى يحصل المكل عاقل عند تعقل ربه بالنظر فى أدلة الكون فيأتيه وحى منه ويكون ايحاؤه اليه فوق الهام العلماء والمشر وعات العظيمة للعظاء . فهذه المرتبة الانسانية هى التى لاتكتسب وتمتاز بكونها فضلا من الله خاصاً لمن يصطفيه من عباده ، والتى يغيظ الدكتور زكى مبارك أن تكون كذلك . وليس هو أول من دارت هذه الفكرة فى خلده (١) ونحن بفضل الله . نبين المحاذر المترتبة على كون النبوة مكتسبة :

فأولا يلزم على هـذا التقـدير ان لايكون محمد وَلَيْكُونَ خاتم النبيين ، رغم كونه منصوصا عليه في القرآن ، لأن باب الاكتساب يلزم أن يكون مفتوحا لكل طالب من أمة محمد وغيرها ، حتى انه يلزم أن يكون في امكان الدكتور زكى مبارك مشـلا أن يمد نفسه من المرشحين للنبوة وأن يحصل علمها كما حصل على الدكتوراهات

<sup>(</sup>۱) لم أرد بقولى هذا موافقة الدكتور على ماقاله من أن جمهور المستلمين يعتقدون أن النبوة الاتكتسب ، اذ المفهوم منه ان فى المسلمين من يفترق عن الجمهور ويقول بالنبوة المكتسبة ، بل فى تسميته النافين للنبوة المكتسبة « بالجمهور » اشارة الى الهم عامة المسلمين والقائلين بخلافه خاصتهم مع الت القول بالنبوة المحتسبة لا يمكن الا أن يكون قول من لا يؤمنون بالنبوة الحقيقية المعر وفة فى الاسلام وفى سائرالأديان الساوية ، نعم سمعت بعد مجيئى الى مصر ان الشيخ جمال الدين الأفغانى اتهم بهذا القول فى الاستانبول وكانت صحة التهمة غائبة عنى منذ سمعت حكايتها ، فهل للدكتور ذكى

وثانيا لوكانت نبوة سيدنا محمد مكتسبة كما يريدون أى عبقرية وبطولة مجردة عن الغيبيات كان عليالية وحاشاه أن يكون \_ كاذبا فى اسناد القرآن الى الله والكذب مهما تصور العقل العصرى اثتلافه بالعبقرية والبطولة فالحق عندى كونه مخلا بهما أو على الأقل مخلا بكمالها كما أنه مخل بالنبوة

وثالثا لم يكن منشأ اعتقاد السلمين أن النبوة لاتكتسب هو العقلية الوثنية التي ورثوها من آبائههم كما ادعى الدكتور اذلم يتخذ المسلمون نبيهم إلها ولم يعبدوه في وقت من الأوقات وليس في عقيدة كون النبوة مرتبة تفوق مراتب الحكماء والعظاء العباقرة من الناس ولا تنال الا بفضل من الله واصطفاء خاص وتكون علامة هذا الاصطفاء من الله مايظهره على يد النبي من خوارق نسميها معجزات . ليس في هذه المعقيدة وفي تلك المرتبة شيء من الوثنية أو الألوهية للنبي وانحا النبي يكون بهدنه المرتبة عبد الله الحاص حتى اذا أناه ملك من الله لانزال الوحى فليس هو أيضا الامن عباده الكرمين . ومنشأ السمى لجمل النبوة مكتسبة من الساعين عدم الايمان بالنبوة الحقيقية التي عرق فناها واستكثار تلك المرتبة للبشر حتى رموا عقيدة النبوة الحقيقية بالمقيدة الوثنية كما استكثر اخوانهم المتقدمون من جهلة أقوام الأنبياء فقالوا ( إن بالمقيدة الوثنية كما استكثر اخوانهم المتقدمون من جهلة أقوام الأنبياء فقالوا ( إن أنتم الملا بشر مثلنا ) . فيريد دعاة النبوة المكتسبة أن يجملوا النبوة ملكا مشاعا بين

مبارك علم ، وقف الشيخ جمال الدين من هذه المسألة ؟ والا فن ذا الذى شذ عن جمهور المسلمين عند الدكتور وقال بالنبوة التي تكتسب والتي يفهم ان الدكتور نفسه يفضلها على النبوة في مذهب الجمهور ؟

واذا كان اسناد القول بأن النبوة تكتسب الى الشيخ جمال الدين الأفغاني صحيحاً فتعريف النبي الذي نقلته من قبل عن كتاب الشيخ محمدعبده تلميذالشيخ جمال الدين يرمى الى هذه النبوة المسكتسبة على الرغم من كون ظاهر كلام الشيخ التلميذ في التعريف يأباها حيث بني أمرالنبي المعرف على الجبلة والفطرة عمير مناف للاكتساب بل انه يسعى لاكتساب النبوة ويجد من فطرته الممتازة عوال له في اكتسابها . ولا يعتل ان يكون المشيخ التلميذ قول ثالث في النبي طير النبي الزائف المكتب

المجتهدين فى استجاع الأوصاف اللازمة لارشاد الناس واقتيادهم الى مافيــه خــيرهم وصلاحهم. ولا يظن أن المقصود من رغبتهم فى أن تــكون النبوة مكتســبة محاولة فتح الطريق امام المستعدين لاحراز مرتبة النبوة مر الناس العاديين ، بل المقصود تنزيل الأنبياء الى درجة الناس العادبين بتجريدهم عن المجزات وغيرها مما يخالف سنة الكون

ورابعا، بماذا يعلم أن الساعى لاكتساب منصب النبوة قد بلغ مسماه وأصبيح نبيا من أنبياء الله ؟ بماذا يعلم الناس ويعلم هو نفسه قبلهم ؟ وليس لنبوته علامة يقتنع بها فى نفسه كنزول الوحى ولا علامة تقنع الناس مثل ظهور معجزة على يده ، لأن أنصار النبوة المكتسبة لاتعجمهم الأمور الخارجة عن سـنن الكون ، وقد قلنا ان النبوة نفسها بالمعني الذي تريده معجزة خارجة عن سنن الكون فلهذا لاتعجب الذين لايمجهم المعجزات. وقد يكون أساس الخلاف في مسألة النبوة والمعجزة أعمق من هـذا : وهو ان الدين يستند الى الأسرار والمبيات، ولهذا جمل الله تمالى في رأس أوصاف المهتدىن بهدى كتابه ، الايمــان بالغيب فقال : ( الم ذلك الـكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقوز) ومن شنيع الخطأ أن يحمل الغيب على مايقابل الواقع كما فعل الأستاذ فريدو جدى في إحدى مقالاته في « مجلة الأزهر » وقد سبق نقله ، بل الراد به ماغاب عن الحاسة كالملائكة والجن والوحي وأحوال الآخرة من البعث والنشور والحساب والثواب والعقاب قبل وقوعها ، وكالممجزات في كيفية وقوعها غير مستندة الى الأسباب الطبيعية . وأعظم الفديات الله سبحانه وتعالى

فالنبوة اتصال الانسان بهذه الغيبيات التي لايحيط بها نطاق الطبيعة . ومن هذا قال « استوارت ميل » من لايؤمن بموجود فوق الطبيعة ولا بتدخله في شئون العالم لايقبل فعل انسان خارق للعادة على أنه معجزة ويؤوله مطلقا بمايخرجه عن كونه معجزة»

وخامسا من أهم الفروق بين النبى الكاسب والنبى الموهوب له أن الأول يخطى ويصيب والثانى لا يخطئ أبدا فيا بانمه عن لله ، وان أخطأ في اجتهاده فلا يستقر على الخطأ من دون أن ينبه عليه . والدكتور زكى مبارك أطاق القول ورماه على عواهنه من غير تمييز بين الأحوال المختلفة فقال : « كان محمد في سريرة نفسه انسانا يخطئ ويصيب بدليل ماوجه اليه من اللوم والمتاب في القرآن »

وسادسا ، الذي الحقيق المصوم عن الخطأ المؤيد بالوحى والمعجزات التي هي علامات رسالته من الله وامتيازه على الناس ، للناس حاجة اليه ليهتدوا بواسطته الى الطريق التي يحب الله ربهم أن يسلكوها والى نوع العبادة التي بها يعبدونه . وليس لأحد غير هذا النبي أن يعين بالضبط تلك الطريق وذلك النوع مهما كان مبلغه من العلم والحكمة فالعلماء والحكماء يمكنهم أن يضعوا للناس مناهج الأخلاق ومبادئ الأفكار ويعينوا لهم وظائف نحو الخالق والحلق ولكن لايكون أي واحد من هذه المناهج والمبادئ دينا . وأعما الدين يأتي من الله ويبدأ بالنبي كما قال العالم الكبير مترجم والمبادئ دينا . وأعما الدين قبل مبعث الذي ولا يوجد دين فلسني وان وجدت فلسفة دينية . فاذا جاء نبي وأعلن الدين فليس لأحد أن يستغني عن الاعتراف به ، فهو كقانون الدولة يطيعه العامة والخاصة . وما ادعاه الأستاذ فريد وجدى في كتابه فهو كقانون الدولة يطيعه العامة والخاصة . وما ادعاه الأستاذ فريد وجدى في كتابه المنزلة بحجة أنهم أنفسهم واضعو الشرائع والذاهب . مبنى على مذهب النبوة المكتسبة اللادينية وانكارالنبي الحقيق المعوث من قبل الله الذي يكون وضع الدين من الله الله والمعور الدين من قبل الله الذي يكون وضع الدين من

<sup>(</sup>۱) كتاب جليل في تاريخ الفلسفة للفيلسوف الفرنسى « يول ثرانه » ترجم قسم ما وراء الطبيعة منه الى اللغة التركية هذا العالم الكبير التركي الملقب حمدى الصغير الذي قاما كان يوجد مناه في عالم الاسلام والذي فجعت بنباً وفائه قبل أشسهر ولقد مات رحمه الله غريباً في بلاده حيث لم يبق لها اليوم علاقة بمثله من علماء الاسلام ومن الغريب المؤسف ان مصر لم تتعود معرفة نوايخ العلماء من غير أهلها لاسها الترك

اختصاصه فقط . فعلماء الغرب حتى الالهيون منهم الذين لا يمترفون بالأببياء والذين يهملون في فلسفتهم مبحث النبوة لادينيون على الرغم من أن لبعضهم أفكارا عالية في الالهيات . وقد ذكرت في أوائل الباب الأول من الكتاب الكبير ان لكون ديمم الرسمي النصر انية أثراً في إهالهم مبحث النبوة لأن النبوة في هذا الدن أخرجت عن ماهيتها الأصلية ولُبِّست بالألوهية فأضيعت معقوليتها . ومع هــذا كان واجبهم البحث والتفكير في مسألة النبوة على اطلاقها ولا يعذرون في السكوت عنهــا لــانع خاص لنبوة سيدنا عيسي عند المسيحيين ، لاسما والدين السماوي في الدنيا لايبتديُّ بالدين المسيحي فله تاريخ قبل المسيحية وأنبياء قبل المسيح . فحاذا قول فلاسسفة الغرب في نبوة هؤلاء الانبياء التي لاتشبه نبوة عيسى عليــه وعلمــم الســلام والتي يلزمهم أن يصدقوها أن لم يصدقوا نبوة محمد عِلَيْكَالِيَّةِ بالنبرة السيحية ، فماذا قولهم في تلك النبوات وماذا موقفها في فلسـفتهم ان لم يكن محل في الفلسفة لنبوة المسيح على الشكل الذي يتصوره المسيحيون؟ فلو نظروا في نبوات الانبياء ودرسوها لاعطاء حقيها في الفلسفة بعد الفلسفة الالهية لكانوا أدوا واجبا من واجباتهم ، وربما أصلحوا بفضل درسها ماطرأ على نبوة المسيح في عقيدة النصر انية من الغلو الفســد للنبوة والالوهية معا . فيظهر أنهم رأوا أنفسهم في حالة الاضطرار بين رفض السيحية الحاضرة وانقاذ النبوة أو رفض الجميع أو اهاله الذي هو الرفض أيضا لكنه فيرفق وهوادة ، فاختاروا الأخير . فلو كان دين فلاسفة الغرب الالهبين الاسلام لمــا وقعوا في هذا المأزق ، أو لو كانوا مســتغنين عن اتباع شرائع الانبياء كأنَّهم أنفسهم ليسوا دون الانبياء كمادعي الاستاذ فريدوجدي . لما أحجموا عن المصارحة في احقاق الحق وابطال الباطلكا هي دأب الانبياء

هذا حال الفلاسفة الالهيين في الغرب الذين لاممنى لعدم اعترافهم بوجود رسل الله بعــد الاعتراف بوجود الله غــير الممنى الذي ذكرته . أما الأساتذة العصريون منا ففهــــم من يقلد ملاحدة الغرب الماديين ولا يعترف بوجود الله ، والمعترفون به لايمترفون علميا فيف ترقون عن الالهيين الدين يمتسبرون مسألة وجود الله في رأس المعلومات الثبتة كما سبق قول العلامة «باستور» في ذلك وقول الفيلسوف الـكمبير « ديكارت » : « أن الله مبدأ العلم كما أنه مبدأ الوجود » ويقلدون الالهيين في مسألة النبوة فلا يمترفون بالأنبياء مع وجود الفارق بين موقفهم وموقف الذين اقتدوا بهم. فكل تعللهم وتلعثمهم في مبحث النبوة كانكار المعجزات مطلقا تحت ستار انكار المجزات الكونية وميلهم الى النبوة الكسبية أو النبوة الانسانية التي لا تخرج على الطبيعة ؛ كل ذلك منشأه عدم الاعتراف بالأنبياء مع الظهور في مظهر الاعتراف . اذ لا ممنى للقول بوجود الأنبياء مع تجريدهم عن المعجزات ؟ وقد عرفت معنى اعترافهم بممجزة القرآن ، فلو كانوا صميميين في القول بوجود الأنبياء لما فرقوا بين معجزة كونية وغيركونية الىحد الطمن في معجزات الأنبياء المتقدمين من أجل انهامعجزات كونية والطعن في سنة محمد ميكالية المضبوطة في كتب الحـديث للاحتفاظ بسنة الكون ، وهـذا خلط منهم للمذهب الاألهي بالمذهب المـادي ورجعــة الى النزعة الالحادية بعد الاعتراف بوجود الله وأنبيائه ؛ فلو أن القائلين بوجود الله من فلاسفة الفرب اعترفوا بوجود الأنبياء لما ترددوا في الاعتراف بمعجزاتهم كونية وغير كونية ، اذ لامانع بعد القول بوجود الله من تدخله في الكون واحداث تنيير وقتي في سنته لتأييد أنسائه

فنحن لاترى فرقا بين الكار الأنبياء بتاتا وبين الاعتراف بهم مع الكارمعجزاتهم التي تتعدى حدود نظام الطبيعة والتي هي طوابع رسالتهم من الله المسيطر على الطبيعة ونظامها . والذين ينشدون أنبياء طبيعيين فكا تما يريدون أن تكون رسالتهم من الطبيعة لامن الله ، انظر قول الدكتور طه حسين بك في مقالته النفيسة المنشورة في مجلة « الثقافة » بمنوان « القلب الرحم » ؟

« وما رأيت أعجب من أم محمد (ص) فيا رأيت وما عامت من أمور الأنبياء رجل كان يطالبه خصومه وأعداؤه بالمجزات فيتبرأ منها ويعان اليهمانه بشر مثالهم (١) وانه لم يرسل ليبهر المقول بالاحداث العظام ، وانما أرسل ليتلو على الناس قرآ نا يتحدث الى عقولهم فيملأها هدى ويتحدث الى فلوبهم فيشعرها رحمة وبرا ، شم لا يخلو أمره من هذه المجزات التى تبهر العقول وتسحر الألباب دون أن تحدث في طبيعة الاشياء حدثا أو تتجاوز بعادات الناس الجارية طريقها المألوف ، انما هي معجزات ممتازات يراها الناس مألوفة يسيرة ويراها المفكرون نادرة باهرة ومقنعة مفحمة المكارين »

فكا نه يتعجب من أم محمد عليه في كونه نبيا لا يشبه الأنبياء وفي كون معجزاته لاتشبه المعجزات ولا تخرج عن مألوف العادات (٢) وهذا أوضح تعريف النبي الطبيعي يذكره كتابنا العصريون ميزة لنبينا على غيره من الأنبياء ويسوقونه في صدد المدح ، فكا ن النبوة كانت على خلاف الطبيعة في الأنبياء حتى أصبحت في نبينا طبيعية . لكن عيب المخالف الطبيعة عندهم اله مستحيل الوقوع وهو يتضمن الطعن في نبوة غيره من الأنبياء طعنا لا يرضاه الاسلام لكون نبوتهم مكفولة من القرآن . وفضلا عن ذلك فان هذا الطعن وذاك المدح انما يكونان طعنا ومدحا على مزاج الملاحدة المادبين القائلين باستحالة ما يخالف سنة الطبيعة ؛ حتى اذا سممه المستشر قون المسيحيون انقلب القدح في نظرهم مدحا والمدح قدحا واعترافا من كتاب المسلمين بعدم كون عمد وتشييرة نبيا ، لان النبي الحقيق لابد أن يكون له حالة يضيق عنها نطاق الطبيعة وتتمداها الى مافوقها لتكون علامة رسالته من الله ويكون الذين يتبعونه على بينة من وتتمداها الى مافوقها لتكون علامة رسالته من الله ويكون الذين يتبعونه على بينة من

<sup>(</sup>١) سنجيب عن

<sup>(</sup>٢) وكان معجزاته ما يعبر عنه عند الأدباء بالسهل الممتنع كاسلوب الدكتور طه حسين بك في كتاباته !!

من أمره . وما دامت هذه الحالة ممكنة للنبي باذن الله في نظر المعترفين بوجود الله فماذا السبب الدافع للعصريين الى الترام تجريد النبي عن تلك الحالة المميزة ؟ ولا يقال ان أفعاله المصلحة و نتا يجها الصالحة تكفيانه و بيزة وعلاوة . وهذا هو السؤال الذي أوردته على نفسي قبيل الشروع في انتقاد أقوال الدكتور زكي وبارك ، ثم لم أذكر جوابه والآن أذكره: وهو ان الصلاح والفساد كثيرا ما يختلفان باختلاف الانظار، فالحكم القطعي بصلاح الافعال و نتائجها يتوقف على معرفة ان فاعلها مصلح حقبق و نبي من أنبياء الله ، فلو توقفت معرفة كونه نبيا أي مصلحا حقيقيا على تبين الصلاح في أفعاله و نتائج أفعاله كان دورا . وفضلا عن هذا فان بعد مابين المشروعات و نتائجها يقتضي في الأكثر مرور أزمنة طويلة قد يظهر في آخرها أن القائم بدعوى الاصلاح كاذب في دعواه . فيجب على الناس أن يكونوا من أول أمرهم مع مدعى النبوة الذي يتولى هدايتهم الى الدين الحق ، على بيئة من صدقه فها ادعاه

فالقاعدة المتخذة للناس مع النبى الحقيق الرسل اليهم من قبل الله أن يبحثوا فيه عن علامة من الله تدل على رسالته اليهم، وهذا مما لايجوز أن يشك فيه العاقل ان كان لله رسل وأنبياء حقيقيون وكانت للناس حاجة الى وجودهم. فهل هم موجودون، وهل للناس حاجة اليهم ؟ فلننظر الآن في هذه المائلة وبالنظر فيها نكون قد أدينا الواجب الثانى من الواجبين الرئيسيين اللذين تولينا القيام بهما في الكتاب الكبير مستعينين بتوفيق الله سبحانه و تعالى وذاك الواجب الثانى هو اثبات وجود أنبياء الله مستعينين بتوفيق الله سبحانه و تعالى وذاك الواجب الثانى هو اثبات وجود أنبياء الله

## اثبات وجود الأنبياء

وجود الأنبياء ان لم يكن ضروريا \_ كما قانا فى أول هذا الكتاب الصغير الذى كان الباب الثالث من الكتاب الكبير \_ كضرورة وجود الله فى ايضاح فلسفة العالم بجميع أجزائه ؛ الا أن للنبوة أيضا أهمية فى ايضاح فلسفة الانسان الذى هو جزء

من أجزاء العالم، أهمية تجماع جديرة بأن تعد من المطالب الفلسفية ، ولا شـك أن النبوة انمـا تتصور بعد مطلب الألوهية وتنبني تمـاما على الاعتراف بوجود الله

فاذا كان الله موجودا وهو خانقنا وخالق كل شيء كان أول واجب الانسان التفكير في أن خالقه لايتركه سدى ، لاسيا وقد خلقه ممتازاً على سائر خلقه بالعقل والارادة فيلائم عقله الذى به وجد ربه واستدل على وجوده كل اللائمة أن تكون عليه واجبات نجاه من خلقه . لكن العقل لايستطيع تعيين هذه الواجبات بالضبط والتفصيل لاعقل أحد يفكر في نفسه ولا عقول العلماء والحكه، الذين يختلف آراؤهم ومذاهبهم في تعيين الحق والباطل والخير والشر (١) فلا يدرى أيها يوافق مرضاة الله من تلك الآراء والمذاهب المختلفة . ولا يصدق العقل أن يكون الحق والصواب في رأى الكثرة لأن هذه طريقة برلمانية لاتغني من الحق شيئا ، ألا يرى أن التحقيق والترجيح في المسائل العلمية لايبني على عدد الأصوات والآراء . ولو استقر القرار على أن يعمل كل انسان بما يؤدى اليه فكره واجتهاده كان فوضى . فني وسط هذه الحيرة والتردد يحس الانسان من صميم قلبه الحاجة الى رسول من عند ربه يسدد خطاه ويبلغه أوامره ونواهيه ، فهو وحده يكون كندوب رسمي منجانب الملك يحمل مرسومه من بين المندوبين من تلقاء أنفسهم

ومهما كان يوجد فى غير حامل المرسوم من هو أهل أو بالأصح من يرى نفسه أهلا لأن يقوم ، فلا يمتبر مندوب الملك ولا يجب على الناس أن يمترفوا به مندوبه؛ فكذلك النبى الذى يراه منكرو المجزات

<sup>(</sup>۱) ومن هنا يرد اعتراض قوى على تعريف الذي بما عرفه الشيخ محمد عبده وقد نقلناه سابقا من أنه انسان فطر على الحق علما وعملا أى بحيث لايعلم الاحقا ولايعمل الاحقا ؛ فيقال من أين يعلم وبأى شيء يثبت كونه لايعلم الاحقا ولا يعمل الاحقاء فتبوت هذا أنما يكون بتجربة حياته من أولها الى آخرها ثم اتفاق الآراء على تصديقه في كل مايعلم وما يعمل أو بثبوت كونه نبيا والأول غير ممكن والتاني مستلزم للدور

في غني عن تأبيده نبوته بالمجزة الخارقة لسدنن الكون والذي لايجاوز به معرفوه المصريون الى ما فوق العبقري في الصلاح والاصلاح والكمال والتكميل لئلا يبلغوا بميزته الى ماوراء السنن الكونية ؛ فهـذا النبي لايكون نبي الله ورسوله رسميا كرسول الملك الحامل لرمزه لأن رمز الله ووسامه على رسوله هو معجزته الخارقة لسنن الكون الطبيمية والتي لاتوجد عند النبي الطبيمي ولاعند صاحب النبوة المكتسبة . وكلماعدا المعجزة ليس برمز للنبي الحقيق مهما أعظمه الـكتَّاب العصريون ، فهم على الرغم من انهــم يكتبون في النبي وحياة النبي لا يعرفون موضوع مايكتبون أو يحيدون عنــه عمدا (١) لأن الكلام فيمن بعثه الله الى الناس كما بعث الملك مندوبه وعامله (٢) مع ان الذي يقدمه أولئك الكتَّاب لنا على انه نبي الله ليس بنبيه الحامل لرمزه الرسمي وانمــا هو من يرونه أهلا لا أن يكون نبي الله كالذي يراه بمض الناس أهلا لانيكون مندوب الملك وليس بمندوبه فملا . وكذلك من يرشحونه لانبوة من غيرمعجزة ومن غير أمر من الله أنَّاء بطريقة مخصوصة تختلف عن طريق مايأتي العاقلَ العبقري من عقله ، لأن هذا الرسول رسول عقله لارسول الله وان كان العقل أيضا رسولًا من الله في الانسان ، فذلك العبقري اذن رسول رسول الله لارســول الله مباشرة وبطريقة

 <sup>(</sup>١) فهل أولئك الكتاب يكتبون حياة محمد صلى الله عليه وسلم لبؤمن الناس بأنه عظيم من
 عظاء البشر أو بأنه نبي من أنبياء الله ؟

<sup>(</sup>۲) وكل ما يأتى به النبي من الأفعال الطبيعية العظيمة غير المعجزة ويعجب النصريين أكثر من المعجزة فهو لا يصلح ان يعتبر رمزا قطعى الدلالة على انه نبي الله الكونه من جنس ما يفعله البشر مهما كان مبلغه من الخطورة . وقد قرأنا بكل استغراب في « مجلة الأزهر » من الأستاذ فريد وجدى انه كان مجاول ان يستخرج من انتصار أهل بدر على قلتهم البعيدة عن كثرة المشركين معجزة ويترك المعجزة الحقيقية التي نطقى بها القرآن من امداد المسلمين بآلاف من الملائكة وتقليلهم في أعين المشركين أولاثم اراءتهم مثليهم رأى العين واليه يشير قوله تعالى (واذ يريكموهم اذ التقيم في أعينهم المقادية تقاتل ويقللهم في أعينهم ليقضى الله أمراكات مفعولا) وقوله (قد كان الكم آية في فئتين النقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء)

خاصة ، حتى ان مدعى النبرة من مثله بالإضافة الى الله يكون كاذبا في دعواه وحتى ان الأنبياء الملومين بأسائهم صلوات الله وسلامه عايهم وفيهم نبينا عليني لوكانوا أنبياء كمايتصور الكتَّاب المصريون ويعجبون بعلزم أن يكونوا كاذبين في دعوى النبوة وأن يكون كذبهم معلوما عند هؤلاء الكتَّاب لأن ماادعاه الانبياء لانفسهم ليس من جنس مايتصوره هؤلاء لهم ويمجبون به منهم . فماذا يقولون فيما بالمه نبينا صلى الله عليه وسلم عن الله قوله مثلا (كتاب أنزلناه إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين) وقوله (لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ) هل عندهم نزل على النبي كتاب من الله كان يقرأه الله على النبي والنبي يتبعه في قراءته ؟ كتاب يتوعد الله من قال عنه ( ان هذا الا قول النشر ) فيقول: (سأصليه سقر وما أدراك ماسقر ) بل يتوعد فيه نبيه قائلا : (ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل لأخدنا منه بالميين ثم لقطمنا منــه الوتين ) (كتاب أحكمت آياته ثم فصات من لدن حكيم خبير ) كتاب اذا قال الذين لايرجون لقاء ربهمائت بقرآن غير هذا أو بدله يقول النبي ( مايكون لىأنأبدله من تلقاء نفسي إن أتبع الامايوحي الى انى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلو ته عليكم و لا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون )

هل زن عليه حقيقة كتاب من عند الله ؟ فان كان زن ولم بكن النبي كاذبا في اسناد هذا الكتاب الى الله وحاشاه أن يكون كاذبا ، كان معجزة خارقة لسنة الكون وخارجا عن الحدود الطبيعية التي رسمها أولئك الكتاب لانبي . ولهذا ترى معالى الله كتور هيكل باشا في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه ص ٤٢ يقع على الرغم من انكاره المعجزات الكونية في حيرة بشأن الوحي فيقول: « أن العالم النزيه القصد الى الحق لايستطيع أكثر من أن يقول ان ماوصل اليه العلم حتى هذا الزمان يقصر دون نفسير الوحي على الطريقة العلمية المادية »

الحاصل آنه بعد ثبوت كون الله موجودا لابد من وجود الأنبياء المبلغين عن الله ولا بد أن تكون اضافتهم الى الله مضمونة بوجود ممجزات لهم خارجة عن نطاق القدرة الشرية

ثم انه يرى أناس الخير وأناس الشر في الدنيا ربما لايلاقون مايستحقونه ، حتى لو فرضنا انالانسان يعلم واجباته بعقله ويستطيع تعبين حدود الخيروالشر فهولايقدر على وقف كل أحد عند حده حتى الحكومات لايستطعن ذلك حق الاستطاعة ؛ وقد يلتبس علمهنالاخيار والاشرار فتعجز المحاكم المدلية عن احقاق الحقوق وقد تكون هي مضيعتها عمدا وتعين الظالم على المظلوم . فلا بد بعد هـــذه الحياة الدنيا من حياة ثابتة تستدرك فنها نقائص الحياة الاولى وتطمئن قلوب أهل الفضيلة بتوقع ملاقاتها ؟ حتى ان الفيلسوف «كانت » استنبط دليل وجود الله من لزوم الحياة الثانية ولزوم مجيء يوم الدين ليكون مالك ذلك اليوم وحاكمه ، وعده أقوى أدلة وجود الله كماسبق في آخر الباب الاول من الكتاب الكبير، وقد كنا محن انتقدنا عليه ذلك . فهذا الذي لاتراه كافيا في اثبات ذاك المطلب الأكبر أحسن دليل عندنا وأولاء على اثبات رسل الله حيث تشتد الحاجة الى وجودهم ليعلموا الناس سبل الفلاح والنجاح في يوم الدين ولا تتفرق بهم السبل على أيدى الرسل الفضوليين رسل المنكرين للمعجزات والرسالات الخارجة عن نطاق الطبيعة . فائن كان الناس مسؤلين في النشأة الثانية عن أعمالهم في الدنياكما هوالمجزوم عندًا وعند الفياسوف «كانت » فوجود رسل الله الذين يوثق برسالاتهم ووجود المعجزات المعرِّفة لأشخاصهم ، يكون مقتضى العدل الالهي قال تمالى ( رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) فاذا كان الله موجودا وجمل للانسان حياة أخرى يحاسبه فيها على أعماله في الحياة الأولى كان ارسال الرسل المهم كالضروري ان لم يكن ضروريا ضرورة وجود الله لوجودالمالم. فأول ما يكون ثبوته ضروريا على طريقة الفياسوف «كانت» لحفظ الاخلاق عن

الأنهيار وصيانة حقوق الفضيلة من الضياع الابدى ، هو وجود البعث بعد الموت ، ويأتى عنده ثبوت وجود الله بعده مبنيا عليه ؛ ويأتى عندنا بعد ثبوت وجود الله ووجود البعث ـ أيا كان الاول ثبوتا ـ وجود الانبياء ، فلا ينفك وجودهم على كل حال عن ثبوت وجود النشأة الاخرى . والعجب ان فلاسهة الغرب المؤمنيين بالله يؤمنون بالحياة الآخرة أيضا ويعتبرونها من المطالب الفلسفية ثم لاينتهون الى الاتصال الظاهر بين وقوع الحياة الآخرة ووجود الانبياء ؛ أفلا يكون جزاء الانسان في الآخرة من غير ارسال رسول يبلغه ما يجب عليه أن يفعله في الدنيا أو يتجنبه ، كؤاخدة من غير اممال رسول يبلغه ما يجب عليه أن يفعله في الدنيا أو يتجنبه ، كؤاخدة منها الأمر، به ؟ وقول القائل : ليكف كل انسان عقله رسولا ، لا يلتفت اليه كقول منها الأمر، به ؟ وقول القائل : ليكف كل انسان عقله رسولا ، لا يلتفت اليه كقول القائل : ايجد الشعب بعقله ما تريد الحكومة أن يفعله الشعب وما لا تريد ، من غير منون ينص على الواجبات والمحظورات . ولا أصدق قيلا من الله القائل : ( وما كنا منهذبين حتى نبعث رسولا)

\* \*

نمود الى مبدأ البحث وقد طال الـكالام فى الوجه السابع من وجوه النقد التى أوردناها على كلمات الدكتور هيكل باشا فى مقدمة الطبعة الثانية لـكتابه «حياة محمد» ولم ينته كلامنا بعد وكنا قانا فى أول البحث تقريبا : أصحبح ان القرآن ليست فيه معجزة لنبينا محمد عليه وانحه القرآن معجزته الوحيدة كما ادعى الدكتور المؤلف والذين شحموه على هذا الادعاء من علماء الدين ؟

المقصود من هـذه الدعوى ننى المعجزات الكونية المذكورة فى كتب الحديث بأثارة الشبهة فى صحة مرويات تلك الكتب. ولكن أصول التوثيق فى اسنادالحديث التى التزم جامعو الصحاح مراعاتها فى كتبهـم ، بمكان من الدقـة والعناية لو لم يكن السبب الأصلى عندالدكتور هيكل وغيره فى انـكار المعجزات غيرالقرآن كونها مخالفة

للعلم المبنى على سنة الكون ، لما تجرأوا على رمى كتب الحديث والسيرة جملة باختلاق الروايات . وكأنهم حاولوا في قصر معجزات نبينا على القرآن الذي قالوا عنه انه معجزة عقلية انقاذ حياته على الله وسنة الكون . عقلية انقاذ حياته على المجزات عندهم للعلم وسنة الكون جر أنهم وحملتهم على سوء فخالفة هذا النوع من المعجزات عندهم للعلم وسنة الكون جر أنهم وحملتهم على سوء الظن في كتب الحديث وأمانة رواته حملة أقوال الرسول ولي الميانية وأفعاله الى أمت ، على الرغم من اتخاذ علماء الاسلام في ضبط الروايات عن نبيهم وتوثيقها طريقة لم تر مثلها دنيا الشرق والغرب وقد تصور أصحاب تلك الظنون السيئة في انقاذ حياة نبينا مثلها دنيا المعجزات فضله على سائر الأنبياء

لكن تلك المعجزات ان كانت مخالفة للعلم وسنة الكون وكان معنى مخالفتها لهما أنها غير واقعة بل غير ممكنة الوقوع كما ادعاه الأستاذ فريد وجدى لما جرى بينى وبينه نقاش منشور على صفحات جريدة « الاهرام » قبل توليه رئاسة تحرير «مجلة الأزهر» لزم أن لا تقع من الانبياء السابقين أيضا وأن تكون أنباء وقوعها المقصوصة في القرآن كاذية مختلفة كأ نباء وقوعها من نبينا المروية في كتب الحديث والسيرة . فيا دام الدكتور هيكل ومشجعوه لا يجترئون على التشكيك في صحة أنباء القرآن فلا مندوحة لهم أن يعترفوا بالمعجزات الكونية ولو منسوبة الى الانبياء الاولين (١) اعترافا لا يبقى بعد ذلك مانع يمنعهم من الاعتراف بها منسوبة الى نبينا ويضطرهم الى القيام بدعوى منكرة تزول معها الثقة عن أفضل كتب الاسلام وأصحها بعد القرآن مثل بدعوى منكرة تزول معها الثقة عن أفضل كتب الاسلام وأصحها بعد القرآن مثل كتاب البخارى ومسلم وسائر كتب السنة وموطأ مالك ومسند أحمد

بل نقول لا تصح دعوى ان القرآن لم يرد فيه ذكر معجزة كونية منسوبة الى نبينا ، فني القرآن نبأ الاسراء به ليسلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى

 <sup>(</sup>١) ولا إخال أن عقل هيكل باشا وذوقه الأدبى يسوغان قبول ماذهب اليه الأستاذفريدوجدى
 من كون آيات القرآن الواردة في معجزات الأبياء آيات متشابهة غير مفهومة

وفى القرآن امداد المؤمنين فى غزوة بدر بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وخمسة آلاف من الملائكة منزلين وخمسة آلاف من الملائكة مسومين، وفى القرآن انشقاق القمر قال تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرمستمر) وتأويله بأنذلك سيقع عند حلول الساعة أعنى القيامة مخالف لصراحة صيغة الماضى ، وكذا يأباء مابعده الدال على انه آية أى معجزة والقرآن يعبر عن المعجزات بالآيات ويعبر عنها بالبينات ويعبر عنها بهما معا

فالقرآن صرح بانشقاق القمر على صيغة الماضى وسماه آية من الآيات التى أعرضوا عنها وقالوا سحر مستمر (١) فباذا يطالبنا بعد هذا منكرو المعجزات الكونية لمحمد ويالية قائلين: « لم يرد فى القرآن ذكر شىء منها ولو ورد لآمنا به » ؟ فان قالوا جوابا على هذا الدليل الذى أتينا به من القرآن: « لكن انشقاق القمر أم محسوس لايخنى على أحدمن سكان الأرض فى ذلك العصر ، فلو وقع لحكاه تاريخ الأمم» فانى راد لجوابهم عليهم بأن هدا يكون منهم عدم اعتماد على اخبار القرآن حيث يبحثون عن اخبار أخر يؤيده ، وقدكانوا يدعون الايقان بصدق القرآن ، هذا خاف.

ثم أقول عاكسا لجوابهم عليهم: لو لم ينشق القمر في عصر نبينا ولم يشاهده أعداؤه المشركون في مكة لكذَّبوا محمدا عليها في هدف الآية وصار تكذيبهم المؤدى الى تبين كذبه حادثة هامة أدعى الى تناقل الألسنة والاقلام بها من تناقل حادثة الانشقاق نفسه التي ربحا لايطلع عليها غير أهل مكة لاهال ترصدها في وقتها أولغيم يسترها أو لحسبانها حادثة من الحوادث الجوية العجيبة التي لاتدرك أسبابها ولا تضبط في ذلك الحين

<sup>. (</sup>١) وفى نعت هـــذا الــحر بالاستمرار اشارة الى أن معجزاته صلى الله عليه وسلم الــكونية كثيرة لاتنحصر فى شتى الفمر وهو رد بليغ على منكر يها بالمرة ( ١١ — القول الفصل )

قال الفاضل الهندى متم كتاب السيرة المار الذكر من قبل: «من العلماء من فسر معجزة انشقاق القمر بأنه ترا آى لأهل مكة كذلك وان لم ينشق في نفسه ، قال: «ومن هؤلاء العلماء شاه ولى الله الدهلوى صاحب «حجة الله البالغة » واليه يميل الغزالى » وعندى ان هذا التفسير ليس بخطأ بل أكبر من الخطأ اذ لافرق بينه وبين ماحكاه القرآن عن موقف المشركين ازاء هذه المعجزة بقوله: (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) فالقرآن يقول انشق القمر ويقول أولئك الذين لايقال عنهم المعلماء بعد قولهم هذا: لم ينشق وانحا خُيل للناظرين من أهل مكة الطالبين من النبي عليالية ان يظهر لهم معجزة ، (۱) منشقا وقد كان المشركون حملوه على السحر وهؤلاء العلماء يحملونه على التخييل!!

ثم قال الفاضل الذكور: « ان أهل مكة رأوا القمر منشقا فهل هو انشق حقيقة أو ترا آى كذلك فهذا لا يهمنا والله القادر على إراءة القمر منشقا قادر أيضا على شقه حقيقة » وانى أرى فى هذا القول عدوى من جهل هؤلاء العلماء ، نعم ان الله يشق القمر ويريه منشقا من غير شق ولكنه لا يكذب فيقول عن القمر الذى لم بنشق انشق . أما مارواه الفاضل المذكور من حديث أنس «ان أهل مكة سألوا النبي عليا أن يريهم آية فأراهم القمر شقين » فلا يستازم انه لم ينشق ولا يازم لرؤيته منشقا أن يكون غير منشق وهل غير المنشق يرًى منشقا والنشق لا يرى منشقا ؟ فلا يصح اذن أن يكون حديث أنس هو الذى سبب القول بتغيير معنى الآية واغا السبب سوء فهم المغيرين

ويشبه هذا الضلال فى التفسير أو يغالبه ماسمته معزوا الى الشيخ محمد عبده انه كان يحمل انفلاق البحر لسيدنا موسى ومن معه ثم غرق فرعون وجنوده فيــه ، على الجزر والمد اللذين كثيرا مايقمان فى البحر . وحق القول فى سخافة هــذا التوجيه

<sup>(</sup>١) التعبير في جميع الأحاديث : ﴿ انشق النَّمْرِ ﴾ الا في احدى روايتين عن أنس

من غير أن يناقش في وقوع جزر ومد كهذا وفي علم موسى بمصادفتهما لزمان اجتياز البحر ، انه تكذيب للقرآن في ترتيبه انفلاق البحر على ضربه بالعصاحيث قال تعالى: ( فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصالت البحر فانفلق فكان كل فرق كالطودالمظيم» ثم ان الله تعمالى انتقم من الشيخ على ابتعاده في تأويله عن القرآن فأبعده عن العقل أيضا ألاترى الى انه لم يفكر في أن الجزر والمد البحريين يكونان متعاقبين في المعادة مع ان اجتياز موسى ومن معه البحر أثناء الجزر الذي فتح لهم طريقا في البحر يبسا يستلزم أن يتوقف الجزر فقطول مدته ساعات بل أياما قبل تحوله الى المد ليتسع الزمان الذي يحتاج اليه المجتازون لقطع المسافة بين الجانبين من البحر الأحرالتي لا تقل عن مائة كيلو متر تقريبا ، فلو كان موسى ومن معه را كبين لأسرع سيارات زماننا الما تمكنوا من اجتياز هذا البحر بين جزره ومده

ورأيت للشيخ رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده تأويلا في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) والمعنى عنده اقتربت الساعة وظهرالحق. ثم أتى لتأويله بدليل من « لسان العرب » وهوقوله : « انشق الصبيح وشق الصبيح اذا طلع وفي الحديث فله اشق الفجران أمر نا باقامة الصلاة » وليس في « اللسان » انشق القمر أوانشقت الشهس بمعنى طلعتا لأن انشقاق القمر والشهس عند طلوعهما غير ممقول كمقولية انشقاق الفجر والصبيح عند طلوعهما . وقد يقال أيضا تنفس الصبيح ولا يقال تنفس القمر أو الشهس . لكن الشيخ شيخ منكرى المجزات الكونية قاس تنفس القمر بانشقاق الصبيح والفجر ثم جعل انشقاق القمر كناية عن ظهور الحق من غير مبرر في كل ذلك سوى الاصرار على انسكار المجزات ، ولم يكن لينتظر من الشيخ القول بالتخييل مع القائلين الذين انطبق عليهم مابعد الآية أعنى : ( وان يروا الشيخ القول بالتخييل مع القائلين الذين انطبق عليهم مابعد الآية أعنى : ( وان يروا الشيخ تخصيص هذه التهمة بمحجزات المتقدمين كاسبق ، فلا يكون له أن يميب معجزة نبينا بمثلها . ولأن القائلين الأن مذهب الشيخ تخصيص هذه التهمة بمحجزات الأنبياء المتقدمين كاسبق ، فلا يكون له أن يميب معجزة نبينا بمثلها . ولأن القائلين الأن مذهب الشيخ تخصيص هذه التهمة بمحجزات الأنبياء المتقدمين كاسبق ، فلا يكون له أن يميب معجزة نبينا بمثلها . ولأن القائلين الأن مذهب الشيخ المتقدمين كاسبق ، فلا يكون له أن يميب معجزة نبينا بمثلها . ولأن القائلين

بالتخييل لم يريدوا انكار معجزة شق القمر، وهم ليسوا من منكرى المعجزات المصريين وأنما أرادوا أن يكون اعجازها في اراءتها وايس لهم دافع غير ضلال في الفهم مهما كان ذلك الضلال عظما . أما تأويل الشيخ رشيد فهو لغو في القرآن من أنواع اللغو الذي توســل به الأولون الى عدم السماع للقرآن حين قالوا ( لاتسمعوا لهــذا القرآن والغوا فيه لملكم تغلبون) وكان لغو الشيخ في القرآن كيلا يسمعله بعدأن أتى بألوان من اللمو كيلا يسمع أحاديث معجزة شق القمر التي عددها الأستاذ الفاضل الشيخ محمد یاسین (۱) والتی أخرجها أحمد والبخاری ومسلم والترمذی وابن جریر وابن المنذر وابن مردويه وأبو نميم والحاكم والبيهتي عن على وابن مسمود وحديفة وجبير ابن مطعم وابن عمروابن عباسوأنس، ولذا قال ابن عبد البر : « روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى أن انتهى الينا وتأيد بالآية الكريمة » وقال المناوى فى شرحه لألفية السير للعراق : « تواترت بانشقاق القمر الأحاديث الحسان كماحققه التاج السبكي وغيره » فالأحاديث المنعمة بمحزة انشقاق القمر غير مقبولة عند شيخ « المنار » وقول القرآن ( انشق القمر ) لايغهم منه انشقاق القمر وانمــا يفهم منه معني آخر غــير انشقاق القمر ، قولوا بربكم هل الشيخ لاغ في القرآن والحديث ولاعب مهما أم هو غير لاغ ولاعب؟ أجيبوني عن سؤالي هذا ولا تؤاخذوني بتشديد القول عليه ، فهل تريدون أن أقول للاعب بالقرآن: أحسنت ؟ وقبله عارض أستاذه محمد عبده كتاب الله في قوله ( فأوحينا الى موسى أن اضرب بمصاك البحر فانفلق .. الآية)فحمل انفلاق البحر على الجزر والمد الطبيعيين. فمنكرو العجزات الكونية لايثقون بالأحاديث ويطالبوننا بدَليل من القرآن فلما جئناهم به أُخذُوا يلعبون بمعناه منحرفين يمنةويسرة

<sup>(</sup>١) كتب في مجلة « الهداية الاسلامية » الغراء هو والأستاذ الفاضل الشيخ محمد زهران رداً » على الشيخ رشيد جزاهيا الله خيرا ورضى عنهما

وقد كانوا وضعوا مقياسا لقبول الحديث وهو عرضه على القرآن ، ثم آنا زراهم لا يقتنعون بهذا ويعرضون القرآن على هواهم وعقيدتهم فى عدم المعجزات الكونية . فالمقياس الأصلى عندهم للقبول هو الموافقة لعقيدتهم لاالموافقة للقرآن ، فالهذا لا يكفيهم قول القرآن (انشق القمر) فى اثبات معجزة انشقاق القمر، فكأنهم يتصورون مافعا عقليا يمنعهم عن حمل الآية على ظاهرها وصراحتها وهو عدم امكان هدا الانشقاق لكونه مخالفا لسنة الكون ، وقد تقدم منا الكلام بحا لامزيد عليه فى استنصال هذا المانع الذى استندوا اليه فى انى المعجزات الكونية عن نبينا والذى أخذوه من المستشرقين من غير فهم ماقصده المستشرقون من الاستناد الى ذلك المانع وهو عدم الاعتراف بنبوة محمد علياتها فهو ليس عندهم نبيا حتى تكون له معجزة تخالف سنة الكون كاكانت للا نبياء!!

ومما يجدر بالذكر هذا انه نشرت مجلة « الرسالة » في عددها ٤٩٢ مقالة للشيخ شلتوت وكيل كلية الشريعة وعضو هيأة كبار العلماء ، يجيب فيها على سؤال ورد الى مشيخة الأزهر عن مسألة رفع عيسى عليه السلام من عبد الكريمخان بالقيادة العامة الانكايزية لجيوش الشرق الأوسط ، ولعل السائل هندى قاديانى المذهب أراد الحصول على فتوى من الأزهر تؤيد مذهبه ، ولعل مشيخة الأزهر ندمت بعض الندامة على ماسبق لها من تنفيذ القرار الصادر عن هيأة كبار العلماء العارد الطالبين الألبانيين من الأزهر ، اذ حولت السؤال الى الشيخ كاتب القالة من بين أعضاء الهيأة الذى ستعرف نزعته القاديانية في السألة الحولة اليه (١) فكان جوابه أعليه السلام مات في الأرض ورفعت روحه ولم يرفع حيا كاذهب اليه المفسرون

<sup>(</sup>١) وكنت قد سمعت عند مافاوخت هيأة كبار العلماء فيما بينهم لابت في أمرالطالبين المذكورين أن في الهيأة من يشذ ويتردد في الافتاء بكفر المنكر اكون نبينا صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء طعنا منه في حجية الحديث الوارد فيه والاجماع المنعقد عليه وفي دلالة قوله تعالى ( ماكان محمد أبا

قبل الشيخ. واذا لم يصح رفعه سقط القول بنزوله في آخر الزمان كما ورد في الأحاديث التي لايعتمد عليها الشيخ المجيب رغم كثرتها بحجة انهها أخبار آحاد لاتبنى عليها المسائل الاعتقادية

فهو كاخطاً المفسرين في مسألة رفع المسيح خطاً علماء أصول الدين القائلين بنزوله على انه من أشراط الساعة . والخلاف بين الشيخ شلتوت وبيت المفسرين والمحدثين راجع الى الخلاف في انكار المجزات والاعتراف بها بين المنكرين الذين منهم الشيخ والمعترفين الذين منهم أهل التفسير والحديث والكلام ، فمن لم يؤمن بالمجزات فدأبه رفض الأحاديث والآيات الواردة فيها بالتشكيك في ثبوت الأحاديث منها كثرت رواتها والمبث في معنى الآيات، لالكون الأحاديث غير ثابتة في الحقيقة من طريق نقد الحديث المعروفة عند علمائه أولكون الآيات غير ظاهرة الدلالة ، بل لمقيدة راسخة في قلب الرافض تدفعه الى انكار المجزات وسائر المغيرات أينا ورد ذكرها

وقد أسلفنا في أواثل هذا الكتاب الكلام عن أصل هذا المرض الذي يجمل التشكيك في صحة الأحاديث والعبث في تأويل الآيات سهلا على المنكرين. وعقل الشيخ شاتوت الذي لايقبل معجزة الرفع والنزول لعيسي يقبل أن المحدثين كذبوا في سبمين حديثا رووها في نزوله كما أخطأ المتكامون في قبول تلك الأحاديث سندا لعده من أشراط الساعة وكما ان المفسرين أخطأوا في فهم معني الآيتين الدالتين على الرفع والآيتين الدالتين على النزول ، وانما أصاب الشيخ شلتوت في مقابل المخطئين وصدق في مقابل الحائيين

أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين) عليه القطعية . وقد رددت على هذا العضو الشاذ شذوذه فى مقدمة الكتاب ( الكبيرالذى لم ينشر تمامه بعد ) والآن أقول ان كان الشيخ شلتوت لم يتأخر التحاقه بهيأة كبار العلماء عن زمان درس مسألة الطالبين فهو أول من يخطر بالبال أن يكون ذلك الشاذ

وكنا كتبنا في صدر الكتاب شيئاكثيراً يتملق بهذه المسألة وأرجأنا النظر في آيات الرفع والغزول الى محل مناسب فنقول :

ولعدم كون الشيخ فمذهب اليهود والنصاري بشأن سيدنا المسيح بلفمذهب المــاديين لم يعترض على عقيدة المسلمين المأخوذة من قوله تعالى ( وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ) وانحـا اعترض على عقيدتهم المستندة الى قوله تمالى (بل رفعه الله اليه ) وكان هذا الشيخ أنكر من قبل وجود الشيطان كشخص حي من شأنه أن يفعل الأفعال المذكورة له في القرآن ويتصف بأوصاف متناسبة مع تلك الأفعال ، وكان المافع عنده عن وجود الشيطان هوعين المافع عن رفع عيسى عليه السلام ونزوله أعنى العلم الحديث المسادى الذى لايقبل الا مايمكن اثباته بالتجارب الحسسية . وهذا المانع عن وقوع معجزاتالأنبياء الـكونية ووجود الشيطان عند المؤمنين بالعلم المادى أَ كَثَرَ مِن كَتَابِ اللهِ وسِنة رسوله ، يمنعهم أيضًا عن القول بنبوة محمــد عَلَيْكُ وَاللَّهُ مستبدلين بها العبقرية. فلا يكون كتابه كتاب الله الذي لايجترأ على مسه بكل تأويل ولا أحاديثه أحاديث رسول الله الذي لايجترأ على تكذيبها بكل سهولة . فلو لم يكن لانكار رفع عيسى ونزوله أسبابخفية عندالشيخ المنكر ونظر الىآبتىالرفع وأحاديث النزول نظر المحايد غير المرتبط بنلكالأسباب الخفية لذهب به نظره الى التسايم بعقيدة المسلمين في رفع المسيح عايه السلام ونزوله في آخر الزمان ولارأى مانما عنهما في آيات التوفى التي تمسك بها بدلا من الآيات والأحاديث القائمة على الرفع ثم النزول

فكما أن قوله تعالى (بل رفعه الله اليه) وقوله (ورافعك الى) ظاهران في الرفع الخاص الذي يمتاز به عليه السلام لارفع الروح العام لجميع الأنبياء والسعداء كما ادعاه الشيخ ، فتمقيب قوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه) بقوله (بل رفعه الله اليه) قطمى في الرفع الذي نقول به لاالرفع الذي يقول به ، اذ لاه منى يليق بالنظم المعجز في القول بأنهم ماقتلوه بل رفع الله روحه اليه كما فسر به الشيخ ، لعدم معقولية التقابل على

هذا التفسير بين الفتل المنفى والرفع الثبت ، بناء على أن رفع الروح يمشى مع الفتل والصلب كايمشى مع عدم الفتل والصاب فلا يصح أن يكون مابعد (بل) ضدا لما قبله على خلاف ماصرح به النحاة من ان بل بعد النفى أوالنهى يجعل مابعده ضدا لما قبله . وليس للشيخ المذكر لرفعه حيا مجال للجواب عن هذا الاعتراض

أما آيات التوفي التي تمسك بها الشييخ فليس فيها تأييد لمذهبه يعادل في القوة أو يداني مافي تحكيل نفي القتــل والصاب باثبات الرفع من تأييد مذهبنا ، لأن المعــني الأصلى للتوفى المفهوم منه مبادرة ايس هو الامانة كما يزعم الشيخ بل معناه أخذ الشيء وقيضه تماما (١) فيه أي التوفي والاستيفاء في اللغة على معنى واحد، قال في مختار الصحاح: « واستوفى حقه وتوفاه بمعنى » وأنما الاماتة التي هي قبض الروح نوع من أنواع التوفي الذي يعميا وغيرها ، لكونه بمعنى القبض التام المطلق. وهذا منشأ غلط الشيخ شاتوت أومغالطته في تفسير آيات القرآن التي يازم ان يفهم منها رفع عيسي علمه السلام حما ، لأنه ظن إن القرآن ممترف يموته في الآيات الدالة على توفيه كما ظن أن التوفي معناه الاماتة نظراً إلى ان الناس لايستعملون التوفي الا في هذا المعني وغفولاً عن ممناه الأصل العام فكأنه قال بناء على ظنه هذا لا محل لرفعه حيا بعد إمانته . كنه لو راجع كتب اللغة لرأى ان الامانة تـكون معني للتوفي في الدرجة الثانيةحتى ذكر الزمخشري هذا المعنيله في « أساس البلاغة » بمدقوله «ومن المجاز» والمعنى الأصلى المتقدم الى أذهان العارفين باللغة العربية ، للتوفى هوكما قلنا أخذ الشيء تماما ، ولا اختصاص له بأخذ الروح

ولقد فسر القرآن نفسه معنى التوفىالذي يمم الاماتة وغيرها فقال : ( الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لمتمت في منامها) فهذه الآية تشتمل على نوعين من أنواع

<sup>(</sup>١) كما ان معنى التوفية جمل الغير آخذا للشيء تماما ، قال تعالى : (حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوقاه حسابه) وقال ( أنمــا يوفى الصابرون أجرهم بغيرحساب)

توفى الأنفس الذى هو الأخذالوافى نوع فى حالة الموت ونوع فى حالة النوم ، فلوكان التوفى ينحصر فى الاماتة كان المهنى فى الآية : الله يميت الأنفس حين موتها و يميت التي لم تحت فى منامها . والاول تحصيل للحاصل والثانى خلاف الواقع وثرم الاول أيضا أن تكون حالة الموت حالة اماتة الروح لافصلها عن البدن . ومن هذا يفهم أيضا منى التوفى فى قوله تعالى ( وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار)

ومعنى قوله تمالى على هذا التحقيق : ﴿ يَاعِيسِي انِّي مَتُوفِيكُ وَرَافِعَكُ الْيُ وَمَطْهِرُ كُ من الذين كفروا ) أنى آخذك من هذا العالم الأرضى ورافعك الى" . وفي قوله (ومطهرك من الذين كفروا) بعد قوله (متوفيك) دلالة زائدة على عدم كون معني توفيه اماتته، لان تطهيره من الذين كفروا باماتة عيسى وابقاء الكافرين لا يكون تطهيرا يشرفه كما كان في تطهيره منهم برفعه اليه حيا . فاذن كل من قوله تعالى متوفيك ورافعك الى ومطهوك من الذين كفروا بيان لحالة واحدة يفسر بعضها بعضا من غير تقدم أوتأخر زمانى بين هذه الاخبار الشــلائة «لان» ومن المــلوم عدم دلالة الواو الماطفة على الترتيب. فلوكان المراد من قوله تمالى (متوفيك) مميتك ومن قوله (رافعك) رافع روحك كما ادعى الشيخ شلتوت كان القول الثاني مستغنى عنسه لان رفع روح عسى عليه السلام بمد موته الى ربه وهو نبى جايل من أنبياء الله معلوم لاحاجة الى ذكره، بل لو حملنا القول الأول أعنى ( متوفيك ) على معنى مميتك كان هو أيضا مستغنى عنه اذ معملوم ان كل نفس ذائقة الموت وكل نفس فالله يميتها ومن من الناس أو الأنبياء قال الله له اني مميتك ؟ فهل لايفكر فيه الشيخ الذي يفهم من قوله تمالي اني متوفيك انه مميته ؟ الا أن يكون المهني ان الله مميته لاأعداؤه فالمراد نغي كونهم يقتلونه . وفيه ان كون الله مميته لا ينافي أن يقتلوه لان الله هو مميت كل ميت حتى المقتولين ، ولذا حمل كثير من المفسرين قوله (متوفيك) على معنى ان الله مستوفى أجله عليه السلام ومؤخره إلى أجله المسمى فلا يظفر أعداؤه بقتله

وعندى في هذا التفسير أيضا أنه يرجع الى حمل التوفي على معنى الاستيفاء كما

حلنا نحن لاعلى معنى الامانة ، لكن التوفى والاستيفاء معناه استكمال أخذ الشيء لااستكمال اعطائه فليس الله تعالى مستوفى أجل عيسى عليه السلام بل الستوفي هو عيسى نفسه والله الموفى أيمعطيه تمام أجله . فقد التبس التوفى على أصحاب هذاالتفسير والعجبأن فيهم الزنخشرى بالتوفيق التي تتعدى الى مفعو لين وهو خطأ لغوى ظاهر . وفيه أيضاتقدىر مضاف بين المتوفى وضمير الخطاب حيث قال الله انى متوفيك أي مستوفيك لامستوفي أجلك، فزيادة الأجل تكون زيادة على النص، كما أن زيادة الروح في آيتي رفع عيسي عليه السلام نفسِه زيادة على النص من جانب الشيخ شلتوت لارهاق قول الله على خلاف ظاهر المني المنصوص. وهذه الزيادة ان كانت خلاف الظاهر بينالرافع وضميرالخطاب في قوله ( ورافمك ) بأن يكون المعني ورافع روحك ، فهي في قوله (بلرفمه الله اليه) أشد من خلاف الظاهر أي غير جائزة أصلا لكونها مفسدة لما يقتضيه (بل) من كون مابمده وهو (رفعه الله اليه) ضد ماقبله وهو قوله (ماقتلوه) بناء على أن رفع الروح يلتئم كما قلمنا من قبل مع حالة القتل أيضا الذي اعتنى بنفيه ، فضلا عن ان هذا ( متوفيك ) أيضًا ممــا لاوجه لذكره اذاكان المني مميتك ، فني أي زمان تقع هذه الاماتة ؟ فان وقعت حالاً أي في زمان مكر أعدائه به المذكور قبيل هذه الآية كان هذا الكلام المتوقع منه طمأنته عليه السلام على حياته ، أجنبيا عن الصدد بل مباينا له لان فيه اعترافا ضمنيا لنفاذ مكرهم بأن يكونوا فاتليه والله قابض روحه، فهل الشيخ شلتوت ينكر أنهم ماقتلوه كما ينكر أن الله رفعه إلى السهاء حيا ؟ وأن وقعت أماتته فالستقبل البعيد فليس فالآية تصريح به مع ان مقام الطمأنة يقتضي هذا التصريح كما أنه يقتضي كونالرفع رفعه حيا ، فحيث لاتصريح بكون اماتته في المستقبل البعيد فقوله ( انى متوفيك ) على معنى انى مميتك أجنى عن المقام ، حتى ان توجيــه العالم الكبير حمدي الصغير صاحب التفسير الكبير الجديد التركي، بكون ذكر اماتته ردا

على عقيدة النصارى فى تأليه المسيح لا يجدى فى دفع هذا الاعتراض لكون ذلك الرد أيضا أجنبيا عن المقسام الذى هو مقام الطمأنة والذى ينافيه كل ما ينافيها . فالواجب الذى لم يحس بوجوبه أحد ممن تكلم قبلى فى تفسير قوله تعالى (انى متوفيك) احساسى به ، حمل (متوفيك) على معنى آخذك تماما السالم عن جميع الاعتراضات والتكلفات

وقس عليه التوفى فى آية المائدة وهى قوله تعالى: (واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهسم فلما توفيتنى كنت أن الرقيب عليهم) ومعنى قوله (فلما توفيتنى) فلما أخذتنى من بينهم وجملت صاتى بهم وبعالم مالأرضى منهية فالمراد توفيه أى أخذه بالرفع لا بالاماتة وقد علمت ان التوفى فى اللغة وفى عرف القرآن لا يختص بالأخذ من النوع الثانى

هذا تفصيل ماورد فى القرآن متعلقا برفع عيسى عليه السلام . وفيه فضلا عن الآيات المذكورة آيتان يفهم منهما نزوله فى آخر الزمان فيكون فيهما أيضا دليسلان على رفع سابق كما كانت فى أحاديث النزول أدلة . وليس الأمن كما توهم الشيخ شلتوت من أن حادثة الرفع لم يقم عليها دليل فى القرآن ولا محل لنزوله بعد سقوط رفعه . ليس الأمن كما توهم ، بل كل من آيتى الرفع ، وقد سبق ذكرهما ، وآيتى النزول وهما قوله تعالى فى سورة النساء ( وان من أهل الكتاب الاليؤمنن به قبل موته ) وقوله فى سورة الزخرف ( وانه لعملم للساعة ) يعضد بعضهما بعضا . ولا يستطيع الشيخ فى سورة الزخرف ( وانه لعملم للساعة ) يعضد بعضهما بعضا . ولا يستطيع الشيخ من دون أن يذهب الى تكلفات بعيدة كما لا يستطيع أن يجد جوابا لما ذكرنا فى آيتى من دون أن يذهب الى تكلفات بعيدة كما لا يستطيع أن يجد جوابا لما ذكرنا فى آيتى

الرفع من القرأن التي لاتتمشى مع مذهبه الذي هو رفع روحه فقط

فظهر مما سبق جميعا أن رفع عيدى عليه السلام بالمدى الذى يعتقده المسلمون مذكور فى القرآن خمس مرات : صراحة فى آيتى الرفع واقتضاء فى آيتى النزول وتلميحا فى آية تطهيره من الذين كفروا

ولك أن تضم اليها قوله تعالى عنه عايه السلام (ومن المقريين) ففيه اشارة الى رفعه الى محل الملائكة المقربين بل فى قوله أيضا (وجبها فى الدنيا والآخرة) لأن الوجيه بمعنى ذى الجاه ولا أدل على كونه ذا جاه فى الدنيا من رفعه الى السماء ، وقوله عن أعدائه (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) فيبلغ أدلة القرآن على رفعه ثمانية ومن العجائب ان الشيخ شلتوت عاكس الواقع مرة أخرى فحاول أن يستخرج من آية المكر دليلا ضد الرفع منكراً لأن يكون فى رفعه الى السماء حيا مكر من الله بأعدائه الماكرين! وعنده ان مكر الله بهم المتغلب على مكرهم بنبيه حاصل فى إمانته ورفع روحه اليه لافى رفعه حيا ، فكان الله زفد مأراد أعداؤه أن يفعلوه به فقتله قبل أن يقتلوه أو نفد قتلم باماتته ! فكان الله إذن مساعدهم لاماكراً بهم !

وانظر بعد هذا النوجيه بالنسبة الى مكره بهم فى رفع نبيه اليه حيا وجعل مسعاتهم لقتله فى خياب بن هياب! هذا ، مع ان تمام مكر الله بهم مذكور فى قوله (ولكن شهبه لهم) بعد قوله (وماقتلوه وما صلبوه) الذى تفاضى عنه الشيخ بالمرة . وقول القرآن عن سيدنا المسيح (وما قتلوه وما صلبوه بل رفعه الله اليه) لو لم يفهم منه رفع المسيح حيا وانما فهم رفع روحه كما زعمه الشيخ وأصر على زعمه فاذن يمكن أن يقول المسيح حيا وانما فهم رفع روحه كما زعمه الشيخ وأصر على زعمه فاذن يمكن أن يقول قائل ان القرآن لاينفى قتل المسيح وصلبه فى صورة قاطعة لأن رفع روحه الى الله لاينافى كونه مقتولا ومصلوبا بأيدى أعدائه ، وانما يكون هذا القول بأنهم ماقتلوه وما صلبوه من قبيل الهزل. كمالو قتل أحد انسانا ثم قال فى الحكمة لم أقتله ولم أقبض روحه وانما الله قبض روحه ! فلو أن الشيخ صاحب هذا التأويل الذى بأمره به هواه

لانكار معجزة الرفع لم يغب عنه أن القرآن كلامالله لصاله عن أن لايكون/لنفيه القتل والصلب عن المسيح الا قيمة هزلية !!

أما الكلام على المانع الحقيق عند كتاب العصر الحديث وأتباعهم من علماء الأزهر ، عن الاعتراف بمعجزات الأنبياء عليهم السلام الكونية وغيرها مما يخالف سنة الكون كرفع عيسى ونزوله ووجود الشيطان فيضطرهم بسبب هذه المخالفة الى تكذيب الأحاديث الواردة بشأنه وتأويل الآيات مهما كانوا ظالمين لأئمة الحديث في التكذيب ومبتعدين عن منطوق الآيات في التأويل ، بل ظالمين أحيانا في تأويل الآيات أيضا كقول الشيخ شلتوت في مسألة وجود الشيطان ان القرآن جارى فيه عقيدة العرب الجاهليين وقول الأستاذ فريدوجدى في آيات المعجزات والبعث بعد الموت انها آيات متشابهة غير مفهومة المعاني \_ أما الكلام على هذا المانع فقد وفيت حقه في أوائل هذا الكتاب الذي هو جزء صغير من كتابي « موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ورسله » منشور قبل تحامه بسبب أزمة الورق . وفي تحام الكتاب مزيد حل لشبه العصريين من الكتاب والعلماء الذين لايؤمنون بالغيب

نعود الى ماكنا فيه قبل الانتقال الى مناقشة الشيخ شاتوت فى دعواه الشاذة عن رفع عيسى عليمه السلام فكنا قلنا ان المنكرين لممجزات الأنبياء الكونية ينكرونها بسبب مخالفتها لسنن الكون والعمم الحديث المبنى عليها ، كما قلنا ذلك أيضا في نهاية المناقشة مع الشيخ

وهناك مانع آخر عندهم خاص بوجود معجزة كونية له عَلَيْنَ أخذوه أيضامن المستشرقين من غير فهم مرماهم في البحث عن موانع المعجزات الكونية لمحمد عَلَيْنَ وهو أن القرآن نفسه حكى أن محمداكان لايلبي طلبات قومه في اظهار المعجزات كا ورد في الآيات التي ذكرها مؤلف كتاب «حياة محمد» مستشهدا به على مااستشهد

عليه المستشرقون من أن حياة محمد خلت عن المعجزات الكونية ومحطا علما كل ثقة بكل ماورد في كتب الحديث والسيرة من معجراته . والفرق بين موقف المستشرقين وبين مؤلف الكتاب أءنى الدكتور هيكل باشا الذي تعلم طريق هذا التحطيم منهم انه يتمزى بادخاركل الاهتمام وكل الثقة للقرآن فيحينأنهم لايأتمنونه أيضا للاسباب التيذ كروها في الأحاديث وسلَّمها الدكتور من عدم التعويل على صحة رواياتها وأمانة رواتها المعلولين بالأغراض الدينية والسياسية ولاعلى تمحيص الجامعين للصحاح وتمحيص هذا التمحيص من علمـــاء الدين الذين جاءوا بعدهم وفرق آخر بينه وبينهم انهم يعلمون جيداً ان التشكيك في أمانة النابع الاسلامية عن آخرها بالنسبة الى الأحاديث يستلزم التشكيك في تلك المنابع بالنسبة الى القرآن أيضا ، والدكتور المؤلف غافل عن هذا الاستلزام ، فهو يسمى عبثا لترغيب المشككين الغربيين والذين وقعوا تحت تأثير دعايتهم من الغربيين والشرقيين ومنهم الدكتور نفسه ، في القرآن مفرقا بينه وبين غيره من المجزات ومادحاله بأنه ممجزة عقلية . وليس له أن يتعزى بأن القرآن ُجمع قبل طروء الفساد على الروايات لأن نبأ هذا آلجمع أيضا يصل الينا من طريق رواة الحديث والسيرة المطعون في أماناتهم

ثم ان المشكد كين الفربيين الذين يستخده ون عقولهم المشحوذة لاعمل ضدالاسلام عمارة لا توجد في مقلديهم ، مااجترأوا بضعضمة ،كان الحديث أولا والقرآن ثانيا متوسلين اليها بضعضمة أصول الرواية وتعليلها بددم ابتنائها على طريقة النقد العلمى والتمحيص العلمى الذي جرى عليها الدكتور في تأليف كتابه وخيل للأذهان أنه أول كتاب في الاسلام يتضمن بيانا عن حياة سيدنا محمد مبنيا على الطريقة العلمية .. مااجترأوا بذلك ، بل جعلوا الكتاب والسنة يهدم بعضهما بعضا: فني دعواهم المارة الذكر قريبا ينني القرآن بنصوصه الواردة في عدة سور أيَّ آية أيْ معجزة لنبينا محمد عن معجزاته ؛ فهل تنظرون ويمنع صدق ماذكر في كتب الحديث والسيرة عن معجزاته ؛ فهل تنظرون

ان المستشرقين أعداء محمد لايكتفون في تكذيب الأحاديث النبوية بتكذيب كتبها بل جعلوا القرآن أيضا يكذَّبها ؟ وصاحب كتاب « حياة محمد » يقتدى بهم في كلتا الخطونين : غير أن الفرق بينهو بيسم أن الغرض من تكذيبهم كتب الحديث لتكذيب معجزات نبينا ومن جعلهم القرآن أيضا يكذِّمها ، تكذيب كل معجزة منسوبة اليه حتى القرآن نفسه لينتهوا بهذه التكذيبات المتسلسلة الى تكذيبه في نبوته ؛ ولا نرضي أن يكون مؤلف كتاب « حياة محمد » يرضى بهــذا ، الا أنه ماذا يكون موقف محمد وَكُمُ اللَّهُ عنده ؟ اذا صح بالنظر الى قول القرآن أنه كان لايلمي الطلبات الواقعة في الاتيان بآية ، بل يقول دائيا أنما الآيات عند الله وإنما أنا بشر مثلكم أو إنما أنا نذير مبين أوليس عندى خزائن الله أو إنما الغيب لله أو مايماثله ، ولا يقول جوابا لكل تلك الطلبات: آيتي القرآن. واتما قيل مرة واحدة عقب طلب الآية: (أولم يكفهم أنا أنزلناعليك الكتاب يتلى عليهم) وهوايس بصريح في كون القر أن معجزة لايتهمني القاري والعياذ بالله بأني أنكر كون القرآن الذي هو أعظم معجزات نبي الاســـلام وأفضــل معجزات الأنبياء على الاطلاق، معجزة . وانما أنا أتصور وأصور عقليات المستشرقين واستنتاجاتهم من آيات القرآن التي استشهد بها مؤلف كتاب « حياة محمد » على نني العجزات الكونية لمحمد . فالآيات نفسـما عند المستشرقين أساتذة المؤلف في الاستشهاد شواهد على نفي معجزاته مطلقا وان لم يشمر به المؤلف، اذ لاريب في أنهم لايعترفون بكون القرآن معجزة. فالتمسك بتلك الآيات ولو فىنفى ماعدا القرآن من ممجزات نبينا لاينبغى لمسلم يقظ يأبى أن يخدم أغراض أعداء الاسلام، فضلا عن أن هذا التمسك لا يستقيم في حد ذاته . والآن نورد تلك الآيات ثم نبين ما هو المراد منها:

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولـكل قوم هاد (سورة الرعد) وقالوا لولا أُنزل عليــه آيات من ربه قل آنما الآيات عند الله وآنما أنا نذير مبين ( سورة المنكبوت )

وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادرعلى أن ينزل آية ولكن أكثرهم لايملمون (سورة الأنمام)

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان اللهيضل من يشاء ويهدى اليه من أناب (سورة الرعد )

بل قالوا أضــفاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ( الأنبياء )

الحكمة فى انزال هذه الآيات تتصور على وجهين: الأولأن كتاب الاسلام يرى الله تهذيب المقول وهدايتها الى رشدها ؟ وقد كان الذين كتبوا التوراة والانجيل للنصارى وعموهم المسيح الها يقدر على التصرف فى الكائنات. فالقرآن الذى هو كتاب دين التوحيد يعتنى بتصحيح تلك المقيدة ويكرر أمن الله لنبيه باعلان أن كل شىء بيد الله ايس للنبي من الأمرشيء وانحا هو عبده ورسوله وانحا الآيات ككل شىء عند الله لا يقدر محمد على الاتيان بها من تلقاء نفسه ، فيقول الله له : ( ليس لك من الأمرشيء ) ويقول ( قل لاأملك لنفسي نفما ولا ضراً الا ماشاء الله ولو كنت أعلم النبيب لا ستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الانذير و بشير لقوم يؤمنون ) ويقول ( قل لاأملك لنفسي السوء ان أنا الانذير و بشير لقوم يؤمنون ) ويقول ( قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم النبيب ولا أقول لكم إلى ملكان أتبع إلا مايوحي إلى ) وحتى يقول ( إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاه )

وكان النبي عَلَيْكَا من شدة حرصه على هداية الناس الذى قال الله عنه : (فلملك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ) ، يتمنى نزول مايسألونه من الآيات ؟ لحكن الله الذى بفعل مايشاء ويحكم مايريد ولا يشرك في حكمه أحدا ،

يقول لنبيه: (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين إن نشأ ننزل عليهم من السهاء آية فظلت أعناقهم لها خاضمين) ويقول (وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطمت ان تبتغى نفقا فى الأرض أوسلما فى السهاء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تسكونن من الجاهلين).

فهذا الخطاب من الله لنبيه فى القرآن يمطى فــكرة جدية عن عقيدة الاســـلام كيف تقـــدر فيها عظمة سلطان الله فوق عباده كاثنين من كانوا ، كما انه يمطى فــكرة جدية عن القرآن هل يمكن أن يكون كلام سيدنا محمد وفيه هذه الآية الأخيرة ؟

فهذه الآية واللاقى ذكر نا قبلها وأمثالها التى لم تذكر مثل (وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) تزلت لتفهيم الفرق بين الرب والمربوب وتثبيته في قلوب السلمين ليملموا انه ليس في استطاعة محمد أن يأتى بآية ولا بأى شيء الا باذن من ربه ورب كل شيء وليس هذا خاصا بمحمد عليات في يستوى هووسائر رسل الله فيه كاقال القرآن أيضا (وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله) . ولا بلزم من كون انزال الآيات واظهار المعجزات من اختصاص مشيئة الله عدم وجود معجزة لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام غير القرآن ولا عدم نفع المعجزات الكونية في اقناع الناس بصدق الرسل لا بتذالها ووقوعها في كل زمان من غير الأنبياء كا ادعاه الشيخ رشيد رضا . الرسل لا بتذالها الشيخ المستخف بالمعجزات الكونية الناظر اليها نظرها الى أعمال السحر والشموذة ، لا يسمع لقوله تعالى : (وأوحينا الى موسى أن أبق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون) وقوله : (ان نشأ ننزل عليهم من السهاء آية فظلت أعناقهم لها خاضمين)

الثانى لاشك فى أن القرآن النازل على النبى العربى الذى يجدونه مكتوبا فىالتوراة والانجيل ، أعظم معجزات هذا النبى بل أفضل معجزات الأنبياء على الاطلاق كما قلنا ( ١٢ — القول الفصل )

من قبل أيضا ، لأن غيره من المجزات الكونية الما هي وسائط لتصديق التي وعلامات صدقه في دعوى النبوة عن الله والبعث الى الناس، والغاية التي تأتى بعدها هدايتهم الى مافيه سعادتهم في الدنيا والآخرة . فالقرآن المعجز يجد العاقل فيه الغاية والواسطة معا . فاذا كانت معجزات الأنبياء تلفت الأنظار وتستجلب القلوب الى الكتب المنزلة عليهم والى قبول مافيها من الأوام، والنواهي على أنها بلاغ من الله ، فالقرآن يلفت بنفسه الى نفسه والى قبول مافيه حقا وصدقا بل الى قبول مافي الكتب المنزلة قبله أيضا . ولذا قال تعالى : ( وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل الما الآيات المنزلة قبله أيضا . ولذا قال تعالى : ( وقالوا لولا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) وقال ( وقالوا لولا يأتينا با ية من ربه أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) وقال القرآن الذي هو بينة وشاهد صدق لنفسه ولغيره من الكتب المنزلة الأولى حيث نزل بالحق مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل وغيرها . ويحتمل أن يكون المراد من بينة مافي الصحف الأولى مافي الكتب المنزلة قبل القرآن من التبشير بمجيء محمد عليه الله عليه وسلم

وليس في توبيخ مقترحي الآيات بأن يقال: أو لم يكفهم القرآن آية أو: أو لم يأتهم القرآن ، مايستلزم عدم وجود معجزة لنبينا غير القرآن ؛ كما أن اجابتهم بأن الله قادر على أن ينزل آية أو أنه يضل من يشاء و يهدى اليه من أناب أو انما الآيات عند الله أو انما أنت منذر لاتستلزم عدم وجود معجزة له مطلقا (۱) وحسبك انها لم تمنع وجود معجزة القرآن ، بل الواو في (أو لم يكفهم ...) أو (أو لم تأتهم ...) تدل على ان له معجزة غير القرآن ، والمعنى: ألم يكفهم الآيات ولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب

<sup>(</sup>۱) كما أن جواب القسرآن لمساقال الفائلون لرسلهم من الأمم المساضية : إن أنتم إلا بشعر مثلنا تريدون أن تصدونا عمساكان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ، قائلا : ( قالت لهم رسلهم إن تحن الا بشرمثلكم ولسكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) لم يستنزم عدم وجود معجزات لأولئك الرسل

يتلى عليهم، أَلَمْ تَأْتَهُم آية ولم تأتُّهم بينة مافي الصحف الأولى .

الثالث ان مقترحى الآيات أى المعجز ات على الأنبياء يكونون فى الأحكر من المعاندين المتمردين عليهم لايريدون الا تعجيزهم فاذا جاءتهم لايقتنعون بها ويطلبون غيرها ، فالله تعالى لايستجيب لمقترحاتهم ولا ينزل آية يستميلهم بها الى الايمان بنبيه ولو شاركهم النبى فى استنزالها لأن الله يعلم انهم لايؤمنون كاقال (وما تغنى الآيات والندر عن قوم لايؤمنون) فيمسك آيته عنهم ويصونها عن أن تتخذ هزؤا أو تذهب أدراج الرياح . وقد يكونون ممن حقت عليهم الضلالة لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الألهم) فيقول الله فيهم لنبيه : (أفأنت تنقذ من فى النار) ويقول وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انحا الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لايؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول من ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم وندرهم فى طغيانهم يعمهون ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)

وقد يكون صماهم في طلب المعجزات اختباراً لقدرة من يدعى النبوة على ايصالهم الى حظوظ الدنيا الفانية وشهواتها لاهدايتهم الى مناهج السعادة الأبدية ومدارج الانسانية الحقيقية ؛ وقد يكون مع ذلك استخفافهم بشأن النبي ولله واستعظام شأنهم أنفسهم كاقال الله تعالى: (وقالوا مالهذا الرسول يأ كل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو ياتي اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) هولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو ياتي اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) هد جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط الساء كازعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تغزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشراً وسولا) \_ الاسراء \_ وقال : (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير رسولا) \_ الاسراء \_ وقال : (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير

الحق وان يرواكل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافاين \_ الأعراف\_ فالدكتور هيكل باشا أورد من هذه الآيات آيات الأنعام والاسراء مستدلا بهما على أن القرآن ينفي كل معجزة لنبينا ﴿ وَلِيْكُنِّهُ الا نفسه أَى القرآن؛ وايس فيهما دلالة على مدعاه ، فآيات الاسراء تحكى أنهم طلبوا آيات.معينة غريبة في بعضها غلووشطط كقولهم (أو تأتى بالله واللائكة قبيلاً) أى كفيلاً، ويفهم من أكثرها أنهم طلاب الدنيا لاطلاب الحق فميبت عليهم مطالبهم ولم يستجب لهم ، مع التنبيه على ان محمدا ليس بالــ وانما هو بشر رسول يعمل تحت ارادة الله ؟ وليس في كل هذا دلالة على أن محمدًا لم يأت بأى آية ولا يأتى وان أذن الله بها . ومدلول آيات الأنمام انهــم أقسموا بالله لأن جاءتهم آية ليؤمنن بها وقد علم الله انهم لن يؤمنوا اذاجاءتهم، حتى انهم لو أرادوا أن يؤمنوا لصرف الله قلومهم وأبصارهم عن الايمان فــــلا يوفقون له ولا يؤمنون ان لم يشأ الله ولوجاءهم كلموجبات الاعمان وحضتهم عليمه. فالمفهوم من هــذه الآيات بَكل وضوح أن الذين يحكى فيها إقسامهم بالله علىانهــم ان جاءتهم آية ليؤمنن بها ، ممن حقت عليهم الضلالة فلذلك لا يأذن الله أن تأتيهم آية ، وهذاموضوع يختلف كل الاختلاف عما ادعاه الدكتور المؤلف في هذه الآيات من أنها تدل على أن محمداً ماجاءته أيَّـة معجزة غير القرآن وان مقترحيها عليه لميستجب لهم مطلقا سواءكانوا ممن لايؤمنون ولو جاءهم ماسألوه من الآية أوممن يؤمل منهم الايمان. فلا دلالة في هذه الآيات على ماادعاه من أن سيدنا محمدا ماجاءته أيُّ آية غير القرآن ، بل نقول ان فيها مايدل على مجيء آية اليهم أول مرة فلم يؤمنوابها شماقتر حوا مرة أخرى فرُ دعليهم وشُـدد في الرد وهو قوله تعالى (كما لم يؤمنوا به أول مرة) وفي آية الاعراف تأييد واضح لمــا قلمنا حيث يقول ( سأصرف عن آياتنا الذين يتــكبرون في الأرض بنـــير الحق وان يرواكل آية لايؤمنوا بها) . وفي النهاية يقول : ﴿ ذَلَكَ بِأَنْهُم كَذَبُوا بَا يَاتَنَا وكانوا عنها غافلين )

الرابع ان السنة الآلهية انزال العذاب على قوم أرسل اليهم رسول فعصوه وآذوه أو سخروا منه ومن آيات نبوته وأصروا واستكبروا استكبارا . وكتاب الله ينص على هذه السنة الالهية في قوله ( حتى اذا استيأس الرســل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا برد بأسنا عن القوم المجرمين) وقوله (فهل ينظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين) وقد ذكرنا فها سبق أن المراد من سنة الله التي قال الله عنها في كتابه: لن تجد لها تبديلا ولن تجدلها تحويلا والتي حملها الغافلون على سنن الكون الطبيعية وبنوا عليها انكارهم المعجزات الكونية ، سنته في نصر أنبيائه وتدمير أعدائه ، ويكون هذا النصر وهذا التدمير آخر معجزات الأنبياء بالنسبة الى المتمردين علمهم ، وتنقدم هذه المعجزة معجزات الهداية فيهتدى من مهتدى ويؤمن من يؤمن ، ويكون في الباقين من يطلب معجزة أخرى تفوق الأُوَلَ ظهوراً وبهورا وتـكونهذه المجزة المطلوبة هي التي تأتى بمدها معجزة العذاب ؛ ولهذا يماطل الأنبياء علمهم السلام لاسما الذين تغلب فهم الرحمة ، في الاتيان بهذه المعجزة (١) والقرآن يشير الى سنة نزول المذاب بعد هذه المعجزة في كثير من آياته كقوله : ﴿ وَمَا مَنْعَنَا أَنْ نُرْسُلُ بِالْآيَاتُ إِلَّا أَنْ كَذَبُ بِهَا الْأُولُونَ وآتينا تمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرســل بالآيات إلا تخويفا ) ــ الاسراء ــ وقوله ( بل قالوا أضـفات أحلام بل افتراه بل هو شاعر . فليأتنا بآية كما أرســل الأولون ما آمنت قبلهـــم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون ) ــ الأنبياء ــ وقوله :

<sup>(</sup>١) وفى تفسير الفخر الرازى : قال محمد بن كعب القرظى ان الشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم تحبرنا أن موسى ضرب الحجر بالعصا فانفجر الماء وأن عيسى أحيى الميت وان صالحا أخرج النافة من الجبل فأتنا أنت أيضاً بآية لنصدقك فغال عليه السلام ماالذى تحبون فقالوا ان تجمل الصفا ذهبا وحلفوا أمن فعل ليتبعونه أجمعون فقام عليه الصلاة والسلام يدعو ، فجاءه جبريل فغالى ان شئت كان ذلك وائن كان فلم يصدقوا عنده ليعذبهم الله وان تركوا تاب على بعضهم فقال صلى الله عليه وسلم بل يتوب على بعضهم فقال صلى الله عليه وسلم بل يتوب على بعضهم فأنزل الله تعالى هذه الآية » أي آية الأنمام

(لو ماتأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ماننزل الملائكة الا بالحق وماكانوا إذاً منظرين) \_ الحجر \_ وقوله: (وقالوا اولا أنزل عليه ملك واو أنزلنا ماكماً لقضى الأمر ثم لاينظرون) \_ الانعام \_ وقوله: (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خيرالرازقين قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عداباً لاأعذبه أحداً من المالمين) \_ المائدة \_ وقوله: (واذا جاءتهم آية قالوا أن نؤهن حتى نؤتى مثل ماأوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صفار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) \_ الأنعام \_

وصدر الآية يدل على أنه كانت تأتيهم آية ولكنهم كانوا يفالون فى الآية التى يؤمنون بها الى أن يقترحوا نزول الوحى عليهم ويؤتوا منصب الرسالة من الله .وطبيمى أن تقابل هذه الطابات الطائشة منهم بالرفض والتوبيخ والاندار وهذا كما قال بنو اسرائيل لسيدنا موسى (لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة) \_ البقرة \_

فالآيات التى طلبوها من نبينا عَيِّلْيَا ولم يستجب لهم فيها لم يكن سبب عدم الاستجابة أن نبينا دأبه أن لا يستجيب لطلب الآية لمدم كونه نبيا كا زعم المستشرقون ولا لعدم كونه لايستجيب لطلب المعجزة الكونية كا زعم مقلدو المستشرقين منا تقليداً أعمى ، وكيف يكون السبب أحدهذين الأمرين الزعومين مع أن بعض الآيات القرآنية الحاكية للطلبات المرفوضة نفسها يفهم منها أن النبي عليات كان يأتيهم بآية وانما الرفض مبنى على أسباب مختلفة فصاناها قريبا . وكان آخر ماذكرنا أن طالبي الآيات لما لم يقتنموا بما أتى منها وطلبوا آية أعظم وأبهر ، أنذروا بما هو سنة الله في الأمم الماضية من انزال العداب بعدها ان لم يؤمنوا بهما أيضا ، ولم يشأ الله استئصال أمة بعث اليهم آخر أنبيائه با نزال العذاب عليهم ، لاسها وان هذا النبي لايفتاً يدعوهم قائلا : ( اللهم اغفر لقوى فانهم لايعلمون )

وعلى قول الفاضل الهندى متم كتاب السيرة ان معجزة شق القمر كانت هي آية نبينا الباهرة التي يأتي بعدها العذاب في سنة الله ان لم يؤمنوا بها أيضا (١) وهي كانت على تحقيقه آخر آيات الهداية ولهذا وقعت قبل الهجرة بقليل التي هي أيضا من سنة الله لما أراد انزال العذاب على قوم نبي ، فيأمر النبي ومن معه أن يخرجوا من بينهم وكان يوم بدريوم انزال العذاب على مشركي مكة

فقد تبين مما سبق منا الى هنا ان القرآن ، فضلا عن عدم شهادته بننى وجود معجزة غميره لنبينا عليه التى ادعاها منكرو معجزاته الكونية ، فيمه دلالة بل دلالات على وجود معجزات له غير القرآن . وألطف نواحى السألة دلالة بعض الآيات التى يستشهدون بها على عدم وجود معجزة له غير القرآن ، على وجودها . فيظهر ان ممالى مؤلف «حياة محمد» لم يتتبع القرآن عند دعوى الننى وانما اتبع المستشرقين واقتنع بما أوردوه من الشواهد ، وزيادة على عدم تتبعه بنفسه لم يستعمل دقته فيا وجد حاضرا عنده من أدلتهم المأخوذة من القرآن ، فقدساق آية الأنمام الطويلة دليلا على رفض القرآن الطلبات والاقتراحات بصدد المعجزات وهي قوله تمالى : (وأقسموا بلله جهد أيمانهم لمن جاءتهم آية ليؤمنن بها . الآيات ) مع ان فيها قوله : (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول من ) دليلا واضحا على انهم أنتهم آية من قبل فلم يؤمنوا بها . لكن المؤلف لم ير هذه الجلة الناقضة لدعواه حين أورد الآية لاثبات نقلك الدعوى ، فكان دليله يضره بيها هو يتفعه .

\* \*

والآن نورد شواهد من القرآن نفسه تدل على وجوده مجزات لنبينا عَيْنَا عَيْنَا عَيْنَا عَيْنَا عَيْنَا عَيْنَا عَ القرآن ، وان كان بمض تلك الشواهد مجملا لايدل على حادثة ممينة . ولسنا بصدد

التفصيل لواقعات المعجزات فحلم اكتب الحديث والسيرة وكتب دلائل النبوة (١) وحسمنا في صددنا ما أشير اليه في الآيات الآتية :

١ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين \_ الانعام \_

٢ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الاكانوا عنها معرضين ــ يس ــ

٣ وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر \_ الفمر \_

٤ وان يروا آية يستسخرون ويقولون هذا سحر مبين \_ الصافات \_

 واذا جاءتهم آیة قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل مأأوتى رسل الله الله أعلم حیث یجمل رسالته ـ الانمام \_

۲ زیادة الواو الدالة علی آیة أوآیات مقدرة بعطف علیها مابعدها فی قوله تمالی : (وقالوا لولا أنزل علیه آیات من ربه قل انحا الآیات عند الله وانحا أنا نذیر مبین أولم یکفیهم انا أنزلنا علیك الکتاب یتلی علیهم ـ العنکبوت ـ والمعنی ألم تکفیهم الآیات ولم یکفیهم انا أنزلنا علیك الکتاب یتلی علیهم

ريادة الواو في قوله تعالى: (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة مافي الصحف الأولى مافي الصحف الأولى الصحف الأولى عنه المناه المنه ألم تأتهم آية ولم تأتهم بينة مافي الصحف الأولى من ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ـ الأنعام ـ وتحام الآية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لايؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا بهأول مرة) والشواهد الثلاثة الأخيرة من شواهد نفاة المعجزات غير القرآن، معكوسة عليهم والشواهد الثلاثة الأخيرة من شواهد نفاة المعجزات غير القرآن، معكوسة عليهم مثليهم رأى المعين ـ آل عمران ـ

 <sup>(</sup>١) وقد أحصى الفاضل الهندى متم السيرة التي بدأ كتابتها المرحوم ،ولانا شبلي نعيان ، معجزاته
 صلى الله عليه وسلم الثابتة بالروايات الصحيحة في كتب الحديث والسيرة وغير الثابتة بها

ا واذيريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمرآكان
 مفعولا \_ الأنفال \_

١١ اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألق فى قلوب الذين
 كفروا الرعب \_ الأنفال \_

١٢ واذ يمدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون
 لكم وبريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين \_ الأنفال \_

۱۳ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ـ الأنفال ـ الله تقلوهم ولكن الله بدر وأنتم أذلة فاتقوا الله الملكم تشكرون اذ تقول للمؤهنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلي ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمدد كم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين ـ آل عمران ـ ويأتوكم من فورهم هذا يمدد كم ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ـ الأنفال ـ الأنفال ـ

١٩ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله
 وما زادهم الاايمانا وتسليما ــ الأحزاب ـ

الله الدين آمنوا اذكروا نعمة الله عايكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً
 وجنودآ لم تروها \_ الأحزاب \_

۱۸ لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرنكم فلم تنن عنى عني الله على الله على الأرض عارجبت ثم وليم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا \_ التوبة \_

المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما قلوبهم قل استهزؤا ان الله خرج ماتحذرون ــ التوبة ــ

٠٠ . بأيها الذين آمنوا اذ كروا نعمة الله عليكم اذهم قوم أن يبسطوا البكم أيديهم

فكف أيديهم عنكم \_ المائدة \_ نزلت فى بنى النضير من اليهود لما ائتمروا بالنبى عَلَيْكُ حين أتاهم مع بعض خواص أصحابه يستقرضهم فى دية رجلين وقد كانوا عاهدوا النبى على ترك القتال وعلى أن يعينوه فى الديات فقالوا اجاسحتى نطعمك ونعطيك ماتريد ثم تآمروا على أن يطرح أحدهم رحى من فوق الجدار الذى جاس مستندا اليه فنزل جبريل وأخبر بذلك

71 والذين هاجروا في الله من بعد ماظلموا لنبوئهم في الدنيا حسنة ولأجرالآخرة أكبر \_ النحل \_ نزلت في مهاجرى المسلمين الى الحبشة لما خاف عليهم اخوانهم في مكمة بماكان يعمل المشركون على احراج مواقفهم بالمهجر متوسلين اليه بالتأثير عند ملك الحبشة بارسال الهدايا الى موظق قصره . فالله تمالى خيب مسعاهم وطمأن المؤمنين على حالة اخوانهم المهاجرين

77 وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها واذاً لايلبثون خلافك الا قليلا سينة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا بالاسراء نزلت في هجرة الرسول عَيْنَا فَيْهِ منبئة بدنو هلاك الذين أخرجوه من بلده . وكان المؤمنون وقت الهجرة ونزول الآية في غاية الضعف ، ها مضت سنة حتى قتل صناديد قريش في بدر وفاز المسلمون بالنصر الموعود

٣٣ أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر \_ القمر \_

78 وعد الله الدين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهسم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعدخوفهم أمنا النور \_ كان المؤمنون وقت نزول الآية في قلة وعجز لاينامون الليالي آمنين على حياتهم من مهاجمة الأعداء المحيطة بهم . فمن ذا الذي كان يطوف بباله أن تكون من المسلمين دول عظمى تعلو كلتهم في وجه البسيطة كما تبشر به الآية ؟ حتى الله كان من المستبعد أن يتغلب المسلمون على قبائل العرب المجتمعة على معاداتهم . والآية المتقدمة

تنبي بتمزق القبائل أمامهم

٢٥ ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد \_ القصص \_

لقدصدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن السجد الحرام ال شاء الله آمنين
 الفتح ـ الآيتان تبشران بفتح مكة وكانت الأولى منهما نزات أثناء الهجرة منها
 والثانية عند العودة من الحديبية

٢٧ قل للمخلفين من الأعراب ســـقدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو
 يسلمون - الفتح - اشارة الى الحروب الواقعة فى عهد الخلفاء الراشدين

۲۸ الم غابت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر، من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهوالعزبز الرحيم وعد الله لايخلف الله وعده — الروم — والآيات الاحدى عشرة الاخيرة تتضمن الاخبار عن الغيب الذى هو من المعجزات الكونية لكونه مخالفا اسنة الكون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلم حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين — الاحقاف —

٣٠ سبحان الذي أسرى بمبده ليــــلا من السجد الحرام الى السجد الأقصى الذي
 باركنا حوله لنريه من آياتنا — الاسراء —

٣١ اقتربت الساعــة وانشق القمر وان يروا آية يمرضوا ويقولوا سحر مســتمر
 القمر –

قد بينا مافي آيتي القمر من مؤيدات وقوع ممجزة انشقاق القمر بل وقوع غيرها أيضا ، وأبطلنا تأويـ لات النكرين التممدين والغافلين . والآن نقف على ممجزة الاسراء وننظر في نصها ونرد أوهام المتأولين . والدكتور هيكل باشا مؤلف كتاب «حياة محمد» الذي أغفل ممجزة شق القمر في كتابه بالمرة كما أغفل غيرها ، تمرض لنبأ الاسراء لاعلى أنه معجزة بل ذهب في سبيل نفي اعجازه مذهبا أبعد من المعجزة لان

المعجزات من المكنات في مذهب العقل السليم وقد فصلناه في أول هذا الكتاب، وما ذهب اليه هيكل باشا في تأويل معجزة الاسراء وهو وحدة الوجود محال كما علمت تحقيقه في الفصل الاول من الباب الثاني من الكتاب الكبير . ولا يدرى معاليه أن وحدة الوجود فكرة لا تخص على تقدير صحتها وامكانها بنبي دون نبي ولا بانسان دون انسان ولا بموجود دون موجود ولا بوقت لذلك النبي أو ذلك الانسان أو ذلك الموجود واحد الموجود ، دون وقت ، لان كل الموجودات في مذهب وحدة الوجود موجود واحد وهو الله . فنضرب عن هذا التأويل الحديث لمعجزة الاسراء ، المستغني لبطلانه عن الابطال صفحا ، وننظر في التأويل القديم :

آية الاسراء في القرآن صريحة غير قابلة للتردد والتلكؤ في أن الله تمالى أسرى بعبده ليسلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . فكما لو قلت سريت من محسل فلانى الى محل فلانى لايكون وجه للتردد والسؤال هلكان ذلك بجسمك أم بروحك وفي اليقظة أم في المنام ؟ فكذلك لايجوز الاختلاف في معنى هذا الشرى ولا في أن العبد اسم للروح أو الجسد أولها معا ، كما وقع بين القائلين بالاسراء الجسماني والاسراء الروحاني

نعم یخطر بالبال کیف یمکن السّری لیلا أی فی جزء من اللیدل من مسجد الی مسجد بینهما مسافة شهرین ذهابا و إیابا ؟ ثم لما نظر الی تمبیرات القرآن ورؤی انه لایقول سَری محمد بل یقول ان الله أسری به مع التسبیح لهذا الذی أسری به و تنزیهه من الكذب والمجز ، زال كل شبهة وكل تردد عن أساسه . فاذن یلزم أن یكون فعل الاسراء الذی یقول الله تمالی انه فاعله والذی یسبحقائله لنفسه من حیث انه فاعله ویمبر عن المسری به بعبده المشرّف بتمحضه فی عبودیته شم یذكر الغایة لهذا الفعل بقوله : ( لنریه من آیاتنا ) ، فعلا فی منتهی الخطورة والأهمیة ویلزم أن یبقی مصونا

عن كل تأويل ينقص من خطورته وأهميته (١)

فق جنب هذا التصريح المعظم يذوب كل ماقيل أو يقال فى تأويله . فمنه ماذكر ابن هشام فى سيرته وابن جربر فى تفسيره من دوايتين عن معاوية وعائشة رضى الله عنهما وها أن محمد بن اسحق قال حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة أن معاوية كان يقول لما سئل عن المعراج انه كان رؤيا صادقة ، وان ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد يعنى ابن اسحق قال حدثنى بعض آل أبى بكر أن عائشة كانت تقول : « مافقد جسد رسول الله» ، مع أن فى الرواية عن معاوية انقطاعا لأن ناقل الخبر الى ابن اسحق لم يسمعه عن معاوية لعدم كونهما فى عصر واحد ؛ وفى الرواية عن عائشة لم يذكر اسم من روى عنها من أقاربها والماعبر عنه يبعض آل أبى بكر ، وفيها شىء آخر وهو ان عائشة لم تكن فى زمن الاسراء بموقف أن تقول القول المروى عنها لأن الاسراء وقع قبل الهجرة بسنة أو أكثر وتزوج النبى بها فى المدينة وهى على المشهور فى التاسعة من عمرها فتكون فى زمن الاسراء طفلة فى السابعة ، ولم يبت رسول الله فى التاسعة من عمرها فتكون فى زمن الاسراء طفلة فى السابعة ، ولم يبت رسول الله وقتيلة ليلته تحت مرافبة عائشة النى لم تكن زوجه وقتيد ولا مرافبة غيرها من آل أبى بكر حتى يكون من حقها أوحقه أن يقول مافقد حسد رسول الله!!

<sup>(</sup>١) حتى ان محاولة تقريب الاسراء من الأذهان وإثبات امكانه بأمثلة من مكتشفات العلم فى العصرالأخير ، كما توسل اليه أيضا مؤلف «حياة محه» \_ وحكاه فضيلة الأستاذ المراغي في تعربه به به المكتاب من غيرتكير بل بهىء من الاعجاب \_ بعد ان توسل بوسائل كثيرة أخرى في انكار المعجزات الكونية ، مماينقس من خطورة هذه الحادثة لدرجة تنزيلها من السهاء الى الأرض وتعتبر عندى نزعة من نزعات انكار المعجزة، ورد مالا يمكن انكاره من حادثاتها الى أحضان العلم الطبيعى ببني كل من عادثاتها الى أحضان العلم الطبيعى بالمعجزة مايكون فوق الطبيعة سببا وعلما فلا يوجد لها سبب من الطبيعة ولا طريقة من العلم، بالمعجزة مايكون فوق الطبيعة سببا وعلما فلا يوجد لها سبب من الطبيعة وغيرها على السواء فعلى واعما مناها الطبيعة وغيرها على السواء فعلى عنده المناه الطبيعة وغيرها على المعجزة اتى هي من خواص النبوة لكان التقدم في العلم يصسعد بالعالم الى ان يجعله نبيا من الأنبياء وليس هذا من خواص النبوة لكان التقدم في العلم يصسعد بالعالم الى ان يجعله نبيا من الأنبياء وليس هذا من خواص النبوة لكان التقدم في العلم يصسعد بالعالم الى ان يجعله نبيا من الأنبياء وليس هذا مذهبنا بل مذهب القائلين بالنبوة المكتسبة الراجع الى نفي النبوة الحقيقية والذى سبق منا المطاله من من حكان التقدم في العلم يصسعد بالعالم الى ان يجعله نبيا من الأنبياء والدى سبق منا المطاله المدهبة الراجع الى نفى النبوة الحقيقية والذى سبق منا المطاله من خواص النبوة المقائلية المناه المهاء الماء الماء

والدليل الثانى للمؤولين قوله تمالى: (وما جمانا الرؤيا التي أريناك الافتنة للناس) فيمبر عن الاسراء بالرؤيا. والجواب مافي صحيح البخارى ومسلم من قول ابن عباس رضى الله عنهما « ان هذه الرؤيا رؤيا عين أريها رسول الله لما أسرى به الى بيت المقدس كقول الراعى:

فَكَبَرَ للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفساكان قبلُ يلومها وقول المتنبي :

مضى الليل والفصل الذى لك لا يمضى ورؤياك أحلى في الميون من الغمض فيم الميم انه قد يقال للرؤية في اليقظة رؤيا اذا وقعت في الليل . فان اعترض على الاستشهاد بقول المتنبي والراعى في اللغة فلا كلام على الاستشهاد بقول ابن عباس ولى في المسألة رأى آخر وهو ان النزاع على فرض وقوعه بين الصحابة في الرؤيا الذكورة في الآية ، يلزم أن يكون راجما الى مابعد الاسرا، من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى المنصوص عليه في صدر السورة ، فتكون الحادثة مفترقة الى قسمين وعكننا أن نسمى القسم الأول الاسراء كا سماه الله والقسم الشاني المراج كا وقع في الرواية عن معاوية . والأول ثابت بالمكتاب والثياني بالحديث المشهور ، والرؤيا المنزاء الذكورة في الآية الثانية على أى معنى كانت ، راجعة الى هذا القسم الذي وقع في ذيل الاسراء المذكور في الآية الأولى لا الى الاسراء نفسه والا فكيف عكن بعد ان قيل بأجلي صراحة توقط النائم عن نومه والفافل عن غفلته : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركناحوله لمريه من آياتنا) ان يقال في آية أخرى ان حديث الاسراء كان رؤيا منامية ؟!

ولا يصعب فهم ماذهبنا اليه من تفريق المسألة الى قسمين وجعل الرؤيا راجعة الى القسم الثانى ، من لفظ ابن عباس : « ان هذه رؤيا عين أريها رسول الله لما أسرى به الى بيت المقدس » حيث جعل الاسراء ظرفا للرؤيا ولم يجمل الرؤيا ظرفا للاسراء ،

فيكون الخلاف في الرؤيا الواقعة في الاسراء الذي لاخلاف فيه ، فابن عباس لا يرضى أن يكون عروج رسول الله عند الله الساوات ورؤية مارآه فيها ليلة أسرى به الى السجد الأقصى ، وهو الذي عبرنا عند بالقسم الثانى من واقعات تلك الليلة \_ حالة منامية كا لم يكن الاسراء الى المسجد الاقصى الذي هو القسم الاول حالة منامية ؟ وعلى قول معاوية في الرواية الضعيفة عنه يكون الاسراء عيانا وما بعده رؤيا صادقة ، والا فليس لمعاوية ولا لأى مسلم يفهم الكلام العربي ويفقه الفرق بين أساليب الالقاء أن يتردد في تصديق كون الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى المصرح به في أول السورة المساة به ، واقعة عيانية . فاذن لابد أن تكون رواية الرؤيا عن معاوية اما محمولة على مابعد الاسراء أو مكذوبة عليه. وهكذا نعتبر كل رواية في تفسير الحادثة تخالف نص القرآن ، مرفوضة

وحمل الرؤيا في الآية الأخرى على الحالة المنامية كما ينافي الصراحة الرائمة للآية الاولى يتنافى أيضا مع ماذكر في آية الرؤيا نفسها من جمل تلك الرؤيا فتنة للناس اذ الرؤيا المنامية مهما أمعنت في الغرابة لا تكون فتنة للناس . فلو كان نبأ الاسراء من أوله الى آخره رؤيا في المنام لم يلتئم أول الآية التي ذكر فيها الرؤيا مع آخرها ، وقد روى أن حكاية النبي عليات ماجرى في ليلة الاسراء أثارت الدهشة في سامعيها من المسلمين والمشركين حتى كان بينهم من ارتد عن الاسلام استبعادا للأمم وذهب بعض من أخذتهم الريبة الى أبي بكر وحدثوه حديث النبي عليات فقال انكر بعض من أخذتهم الريبة الى أبي بكر وحدثوه حديث النبي عليات فقال انكر بعد أن اقتنع بأنه حديثه : « لأن كان قد قاله لقد صدق انه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السهاء الى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فاصدقه »

والعجب ان الكاتب الكبير الهندى الذى مر ذكره غير مرة والذى ألف فى عصر ناكتابا فى السيرة قيما جدا اذا قسناه بكتاب معالى هيكل باشا وجدنا مسافة الفرق

الفرق بينهما أكثر من مسافة الفرق بين كتاب مماليه وبين كتاب واحد من المستشرقين في هذا الموضوع ، وخص مجلدا كبيرا من مجلداته وقد قسم هذا المجلد في الترجمة التركية الى مجلدين \_ بحياة نبينا الروحانية أعنى معجزاته ؛ العجب ان هذا الكاتب (١) مع عدم تردده في وجود معجزات له عينية غير القرآن وقد أحصاها في المجلدين المذكورين من كتابه ومع عدم تردده في كون الاسراء واحدا من أعظم تلك المعجزات؛ اختار مذهب الرؤيا فيه مطلقا أو على الاقل لم يكن واضحا في التفريق بين قسميه اللذين ذكرناها واللذين أحدها ثابت بالكتاب يكفر منكره والثاني ثابت بالسنة المسهورة . ثم أجاب عن الاعتراض على هذا المذهب به حدم معقولية كون الرؤيا فتنة للناس لدرجة ان مسألة الاسراء سببت ارتداد طائفة من المسلمين الذين كنوا أسلموا قبلها ، أجاب عن هذا الاعتراض بعدم قبول رواية الارتداد مع مافيها من امتياز أبي بكر رضي الله عنه بالمسارعة الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم حتى السه بالصديق

وأنا أقول فلنسلم ان هذه الروايات مختلقة عن آخرها ، ولكن ماذا نقول في تصريح آبة الرؤيا بكونها فتنة للنساس ؟! فلا بد أن تكون هناك بالنظر الى نص القرآن فتنة ان لم تكن للمسلمين فللمشركين باثارة استبعادهم وانتهازهم فرصة امتحان الرسول بأسئلة عن القدس والمسجد الأقصى وعن الطريق بين البلدين. ولا يمقل ان تكون الرؤيا المنامية داعية الى أعظام الأمر لحد أن تجمل فتنة للناس بأى وجه كان ، فإن أجاب أخونا الفاصل المذكور باحمال ان يكون الشركون لم يظنوها رؤيا ، فمن المستبعد جدا أن يظنوا ماحدهم رسول الله على انه رؤيا ، عيانا وليس بمجد لذلك ان تعد هذه الاعتراضات عقلية ، فهى عقلية مبنية على أساس نقلى هوكون القرآن صرح بأن الله جمل الرؤيا التي رآها رسوله فتنة للناس ، فنحن لامحالة مضطرون الى الأخذ بقول ابن عباس في الرؤيا كيلا يكون لآية الرؤيا نفسها معنى

<sup>(</sup>١) أو بالأصح متم كتابه بعد وفاته وهو الفاضل سليان الندوى

مختل غير معقول، فيكون لفظ الرؤيا حقيقة في معنى الرؤية مطلقا ويكون قول ابن عباس أو استعال القرآنبالذات شاهدا لغويا يجب إكال مافى المعاجم من النقص توفيقا له، أو يكون استعال الرؤيا في معنى الرؤية استمالا مجازيا خاصا بالرؤية لبلا كاذهب اليه بعض المفسرين وكما وقع في شعر المتنبي المهار الذكر

\*\*\*

ثم ان هذا المؤلف الفاضل عقد للمعجزات ٣١ فصلا وذكر في الفصل الرابع عشر الذي خصصه مع الفصل الثالث عشر لمعجزة الاسراء، أسرارها وأحكامها وبشائرها ونعمها ومناداتها مجيدا في الذكر ومفيدا غاية الاجادة والافادة فكاد يطبق سورة الاسراء التي في القرآن الكريم من أولها الى آخرها على واقعة الاسراء وما تضمنته من الأسرار والأحكام. ونحن نذكر ما يمكن ذكره في بعض صفحات مما خصص له المؤلف ٢٥ صفحة . فني سورة الاسراء:

- ١ اعلان كونه وَيُطَالِّيْهِ نِي القبلتين
- اشارة الى انتهاء ولاية اليهود وجراستهم القدس وتفويض ذلك الى آل
   اسماعيل
- اشارة الى انهاء دور الوعظ والنصح لكفار قريش واقتراب دور العداب
   منهم، باخراج الرسول من بينهم مهاجرا
  - ٤ الأحكام والوصايا في المعراج
  - الأمر بالصلاة والاشارة الى أوقاتها الخسة
- (۱) فقى معجزة الاسراء والتنويهبه فى مطلع السورة المسماة باسمه ، مناداة النبى والمنتقلة وإعلانه نبى القبلتين : فقد كان سيدنا ابراهيم أعطى ولاية الأرض المقدسة فقسمها بين إبنيه : شبه جزيرة العرب وفيها مكة لاسماعيل ، وسوريا وفيها القدس ( ۳۲ القول الفصل )

لاسحق ، فتعهد القدس بنو اسرائيل الذي هو لقب يعقوب بن اسحق وفيهم أنبياء بني اسرائيل من يوسف الى عيسى عليهم السلام . وتعهد مكة بنو اسماعيل ، وكانت قبلة بني اسرائيل بيت المقدس وقبلة بني اسماعيل الكعبة فجمع في نبينا ميراث ابراهيم المنقسم بين نجليه! فلذلك صلى الى القبلتين بعد أن فرضت الصلاة، ولذلك أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وصلى فيه بالأنبياء فأعلن كونه نبى القبلتين، وفي هذه الليلة فرضت الصلاة كما انه أشير الى أوقاتها الخمسة في سورة الاسراء نفسها

(۲) كانت سورة الاسراء ترات بحكة . ولما أنه ليس لرسول الله اتصال باليهود في مكة لم يكن القرآن يخاطبهم ، فخاطبهم أول مرة في هذه السورة اشارة الى افتتاح دور جديد في الاسلام باقتراب الهجرة الى المدينة وتأسس المناسبة فيها بين المسلمين واليهود ، فذكر ان اليهود الذين أوتوا التوراة هدى لهم تُفيي البهم أنهم ليفسدن في الأرض مرتين بغياً وعتوا وليجزون بسوء أعمالهم . فني المرة الأولى سلط عليهم الأرض مرتين بغياً وعتوا وليجزون بسوء أعمالهم . فني المرة الأولى سلط عليهم الثانية سلط عليهم الرومانيون فقت لوهم وخربوا ديارهم . ثم بعد مبعث محمد عليات الثانية سلط عليهم الرومانيون فقت لوهم وخربوا ديارهم . ثم بعد مبعث محمد عليات أعطاهم الله فرصة التوبة للمرة الأخيرة: فإن تابوا وأطاعوا الرسول فالله يرجمهم ، وإن عادوا الى المعاصي عاد الله الى العقوبة . فإن لم ينهزوا الفرصة فسيحرمون نهائيا حراسة عدوا الى المعاصي عاد الله الى العقوبة . فإن لم ينهزوا الفرصة فسيحرمون نهائيا حراسة بيت القدس و يجمع ميراث اسرائيل الى ميراث اسماعيل فيتولاها الذبي عربيات عربيات القدس و يجمع ميراث اسرائيل الى ميراث اسماعيل فيتولاها الذبي عربيات المربيات القدس و يجمع ميراث اسرائيل الى ميراث اسماعيل فيتولاها الذبي عربيات المربيات القدس و يجمع ميراث اسرائيل الى ميراث اسماعيل فيتولاها الذبي عربيات القدس و يجمع ميراث اسرائيل الى ميراث اسماعيل فيتولاها الذبي و قدا لهي القرآن :

(وآ تينا موسى الكتاب وجملناه هدى لبنى اسرائيل أن لاتتخذوا من دونى وكيلا. ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكورا. وقضينا الى بنى اسرائيسل فى الكتاب لتفسدُن فى الأرض مر تين ولتعلن علواً كبيرا. فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا .ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددنا كم بأموال وبنين وجعلنا كم أكثر نفيرا. إن أحسنتم

أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجدكما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا. عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدما وجملنا جهنم للكافرين حصيرا)

(٣) وفي هذه السورة أيضا إندار نها في اكفار قريش فقد كانوا يستعجلون النبي وفي هذه السورة أيضا إندار نها في الكفار قريش فقد كانوا يستعجلون النبي والمداب تمرداً عليه ، فأنبئوا ان الله لايمذب قوما حتى يبعث اليهم من يهديهم الى صراط الله وحتى ييأس الهادى من اجابتهم الدعوة وفي هذه الحالة يُرى اتفاق المترفين والمستكبرين على اسكات الحق وخنق صوته، ويكون الذين ينحازون اليهم الواثقين بقوتهم وثروتهم والمنحازون الى الهادى هم الضمفاء والفقراء كما وقع المنبي الواثقين بقومه . فكانت الحالة مؤذنة بقرب مجيء الأمر للنبي ومن معه بالهجرة وانزال العذاب على الباقين . وفي هذه السورة اشارة الى كل هذا ، حتى ان فيها تبشير المؤمنين بفتح مكة بعد الهجرة وزوال نعمتي الاشراف عليها وحراسة الكعبة من أيدى كفار قريش وانتقالها الى المؤمنين ، انظرالى قوله تعالى :

(ان هذا القرآن يهدى التي هي أقوم ويبشر المؤمنيين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا ألها . ويدع الانسان بالشر دعاء بالخير وكان الانسان مجولا) وقوله (وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه وتخرج له يوم القيامة كتابا يلقاء منشوراً. اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا. من اهتدى فأعا يهتدى لنفسه ومن ضل فأعا يضل عليها ولانزر وازرة وزر أخرى وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا . واذا أردنا أن تهلك قرية أمرنا مترفيها فقسقوا قيها فحق عليها القول فدمر ناها تدميرا . وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكني بربك بذنوب عباده خبيراً بصيرا) وقوله (وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا . سنة من قدأرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) وقوله (وقل رب أدخلي مدخل صدق وأخرجي

مخرج صدق واجمل لى من لدنك سلطانا نصيراً . وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً )

فكا أن في نبأ استفزازهم النبي عَلَيْكَ ليخرجوه من أرضه وتلقينه الدعاءالخير في مدخله ومخرجه ، اشارة واضحة الى اقتراب هجرته من مكة ، فني ذكر عدم ابشهم فيها بعد خروجه منها الا قليلا وتعليمه أن يسأل السلطان النصير له من عند الله في مدخله ومخرجه ، ثم يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، اشارة الى اقتراب موعد الهلاك من كفار قريش والنصر للمؤمنين عليهم وفتح مكة ، حتى ان النبي عليهم الدخل مكة فاتحا وطهر الكعبة من الأوثان قرأ هذه الآية من سورة الاسراء النازلة في مكة قبل الهجرة أعنى : ( وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا )

(٤) ان الله تمالى دعاعبده الخاص الى لقائه الأقدس لتولية الكمبة وبيت المقدس وأوصاء الوصايا الآتية كشروط التولية :

(لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا. وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إله وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدها أو كلاها فلا تقل لها أف ولا تنهرها وقل لها قولا كريما . واخفض لها جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كا ربيانى صغيرا . ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للا و ابين غفورا . واستذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا . ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا فتقعد ملوما محسورا . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا أولاد كم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيا كم إن قتلهم كان خطئا كبيرا . ولا تقتلوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله

الا بالحق ومن قتل مظاوماً فقد جعلنا نوليه سلطاناً فلا يسرف فى الفتل إنه كان منصورا . ولا تقربوا مال اليتم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا . وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك حبير وأحسن تأويلا . ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها)

ثم قال (ذلك ممــا أوحى اليك ربك من الحكمة ) كما قال فى سورة النجم بعــد قوله : ( ثم دنى فتدلى فـكان قاب قوسين أو أدنى : ( فأوحى الى عبده ماأوحى)

والوصايا المذكورة فى الآيات التى كتبناها اثنتا عشرة وصية جامعة لأسس الخير والشر فى الدنيا . يقول المؤلف : « وهذه الأوامر الالهية تكملة الأوامر العشرة التى تلقاها سيدنا موسى من ربه فى الطور » ثم ذكر الأوامر العشرة هكذا :

لااله لكم غيري

لأتحلفوا كاذبين

اذكروا يوم السبت

احترموا الوالدين

لاتسفكوا الدماء

لأزنوا

لاتسرقوا

اجتنبوا شهادة الزور ضد جيرانكم

لاتطمعوا في امرأة جاركم

لايضلكم مال جاركم

وفي السورة اشارة أيضا الى الصلوات الخمســة التي فرضت في ليلة الاسراء وهي

قوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر) أى أدمها من وقت زوال الشمس الى اجماع ظلمة الليل ، وليس المراد اقامتها فيها بين الوقت ين بالاستمرار بل اقامة كل صلاة في وقتها الذي حدد لها ببيان جبريل ، كان أعداد ركعات كل صلاة موكولة الى بيانه . فيدخل فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء . ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهي في أوقات العملاة من غير فصل بينها لما أن الانسان يكون فيا بين هذه الأوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض ، مخلاف أول وقت العشاء والفجر فان الاستفال فيا بينهما بالنوم يقطع أحدها عن الآخر ، ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الأوقات . والمراد بقرآن الفجر صلاة الفجر سميت به لكونه ركنها كاتسمى الصلاة بالركوع والسجود تسمية الكل باسم الجزء ، ومن السنة اطالة القرآن في صلاة الفجر

بق ان تقول: من المجب اختيار أخينا الفاضل الهندى متمم السيرة الذى كشف اللثام بمهارة عن أسرار ليلة الاسراء وأحكامها ، كون الاسراء نفسه حالة منامية، وهو لا يفرق بين الاسراء والمعراج وانحا يعتبرها حادثة واحدة مذكورة باسمين ، أليس عجيبا أن تكون تلك الأحكام الجامعة لأسس الحير والشر الآمرة ببعضهما والناهية عن الآخر ، أوحيت في الرؤيا حتى الصلوات الخمس أيضا فرضت في المنام !! وانكانت رؤيا النبي عليه المرة لا تقاس برؤيا غيره ونومه بنوم غيره ، فهل سورة الاسراء أيضا التي طبق الكاتب معظم آياتها على حادثة الاسراء نزلت في المنام على خلاف سور القرآن الأخرى ؟ ! فالحق ان المعراج أيضا ونعني به مابعد الاسراء لم يكن حالة منامية وقد فسر نا به قول ابن عباس في تفسيرقوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الافتناة للناس) كالااحتمال أصلا لأن يكون الاسراء حالة منامية

وهنا انتهينا بحمد الله عن الـكلام في مسألة المعجزات . ونريد الآن أن نتكلم في مسألة البعث بعد الموت ، فنقول ومن الله التوفيق والهداية الى القول الحق :

#### مسألة البعث

لمنكرى البعث بعد الموت ، وربحا يقال عهم منكرو الحشر ، صورتان للا نكار وطريقتات توصلانهم اليه . فالصورة الأولى إنكار الحشر بالمرة جسمانيا وروحانيا وهو مذهب الفلاسفة الالهيين أى المعترفين بوجود الله . وقد أنكرها الحسمانى فقط وهو مذهب الفلاسفة الالهيين أى المعترفين بوجود الله . وقد أنكرها الأستاذ فريدوجدى لما أنكر البعث بعد الموت قبل تولى الوظيفة الأزهرية . وفى الأيام الأخيرة التى أخذ يعترف بالآخرة فى مجلة الأزهر اعترافا يختلسه أثناء كلاته من غير المام الى انكاره القديم بشىء من الندامة والرجمة ، لابد أن يكون اعترافه مصروفا الى الحشر الوحانى ، لكون هذا الاعتراف المختلس حدث منه بعد نزوعه الى مذهب الروحيين من علماء الغرب القائلين بوجود الروح ، وليبقى على الأقل أدنى رابطة بين قوله الحديث وقديمه الذى لم يعترف الى الآن بخطأه فيه ، فلا يكون الأستاذ ويدوحدى المقر كأنه غير الأستاذ المنكر تماما

ومذهب الاسلام الجزم بوقوع الحشر وتحقق عالم الآخرة عندمجي، وقته جسمانيا وروحانيا معاً، لأن كتاب الله صريح بهذا الصدد لايكون وراءه صراحة ويكون انكار الحشر الجسماني بمد تلك الصراحة بل الصراحات انكاراً للقرآن ، ولذا أفتى علماؤنا بكفر الفلاسفة القائلين بالحشر الروحاني فقط . أما رد الأستاذ فريد وجدى جميع آيات القرآن الواردة في البعث والحشر وما يلاقيه الانسان في نشأته الآخرة ، الى المتشابهات التي لا تفهم معانيها فليس انكاراً للقرآن فقط ، بل انكاراً أيضا لما في بدائه المقول وهو كون تلك الآيات مفهومة واضحة المعاني (١)

<sup>(</sup>۱) نعم نحن عارفون بكون مراد الأستاذ ان تلك الآيات متشابهة غير مفهومة المعانى لاستحالة وقوع تلك المعانى المفهومة الحخالفة لسنن الكون وللعلم الحديث المثبت الذى سبق ان جعل له الأستاذ الدولة فى الأرض . وإذا كان ذلك مراده لاات تلك الآيات لايفهم منها معنى من المعانى ، كان معنى الرد الى المتشابهات تكذيب القرآن فى تلك الآيات لاسيا فى قوله تعالى مشلا ( أو لم يرو أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يمى مخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى ) وقوله ( فلينظر الانسان

وأما مايرى فى بعض كتب أصول الدين عند تعداد المذاهب فى المعاد من أن مذهب جمهور المتكلمين المعاد الجسمانى فقط، فليس معناه حشر الأجساد خالية عن الحياة الذلام عني الله و وعدا المدهني المعنى الله و وعدا المدهني الله و وعدا المدهني المبدن المعنى الله و وعدا المدهني عبرة عن البدن، فهى عندهم عرض قائم بالبدن فلا حاجة فى مذهبهم الى اعادة الروح لكون اعادة البيدن تنضمن اعادتها . لكن المحققين من المتكلمين كالحليمي والغزالى والراغب وأبي زيد الدبوسي قائلون بوجود الأرواح وحدوثها مع الأبدان وهو مذهب ارسطو وابن سينا \_ ثم بقائها بعد مفارقة الأبدان الى أن تعاد لها أبدان تتلاءم مع النشأة الثانية ، وهذه الأرواح هي المرادة من الأجزاء الأصلية المحقوظة للانسان كافى النشأة الثانية ، وهذه الأرواح هي المرادة من الأجزاء الأصلية المحقوظة للانسان كافى «تهافت الفلاسفة » خواجه زاده . وبهذا تنقذ مسألة المعاد عن لزوم اعادة المعدوم بعينه التي يدعى منكروها استحالتها بل بداهة استحالها

وقوله نعالى (كل شيء هالك الا وجهه) ليس بقطعي الدلالة على هلاك الأرواح مع كل شيء هالك لا حمال أن يكون معناه هلاك كل شيء سوى الله حمى في حال يجوده لكونه ممكنا يحتاج في وجوده الى من يوجده وهو الله ، فلا وجود لما سوى الله لذاته وكني بذلك هلاكا . والهلاك بهذا المعنى يشمل الأرواح أيضا الباقية بعدالموت

وجمهور المتكلمين القائلون بجواز اعادة المدوم بعينه يستدلون بهذه الآية على فناء الأرواح مع الأبدان ويجعلون الحشر بالاعادة لا بجمع الأجزاء المتفرقة التي لامدخل لهافى تعيين هوية الانسان وضمها على الأجزاء الأصلية المحفوظة. وهو أي جمع الأجزاء مذهب المحققين المتفقين مع الفلاسفة في عدم تجويز اعادة المعدوم بعينه

ومع كون مذهبهم أسلم من النقاش ، ولامانع عندى من اختياره ، فلي بحث في

مم خلق خلق من ماء دافق یخرج من بینالصلب والترائب آنه علی رجعسه لقادر ) وقوله (وهو الذی یبدأ الحلق ثم یعیده وهو أهون علیه ) بناء علی أن قدرته تعالی لاتتعلق بالمستحیلات وهذه الآیات تصر علی دعوی کون الله قادراً علی بعث الموتی الذی هو مستحیل عندالأستاذ

دعوى استحالة اعادة المعدوم التي انتصبت مشكلة قديمة امام مطلب الحشر الجسماني (١) وليس معناها أن قدرة الله لاتسع ايجاد نشأة ثانية للانسان في عالم ثان كما خلقهم في حياة الدنيا ، وأنحــا الــكلام في امكان أن يكون أشخاص الناس المعادون في النشأة الثانية عين الأشخاص الذين عاشوا في الدنيا وعملوا أعمالا يحاسبون علمها ويجزون بها في نشأتهم الثانية ان خيراً فخير وان شراً فشر ، وأن لا يكون الجزي غير العامل، فهل يمكن عقليًا حفظ هذه العينية الأولى في الخلق الثاني أو يستحيل ذلك عقلا ؛ وان كان لامحل للكلام بين العقلاء المعترفين بوجود الله وقدرته على المكنات ،في قدرة الله على خلق الخلائق سواء في النشأة الأولى أو في النشأة الثانية . فعلى المسلم المتعلم غير المقلد في دينه وعقيدته أن يطمئن الى كون ذلك ممكنا ككل مايدخــل في عقيدته من متماقات قدرة الله المشروطة بامكانها في حد ذاتهــا ، مع تثبيت معــنيالامكان في ذهنه على الوجه الصحيح العلمي، وإنى لا أقصد بالعلم علم الملاحدة الحــديث الذي يرى مالايدخل تحت التجربة الحسية مستحيلاً كاحياء الموتى لأن ذلك العلم لايميز المحال من المكن بمقياسه الصغير الذي هو التجربة الحسية والذي بهذا القياس أيضا لايعترف بوجود الله، وكانالأستاذ فريد وجدى حين أنكر معجزات الأنبياء والبعث بمدالموت أنكرها بناء على مقياس العلم المذكور

فشكلة الحشر الجسماني في العلم الحديث غيرها في العلم القديم (٢) بل هي في العلم الحديث ليست بمشكلة أصلا وانحا عبارة عن كون أصحاب ذلك العلم أو بالأصح بعض أصحابه الذين هم الملاحدة الضالون في حدود علومهم عن سبيل العقل ، التبس عليهم عدم وقوع الحشر والبعث بعد الموت فعلاحتي الآن ، بعدم امكان ذلك أبديا فظنوا الهم - ولا دليل عندهم غير التجربة - بتجربتهم للماضي جربوا المستقبل أيضا . أما

<sup>(</sup>١) حتى انك ترى الصدر الشيرازى صاحب « الأسفار الأربعة » يتشدد في تعييب المتكلمين لقولهم بجواز اعادة اللعدوم بعينه وينحى عليهم باللوائم البذيئة

<sup>(</sup>٢) ولذا قلنا في صدر هذا المبحث ان لانكار الحشر من منكريه طريقتين توصلانهم اليه

مشكلة اعادة المعدوم بعينه بعد الاعتراف بوجود الله وقدرته على خلق الخلائق للدنيا والآخرة ، أى المشكلة القديمة المتولدة من دعوى عدم امكان أن يكون المخاوق أنياً عين المخلوق أولا الذى هو صاحب العمل الصالح أوالعمل السيئ ، فأقوى أدلة المدعين على عدم هذا الامكان أن الماد لوكان عين المبتدأ لزم تقدم الشيء أعنى المبتدأ على نفسه أعنى المعاد ، ذلك التقدم المحال الذى هو مرجع بطلان الدور . فاذا قيل لهم اعتراضا على دليلهم هذا ان الانسان في العشرين من عمره مقدم على نفسه في الأربعين ، بل ان مثل هذا التقدم يحصل له بين أمسه ويومه ، أجابوا بأن هذا لايضر لعدم تخلل العدم بين المقدم والمؤخركما تخلل بين المبتدأ والمعاد

والحق عندي ان المانع من الاعادة ان كان لزوم تقدم الشيء علىنفسه فهوواقع فى رجل واحد بالنسبة الى زمانيه فى حياته الدنيا ، ولا نسلم بكون تخلل العدم بيين المقدم والمؤخر وعدم تخلله فارقاًمؤثرا في الجواز وعدم الجواز، لأنه اذا كان معنىعدم جوازدخول المدم بين الشيء ونفسه انه لايجوز أن يكون الشيءموجوداً ثمّ معدوما ثم موجودا في أزمنة مختلفة فمــا المــانع من ذلك ؟ وهــل الله غير قادر أن يخلق مرة ثانية أحدا من الذين خلقهم ثم أرداهم ؟ ومن أين يجب أن يكون كل ما يخلقه في المرة الثانية خلقا آخر غير الأولين ؟ ومن أن يلزم فما خُلق ثم عُدم ثم خلق ثانياً ، أنيبقي فى حال عدمه شيء منه ليكون حلقة اتصال بين وجوديه وان لايمكن خلقه بعينه من دون ذلك ؟ حتى أنهم تصوروا امكان اعادة المعدوم في مذهب المعتزلة فقط القائلين بأن هويات المعدومات المكنة متمايزة ثابتة في المدم ثبوتًا منفكًا عن الوجود الخارجي، لولا ان ذلك المذهب باطل. ولكن لمــاذا يحتاج خالقه ثانيا الى بقاء مثل هذ. الوسائط؟ أَلئلا يخطئ عنــد الاعادة فيخلق خلقا آخر على ظن أنه عين المخلوق الأول؟ فهــل لا يكفيه لئلا يخطئ في الخلق بقاء المخلوق الأول بعدعدمه في علمه ؟ ومنشأ المشكلة وهم أتمجب غاية التعجب من تعلقــه بأذهان الناس وفيهـــم أعاظم العــقلاء مثــل الشيخ الرئيس ابن سينا وكثير من محقق التكلمين المتأخرين وكلهم لايستنكفون عن الاعتراف بوجود الله وسعة قدرته . أما شتم صاحب الأسفار لجمهور المتكلمين بسبب هذا الوهم الحاصل فيه وفى قادته فشىء لا يكفيه التمجب

وتوضيح الأصان تقدم الشيء على نفسه باطل لاشك فيه كما في الدور الباطل وكذا دخول العدم بين الشيء ونفسه لكن لاشيء في اعادة المعدوم بعينه من التقدم والدخول المذكورين الباطلين كما اله لاتقدم ولا تأخر بين الانسان ونفسه بالنسبة الى زمانيه في الدنيا لأن المين والنفس في الصورتين ليسنا عينا ونفسا من كل وجه ، بل المقدم غير المؤخر فيهما بقيد معتبر في كل واحد من الطرفين يجعله غير الطرف الآخر ويجعل تقدم المتقدم على المتأخر ممكنا . فزيد الذي في عالم الآخرة المثاب في الجنه أو المعذب في جهم وزيد الذي كان في الدنيا غيران طبعا ، مهما كانا ذاتا واحدة كما يقال الاثنان غيران ، فلا يكون تقدم زيد الدنيوي على الأخروي تقدم الشيء على نفسه . الاثنان غيران المذ كوران غيرين لوجد هذا في دنياه نعيم الجنان أو عذاب جهم ووجد ذاك في الجنة أو النار حالات كونه في الدنيا، وهذا مستحيل كاستحالة وجود رجل واحد في آن واحد في دارين مختلفتين . وكذا الانسان في شيخوخته غيره طبعا في شبابه، والا كان شيخا وشابا في زمان واحد وهو محال

فظهر من هذا ان الزمان بل المكان أيضا داخل فى مشخصات الأشخاص وان دخوله لا يمنع الحشر الجسمانى على طريقة اعادة المعدوم بمينه التى فى مذهب جمهور المتكامين ، كما زعمه خصوم هذا المذهب لان المطلوب فى كون المعاد عين المبتدأ ليست المعينية من كل وجه المستحيلة والمستلزمة دخول العدم بين الشيء ونفسه أو تقدم الشيء على نفسه بل يكفى وجود الاتحاد الذاتى بين المبتدأ والمعاد على وجه يصح بينهما الحمل بهو هو وان تغايرا من حيث ان المبتدأ متقدم الوجود على المعاد ، لكن لا يمنع هذا التقدم وهذا التناير كون المتأخر عين المتقدم ومتحدا معه من حيث الذات، كالا يمنع

التقدم والتغاير بين زيد الشاب وزيد الشيخ كونهما ذانا واحدة . والفرق بين كون زيد رجلا واحدا في شبابه وشيخوخته وبين كون زيد المعاد في الآخرة متحد الذات مع زيد السابق في الدنيا، لدخول العدم بين زيدين في الصورة الثانية وعدم دخوله في الصورة الأولى ، ليس بفارق معتد به لأنه اذا أمكن دخول التقدم والتأخر بين الشيء ونفسه يمكن دخول العدم أيضا، والتقريق بين الدخولين في الامكان وعدم الامكان عكم لا يمكن اثباته من مدعيه . والسبب في امكان دخول التقدم والتأخر بين الشيء ونفسه فيا أمكن أن المتأخر ليس عين المتقدم من كل وجه فهما غيران مع الاتحاد الذاتي كما أوضحنا من قبل، وإذا كانا غيرين جاز أن يدخل بينهما العدم أيضا كا دخل التقدم والتأخر

ولقد أخطأ العلماء المحققون الذين لم يجيزوا اعادة المعدوم عا كمين باستحالة تقدم المبتدأ على المعاد مع كونهما ذانا واحدة، قياسا على استحالة تقدم الشيء على نفسه الذي في الدور المحال ، أخطأوا في حكمهم هذا وقياسهم لان هذا التقدم الذي في الدور يتضمن التناقض بان يكون الشيء موجودا قبل وجوده . ولا تناقض في تقدم زيد الذي في الدنيا على نفسه في الآخرة ، وسبب الفرق بينهما ان الشيء مع نفسه في الدور نفسه من كل وجه ولا مغايرة بينهما أصلا، بخلاف تقدم المبتدأ على المعاد . فلاتناقض فيه، فدار الاستحالة والامكان على وجود التناقض وعدم وجوده، فدخول التقدم بين الشيء ونفسه محال في الدور لاستلزامه التناقض وكذا دخول العدم محال فيه ، ممكن الشيء ونفسه محال في اعادة الموجود في الدنيا الى الوجود الثاني في الآخرة بعد المدم ، اذ لا تناقض أيضا في دخول العدم بين زيد في الدنيا وزيد في الآخرة كاكان دخوله في الدور موجبا للتناقض : فاذا قلنا ان حركة المفتاح متوقفة على جركة اليد لا يجوز أن المدور وحركة اليد متوقفة على جركة اليد لا يجوز أن المدور وحركة اليد متوقفة على جركة اليد لا يجوز أن المدور وحركة اليد متوقفة على حركة المفتاح لكونه دورا ، وذلك لان القول الأول

يتضمن تقدم حركة اليدعلي حركةالفتاح تقدم العلة على معلولها، والقول الثاني يتضمن ثقدم حركة المفتاح على حركة اليد بأن تكون حركة المفتاح علة لحركة اليدكما كانت حركة اليد علة لحركة الفتاح، فتكون حركة اليد متقدمة على المتقدم علمها وهو حركة المفتاح، والمتقدم على المتقدم على الشيء متقدم على الشيء فيلزم تقدم الشيء على نفسه أي يلزم وجوده قبل أن يكون موجودا وهو تناقض مستلزم لوجوده وعدم وجوده مما في آن واحد . ولا تناقض في وجود زيد في الدنيا قبــل وجوده في الآخرة ولا في وجوده في الدنيا شابا قبـــل وجوده شيخا لعدم كون كل من الوجودين المتقدمين علة للوجودن المتأخرين ولا الوجودين المتأخرين علة للوجودين المتقدمين، والشُّموجدها متقدمين ومتأخرين ولان زمان المتقدم ومكانه مختلفان عن زمان المتأخر ومكانه أو على الأقل زماناهما مختلفان ولهذا أمكن هذا التقدم والتأخر بين الوجودين ولم يضرا بمسألتنا بــل نفعاها حتى لو كان زيد في زمان وجوده في الدنيا ومكانه فيها موجودا أيضا في حنة الآخرة أو جحيمها كان محالا، وسبب الاستحالة على هذا التقدير ليس التقدم والتأخر بل كون الواحد اثنين، وكذا لو كانزيدشابا وشيخا في زمان واحد. ولنذكر مثالًا ثانيا لتقدم الشيء على نفســه في الدور المحال لنزداد ما يقابله من التقدم المكن وضوحا : مثلا يصح القول بأن الدجاجــة تخرج من البيضة ويصح القول أيضا بإن البيضة تخرج من الدجاجة ولكن لاصحة لقول القائل مشيرا إلى بيضة معينة ودجاجة معينة ان كلا منهما خرجت من الأخرى، اذ لا يمكن أن تخرج الدجاجة من البيضة التي باضها هي نفسها بعينها. فلا بد اذا كانت هـ ذه الدجاجة خرجت من البيضة كما خرجت البيضة من الدجاجة ، أن تكون تلك البيضة خرجت من دجاجة غير هذه الدجاجة، والا لزم تقدم هذه الدجاجة على نفسها وأن تكون موجودة قبل وجودها لتخرج منها البيضة التي خرجت هي أي الدجاجة منها وهو تناقض محال ودور باطل وصفوة القول في اتبات النشأة الأخرى أنها ثابتة ببلاغات صريحة محكمة من الله في الكتاب الذي أنزله على رسوله المؤيد رسالته بالمعجزات. فهذا دليه حدوث عالم الآخرة في المستقبل ووقوع ماورد بشأنها في كتاب الله فعلا وجسمانيا. ويلزم مع هذا الدليل النقلي مهما كان دليلا قطعيا أن يثبت امكان ذلك العالم بدليل آخر عقلي على معنى أن لا يوجد مانع عقلي من خلق هذا العالم بعد ثبوت وجود الله الذي تسع قدرته جميع المكنات والذي خلق الحياة الدنيا قبل الحياة الأخرى. وقد تيسر لنا الفراغ بحمد الله من اقامة هذا الدليل العقلي على امكان المعاد اما بالاستمانة من بقاء الروح بعد افتراقها عن البدن أو بتحقيق جواز اعادة المعدوم

ولنا أن نستدل على وجود النشأة الثانية للانسان بدليل «كانت» على وجود الله كا جملناه فيما سبق دليلا على وجود الأنبياء ترجيحا على كونه دليلا على وجود الأنبياء الدليل المذكور يقوم على وجود النشأة الثانية قبل أن يقوم دليلا على وجود الأنبياء في رأينا وقبل أن يقوم دليلا على وجود الله و دليلا على وجود الله في رأينا وقبل أن يقوم دليلا على وجود الله في رأينا وقبل أن يقوم دليلا على وجود الله في رأينا و دليلا على وجود الله في درأينا و دليلا على دليلا على وجود الله في درأينا و دليلا على دليلا عل

ولنا أيضا أن نقول في اثبات الحياة الثانية للانسان في عالم آخر إن كون الانسان غلوقا أو موجودا في غاية الأهمية لايتناسب قطعا مع كون وجوده مقصورا على حياته الدنيا القصيرة . فالذين يعتقدون ان الانسان فردا أو أمة يظهر في وجه الأرض مدة كا يظهر النبات ثم يغيب ويتلاشي أبدا ويُنسي كأ نه لم يكن موجودا ولا شيئا مذكورا، فهم قبسل كل شيء يحتقرون أنفسهم ويحتقرون عقولهم في ضمن احتقارهم أنفسهم وينكرون البعث بعد الموت بهذه المقول الحقيرة . أما ماقرأته قبل سنين في مقالة نشرت في جريدة «الاهرام» لواحد من الماديين من أنهم ينتظرون من رقى العلم في المستقبل أن يكتشف دواء لكل داء ويرفع الموت فيحصل للبشر الخلود ونعيم الجنان المستقبل أن يكتشف دواء لكل داء ويرفع الموت فيحصل للبشر الخلود ونعيم الجنان في الدنيا ، فيلا ينفع الذين ماتوا من أعاظم المقلاء وأكار المحسنين عملا الماضين والآتين قبل حلول ذلك الزمان المخيل، ولا يكون عزاء للمتخيلين أنفسهم فلا ينقذهم والآتين قبل حلول ذلك الزمان المخيل، ولا يكون عزاء للمتخيلين أنفسهم فلا ينقذه

من الاحتقار ولا ينقذ غيرهم من الضياع الأبدى

وأما استخراج خاود الروح من ثبوت وجودها بالكشفيات الجديدة ثم استخراج وجود عالم الآخرة من خاود الروح كما وقع للأستاذ فريد وجدى رئيس تحرير مجلة الأزهر في بعض تطوراته الجديدة ، من غير اسناد ذلك العالم الى نصوص القرآن لكونها عنده متشابهة لا تصلح دليلا لا ثبات أى مطلب — فاستخراج لا يخرج منه ما يصلح للدلالة على المطلوب ، لأن وجود الروح لا يستلزم خاودها ولا خلودها يستلزم وجود عالم الآخرة مطلقا فضلا عن وجوده في صورة جسمانية كماهو المعتقد في دين الإسلام مبنيا على منطوق آيات كثيرة جداً من كتاب الله محكمات

# خاتمة الأبواب الثلاثة المتقدمة

وهنا فى الكتاب الكبيركنا وضعنا نتيجة لمساعينا فى الأبواب الثلاثة السابقة التي هذا الكتاب الصغير مكوّن من ثالث تلك الثلاثة . وقد رأينا اثبات هذه النتيجة بمينها فى هذا الكتاب أيضا رجاء نفعها للقارئين الكرام :

رى من اللازم المفيد أن نسجل هذا ونحن فى مختم الباب الثالث من هدا الكتاب على نتيجة مساعينا فى الأبواب الثلاثة التى أثبتنا فى الباب الأول منها وجود الله وفى الثانث وجود الأنبياء وفى الثانى حدوث العالم، فلولا ماثبت فى البابين الأولين من وجود الله وحدوث العالم لاسيا وجود الله كما أمكن ايضاح كيفية وجود العالم ووضع فلسفة عامة لكيانه أولا ونظامه ثانيا . وملاحدة الماديين والطبيعيين فى عجز أم عن وضع هذه الفلسفة العالمية على الرغم من أنهم علما ، الطبيعة الذين احتكروا اسم العلم لما لايعلمون ، واختلافنا معهم أنهم يمترفون بوجود هذا العالم المحسوس الذى يعبر عنه بالطبيعة ولا يعترفون بموجود فيا وراءه . نم ، العالم المحسوس الذى هو عالم الطبيعة لايقف عند حد بل يزداد يوماعن يوم بكشف جديد من علماء الطبيعة فيظهر غداً وجود كثير مما لم يكن لنا بالأمس علم يوجوده ، وملاحدة الماديين فيظهر غداً وجود كثير مما لم يكن لنا بالأمس علم يوجوده ، وملاحدة الماديين

لاينكرون ذلك، لكنهم لا يعترفون بوجودمازاد على العالم المحسوس الا بعد ان ثبت وجوده بالتجربة الحسية التي بقوم بها العالم الكاشف، ولا يؤمنون بالغيب الذي نؤمن به، مادام غيباً خارجاً عن متناول الحس، وان شئت فقل: لا يؤمنون بشيء فيا وراء الطبيعة الا بعد أن أطلع عليه علم الطبيعة بتجاربه الحسية وألحقه بالطبيعة، فلا شيء عندهم فيا وراء الطبيعة ما بقي فيا وراءها. وهذا العالم الحسوس موجود عندهم من نفسه من غير موجد أنشأه ومالك يتصرف فيه ويمشيه على النظام الذي سن له. وقد قلنا في مقدمة الباب الاول من الكتاب الكبير انهذه البيوت والمنازل التي يسكنها الناس في المدن والقرى من قصور الماوك الى أكواخ الفقراء، اذا كان لابدلكل منها من بان فمن الذي بني السموات والارض ومن هو مالكها المتصرف فيها والمهيمن عليها وفاعل هذه الا فعال البديعة التي يتضمنها الكون ؟

فالذين لايؤمنون بوجود خالق الكون وواضع نظمه مثلهم كمثل المنكرين لوجود من بنى تلك البيوت والقصور القائلين بأنها مبنية من نفسها ماداموا لم يروا بانها وهو يبنيها . ونحن المؤمنيين بالغيب تحت إشراف العقل وارشاده نمترف عند رؤية البناء بوجود البانى وان لم بره . فالفرق بيننا وبينهم بسيط الى هذا الحد، فهل يسع الملاحدة أن يدّعوا امكان وجود بيت أو قصر من تلك البيوت والقصور التى هى صنع البشر، بنفسها من غير وجود بان وصانع ؟ فان لم يسعهم ذلك فكيف يسعهم القول بوجود مسرح العالم بسهاواته وأرضه بنفسه من غير وجود بانيه ؟ أليس للسموات والأرض أهمية كأ همية واحد من البيوت المبنية بأيدى البشر حتى تستغنيا عما لايستغنى عنه من البانى، أم كان استغناؤها عن البانى لكونهما فى غاية العظمة والبداعة ؟ أما الاحمال الأول وهو كونهما فى الأ همية دون البيوت المبنية بأيدى البشر فباطل بالبداهة ، وأما الاحمال البنانى وهو أن يكون البناء الأعظم والأ بدع مستغنيا عن البانى حين كان أقل البنيان وأحقره غير مستغن عنه فنى غاية البعد من العقل

لالا ، ان القائلين باستغناء العالم عن الصانع لم يقولوا به لتفاهته ولالكونه في غاية العظمة بل لأنهم وجدوا صرح العالم حاضراً أمام أعينهم مصنوعا ، من غير حاجة الى نشدان صانع له ولو لم يجدوه حاضراً لما وسعهم القول بوجود أصغر جزء منه من غير صانع . فسبب استغناء العالم عندهم عن الموجد هووجوده من غير حاجة اليه في نظرهم ، وهم ليسوا بأذ كياء لحد ان يتنهوا لما في هذا التعليل من المصادرة على المطلوب . ومن السهل على القارئ أن يفهم مبلغ ذكائهم من عدم أبههم، بالعقل كما يأبهون بالحس ، ذلك الذي أحوجنا على طول الكتاب (الكبير) الى الدفاع عن كرامة العقل حيال الحس

فان قيل ملاحدة المادية والطبيعية قائلون بأن العالم لاأول لوجوده فهو موجود من الأزل ولهذا استغنى عن الموجد لان ايجاد الموجود تحصيل للحاصل ، وليس للمؤمنين بالله أن ينكروا وجود مالا أول لوجوده واستغنى عن الموجد لأن الله تعالى عندهم لاأول لوجوده وهو مستغن عن الموجد لهذا السبب، فكما أن الله تعالى لا أول لوجوده ولم يسبقه العدم فاستغنى عن الموجد فليكن العالم كذلك عند الملاحدة

قلت عقلاء البشر مضطرون لقطع التسلسل في تعليل وجود الموجودات المحتاجة الى علة موجدة \_ الى الاعتراف بوجود موجود بنفسه لأأول له ولا موجد يوجده ، ليكون علة أولى لسائر الموجودات وينتهى فيه تسلسل العلل . ومعنى هذا ان وجود الله بنفسه من غير موجد يوجده نعترف به اضطراراً وعلى خلاف القياس والا فعقل البشر لايدرك موجودا لاأول له ولا موجد ، وان كان يدرك ضرورة وجود هذا الموجود بعدد النظر في وجود العالم ، ولولا الضرورة القاضية لما اعترفنا به . وبعد الاعتراف بحوجود واحد لاأول لوجوده لانحتاج الى وجود موجودات كذلك ، بل لانجيز وجود موجودات كذلك ، بل لانجيز وجود موجود آخر من هذا القبيل لأن الضرورات تقدر بقدرها . فالفرق إذن بيننا نحن القائلين بوجود إله واحد خالق للكائنات وبين منكرى الاله الخالق القائلين بيننا ألمن الفصل )

بوجود الكائنات بأنفسها وطبائعها من غير موجد ، اننا نمتقد موجودا واحدا يجب وجوده لاسناد وجود سأئر الموجودات اليه ، وهم يمتقدون وجود موجود واجب الوجود بمدد الموجودات في العالم لأن الموجود بنفسه من غير موجد يكون واجب الوجود، مع ان القول منا بوجود موجود واحد واجب الوجود لم يحصل إلا اضطراريا فلا يجوز أن يُتعدي في القول به حد الاضطرار، ومع ان موجودات العالم غير جديرة بأن تكون واجبات الوجود

ولا يقالان ملاحدة المادية والطبيعية لايدعون كون المالم موجودا بنفســه من غير موجد كالبناء من غير بان بل يقولون آنه فمل الطبيمة وأثرها . لا نا نقول ان كان ماعبروا عنه بالطبيعة موجودا ذا علم وقدرة وإرادة نكفى لايجاد المالم وتمشيته بمـــد ايجاده على وجه النظام المشــهود وكان هذا الموجود لايحتاج في وجوده الى أي شيء حين كان وجود كل شيء محتاجا اليه ، فهذا هو الله الذي نقول به نحن المؤمنين بالنيب ولا يبق خلاف بيننأ وبينهم الا في التسمية والتعبير . لكنا نعلم ان الطبيعة التي يقولون بهــا بدلا من الله لايريدون به موجودا مستقلا عن المالم وانمــا هي عندهم كناية عن عدم وجود موجد للمالم لكونه موجودا بنفسه وطبيعته. وهذا عندنا هو القول بالمحال لأن الموجود بنفسه لايكون الا واجب الوجودكما قلنا ويكون مستحيلا تغيره من حال الى حال ووجوده أو وجود شيء منه بمد المــدم وعدمه أو عدم شيء منه بعسد الوجود، بل يستحيل تجزؤه وتركبه المستازم لاحتياجه الى أجزائه والعالم المتغير المتجزى المحتاج على الأقل الى أجزائه لا يكون واجب الوجود بل ممكنا يقبــل الوجود والعدم متساويين بالنسبة الى ذاته، فيحتاج في وجوده الى مرجح يرجح لهجانب الوجود ويوجده بعد ان كان معدوما ، وفي عدمه الى مرجح يرجح له جانب العدم فيعدمه بعد ان كان موجودا، وفي وجوده يحتاج أيضا الىمرجج يرجح له أن يكون على نوع معمين من أنواع الوجود وعلى شكل معين من أشكاله فلو أنكرنا له هــذه الحاجات كان قولا برجحان أحد المتساويين بنفســـه على الآخر من غير مرجح وهو

محال متضمن للتناقض، وهذا المرجح عندنا في وجوده أو عدمه وفي كونه على نوع معين من أنواع الموجود وعلى شكل معين من أشكاله هو إرادة الله كاقال الله تعالى في كتابه الكريم: (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) فلو كان العالم أو أى جزء من أجزائه موجوداً بنفسه من غير موجد وموجوداً على نوع معين وشكل معين من غير معين، ازم الرجحان من غير مرجح أى لزم كون مافرض وجوده وعدمه ثم وجوده على نوع دون نوع وشكل دون شكل متساويين بالنسبة الى ذاته ، خلاف ذلك أى غير متساويين . وخلاف المفروض عال متضمن للتناقض

فالملاحدة الزاعمون أن مذهبهم في عدم الاعتراف يوجود الله مذهب العلم غسير الممترف بما لم يثبت وجوده بالتجربة الحسية غافلون وجاهلون لحد أن يزعموا التناقض المحال علمًا . فاذا كان العلم الطبيعي يبحث عن الأثر ويغفــل المؤثر أو يبحث عن المؤثر القريب وينفل العلة الأولى فالعقل الذي يميز المحال من المكن والذي هو أبعــد نظراً من العلم الطبيعي وأوسع ، يقضى بأن الكون أثر إرادة علية عليمة مسيطرة على مايدعونه الطبيمة . ولعل سبب عدولهم في ادارة الكون من هذه الارادة العليمة الحكيمة الى طبيعة لاعلم لهــا ولا ارادة بل لاوجود لها أيضاكما حققنا (في الكتاب الكبير ) من أنها كناية عن عدم وجود فاعل لهذا الكون ولظامه ، سبب عدولهم اليها على الرغم من استحالة صدور مثل هذا الأثر العظيم عمــا لاعلم له ولا قدرة ولا إرادة بل لاوجود، انه اذا لم يكن لهذا الكون مالك سوى تلك الطبيمـــة المسدمة التي ليس من شأنها أن يحاسب أحد على ما فعله في السر والعان ، فلا توجيد فوق الانسان قوة ُيخشي بأسها ولا يؤمن مكرها فتحصل له الحرية التامة كما يعبرون ويمترونبه . ومن هذا بني الفيلسوف «كانت» مسألة وجود الله على دايل الأخلاق قاول لو لا الله لانهارت دعائم الأخلاق . ونحن مع استحسان دليله هذا مصرون على القول بأنا لانجده فى القوة والأهمية بحيث تبنى عليه مسألة وجود الله التى هى أعظم المطالب الفلسفية وأهم من كل شىء ومن مسألة الأخلاق أيضا . وقد سسبق الكلام عليه فى آخر الباب الأول ( من الكتاب الكبير )

على أن العلم الحديث الثبت الذي يعزى اليـه عدم الاعتراف بوجود الله ، آخر مذهب هذا العلم ان كل شيء في الكون راجع الى الحركة ولا موجود غيرها حتى ان المادة التي كانت لهما الأزلية والأبدية عند الماديين البوختريين ، لاوجود لها وأنما البقية من تلك المادية القديمة هي القوة وهي الحركة . ولا نناقشهم هنا كيف تكون حركة من غير أن يكون هناك شيء متحرك هو المادة أو مايقوم مقامها بعـــد زوال دولهاالأزلية والأبدية ؟ وانما نسألهم عن سبب هذه الحركة أعنى المحرك، ولا ترتاب. في أنهم يقولون في الجواب أن سببها الحركة التي اتصلت بها من جانب الماضي طبق ماذهب اليه « ديمقراط » الحكيم اليوناني القديم ، كما ان سبب تلك الحركة التقدمة بدرجة واحدة هو الحركة التقدمة بدرجتين . وهكذا الحال في كل سلســـلة الحركات الميكانيكية بأن يكون ماتقــدم منها سببا لمــا تأخر ومولداً له وما تقــدم المتقدمَ سبباً مولداً للمتقدم وهكذا دواليك من غير أن تـكون لساسلة الحركات المتدة الى جانب الماضي نهاية تبدأ منها السلسله ولا تكون قبلها حركة . وبفضل هـذه اللانهائية تجدكل حركة سببها فيما قبلها ولا تحتاج الحركات المتسلسلة الى محرك خارج عن أجزاء السلسلة المحرك بمضها بعضا

هكذا يقولون اليوم ، وبهذا يتضح أن المرجع الحقيق لاستناد الملاحدة في قولهم باستغناء العالم الذي هو اسم لمجموعة الكائنات عن وجود الله ، ليس عقيدة عدم احتياج أى موجود في وجوده وأى حادثة في حدوثها الى السبب وان كان ظاهر قولهم بأن كل ما كان وما يكون في العالم ناشى من طبيعة الكائن يقتضى نفي السبب ، لكن الحقيقة انهم لا ينكرون مبدأ العلية ولا يقولون بتكون كل كائن بنفسه من غير تأثير فيه من الخارج وهو الذي يعبر عنه علماء الكلام بالرجحان من غير مرجح

ويبطلونه . فالملاحدة أيضا لايقولون بهذا الذي يتنافى مع مبدأ الهاية وانحا يقولون بنقى السببية والعلية من خارج العالم فلكل كائن سبب يوجب كونه والسبب كائن آخر له سبب أيضا ولسبب السبب أيضا سبب وهلم جرا الى مالا نهاية له من الأسباب المتقدمة المهيئة لمسبباتها التي كل منها أيضا سبب لما بعده . ولعدم انتهاء الأسسباب المتقدمة الى سبب أول لاسبب قبله ولكون العالم قديما عندهم لابداية له ، على خلاف ماقلنا نحن في الباب الثاني ان العالم حادثله بداية ، فلا حاجة عندهم لوجود العالم الى وجود الله ، لأن وجود العالم عبارة عن وجود سلاسل أسباب غير متناهية لمسببات مثلها غير متناهية ولكون الأسباب غير متناهية في جانب الماضي وكون جميعها داخلة في أجزاء العالم فلا يجيء في الجانب المتقدم دور الحاجة الى وجود الله في خارج داخلة في أجزاء العالم فلا يجيء في الجانب المتقدم دور الحاجة الى وجود الله في خارج بعد انتهاء الاسباب المتقدمة الداخلة في العالم الى سبب لا يتقدمه سبب من جنسه داخل في العالم ، لكنهم يقولون ان الاسباب العالمية المتقدم بعضما على بعض غير متناهية

فالأساس الاخيرلذهب الالحاد وسنده الذي يستند اليه نهائيا قدم العالم وتسلسل العلل وما يتوقف عليه هدم هذا المذهب اثبات حدوث العالم وابطال تسلسل العلل والاسباب الى غير نهاية . وقد كان أعظم غلطة وقع فيها الشيخ محمد عبده ولن يقع في مثايا رجل من رجال العلم والدين ، انكاره لبطلان التسلسل الذي يدور عليه اثبات وجود الله تعالى (۱) ونحن بتوفيق الله عز وجل قمنا بواجب هذا الابطال ف أكنة عدة من هذا الحكتاب (الحكبير) أوضح قيام يتمكن من ادراكه الخاص والعام ولا نضن هنا أيضا بصورة مختصرة من ابطال ذلك الباطل تطبيقا له على آخر نظرية علمية في الكائنات أعنى كونها عبارة عن سلاسل الحركات ، فنقول:

تسلسل الحركات الى غيرتهاية في جانب الماضي على أن لا يكون لأي حركة منها

<sup>(</sup>۱) سبق منا فى الباب الأول والباب الثانى ( من الكتاب الكبير ) ان نفلنا نس قول الشيخ بانكار بطلان التسلسل ورددناه عليه

سبب محرك غير الحركة التي قبلها فتكون كل حركة تقدمتها حركة أخرى تُتولدها، فلا مهاية للحركات الماضمة ولا مهاية لأسماجها التي هي عبارة عن الحركات أيضا .. تسلسل الحركات هكذا باطل ، ولا نبني دءوي بطلانه على برهان التطبيق أو غـــيره من البراهين المبطاة للتسلسل المعروفة عند علمائنا المتكامين بل عند الفلاسفة القدماء أيضا والتي اعترض عليها بعض العلماء قديما أو حديثا بحق أو بغير حق (١) وأعما نبنى دءواناعلى ابطال فعلى يقتنع به القارئ ممنا فنقول : ان دوام الحركات في جانب الماضي التي لامحرك لهــا رأسا غير تحريك بمضما بمضا ضرب من الوهم والخيال. فالأوهام الكاذبة التي رمي بها الشيخ محمد عبده البراهين المنصوبة لابطال التسلســـل موجودة في التسلسل نفسه لاسيم تسلسل العلل ، لكن الشيخ التبسعليه محل الوهم الكاذب فظن المبطل باطلا والباطل حقاء تتضح هذه الحقيقة عند تصورالسألة فيعدد متناه من الحركات فلو فرضنا انتهاء سلسلة الحركات الممتدة من الحال الى الماضي بعد خسين حركة متراجعة وفرضنا كون سبب الحركة الأخيرة المتصلة بزمان الحال هو الحركة التاسمة والأربمين وسبب الحركة التاسمة والأربمين هو الحركة الثامنة والأربمون وسيمها السابعة والاربعون، وهكذا الحال الى أن نأتي الحركة الاولى فرأيناها لاتستند الى محرك من خارج السلسلة أي لاسبب للحركة الاولى، وليست حركتها قوانية (ديناميك) تندفع بنفسها بل حركة ميكانيكية منتظمة وكذا الحركات التي بعدها. فاذًا انتغى سبب الحركة الاولى انتفت الحركة الاولى نفسها واذا انتفت الحركة الاولى التي كانت سبب الحركة الثانية انتفت الحركة الثانية أيضا وبانتفاء الثانية انتفتالثالثة وبانتفائها انتفت الرابعة ، وهكذا يقال في كل حركة بعــد حركة منفية الى أن نبلغ الخمسين فرأيناها لاسبب لها ولا حركة . فسلسلة الحركات المؤلفة من خمسين حركة تصير ضربا من الخيال الـكاذب اذا لم يكن هناك محرك أصلى سوى تحريك الحركات

<sup>(</sup>۱) تقدم الكلام على هذه النقاط فى البابين الأواين (من الكتاب الكبير) لاسيما فى فصل حدوث العالم من الباب الثانى

بعضها بعضا بأن يحرك المتقــدم منها المتأخر الذي يليه ، لا ما وأينا عيامًا أن لاحركة متقدمة ولا تحريكها للمتأخر . نعم رأينا انمدام الحركات لانمدام أسبابها ، في سلسلة فرضناها مؤلفة من خمسين حركة وهي متناهية ، فهل يكون الحال غير مارأينا مو · \_ الخيال لوفرضنا سلسلة الحركات لا تنتهى في جانب الماضي الى حركة لاتتقدمها حركة أى او فرضناها غير متناهية؟ وماذا ينفع سلسلة الحركات التي رأيناها لا وجود لهـــا الا في الوهم والخيال عند فرضها مؤلفة من خمسين حركة ، ماذا ينفعها أن نضم اليها من أمثالهـا عددا لانهـاية له من جانب الــاضي ، فهــل تنقلب الحركات الموهومة المتناهمة بانضهام الحركات الموهومة غير المتناهية اليها حركات واقعية ؟ والوافع ان الزيادة في الموهوم الكاذب لاتكون الا زيادة في الكذب والوهم، وأن كان في الزيادة اللامتناهية التي لا يمكننا معاينة جميع أجزائها كماينة كل جزء من أجزاء السلسلة المؤلفة من خمسين حركة ، بمضُّ تغطية واخفاء لما تضمنته من كاذب الخيال . فاذا لم يكن لتلك الحركات المفروضة محرك غير أن يكون المتقدم منها سببا للمتأخر لزمأن يكون كل مافرصُ وجوده من نلك الحركات غير موجود، وهو تناقض محال سواء كان عدد الحركات متناهيا أوغير متناه

فيهما اعترض المترضون على بطلان التسلسل وانتقدوا البراهين المقامة لابطاله فهذا النوع من التسلسل وهو تسلسل العلل والأسباب الذى تأخذ كل علة فيه وجودها وعليتها من علي أن تكون هناك علة أصلية تنتهى فيها سلسلة العلل ولا يكون وجودها وعليتها مأخوذة من غيرها، والذى ينبنى ائبات وجود الله على إبطاله، ليس فى بطلانه أدنى ريبة المدم وجود ساسلة كهذه الا فى الوهم والخيال . والذين يعتبرون الكون مجموعة مؤلفة من سلاسل حركات لابداية لهاوكل حركة في كل سلسلة متولدة من حركة مثلها متقدمة عليها، يخيل اليهم وجود حركات لانهاية لها فى جانب الماضى كل حركة سبب لما بعدها مسببة عما قبلها ، ولا سبب لهدفه الحركات من خارج السلسلة غير تولد بعضها من بعض ، لكن هذه السلسلة المتوقف وجود كل

جزء منها على وجود جزء قبله لم تكن عبارة عن سلسلة موجودات مسببات عن أسباب موجودة بل سلسلة كموقوفات في وجودها على موقوفات ومحتاجات الى محتاجات، فان كان أول جزء من هذه السلسلة موجودا فكل ماعداه المبنى وجوده على وجوده موجود أيضاً ؛ لكن لا أول لهذه السلسلة حتى يقال إن كان موجودا فسكل ماعداه موجود ، بل يفر هذا الأول كلما أردت النظر في حاله لتملم أنه موجود أو غير موجود الي أول منه فتجده موقوفا وجوده على وجود ماقبله وتجد ماتريد ان تعتبره أول ليس بأول، ومهما أممنت في الطلب فلن تصل بذهنك الى أول جزء لهـــذه السلسلة فاذن لاوجود لأولها ولا وجود لها حتى يكون لأولها وجود واذا لم يكن لأولها وجود فلا وجود لمــا بعد أولها المبنى وجوده على وجوده . واذن لاوجود لسلسلة حركات غير متناهية يظنونها موجودة على الرغم من ظهور عدم وجودها عند درسها متناهية ، فما هي الا سلسلة حركات معلقة الوجود على أسباب غير موجودة على ظن أنها موجودة. ومنشأ الغلط في الظن اقامة عدم تناهي الأسباب التي لاوجود لها مقام وجود الأسباب، وقد أوردت في الفصل الأول من الباب الأول من هذا الكتاب (الكبير) أمثلة تزيد في إيضاح مافي هذا التسلسل من البطلان . والنتيجة ان العالم ان كان عبارة عن مجموعة مؤافة من سلاسل حركات فلا بد أن يكون لها محرك من خارج الساسلة هي تنتهي فيه، والا فلا يمكن وجود حركةواحدة فضلاعن وجود سلاسل حركات وهذا الحرك هو الله . ثم انه لو أمكن اســتغناء عالم الحركات الذي هو عالمنا على آخر رأى العلم، ، عن محرك مستقل غير تحريك الحركات بعضها بعضا ولم يترتب عليــه مابيناه من التناقض لاحتاج ذلك العالم الى وجود الله في نظام الحركات وفي تميين مايترتب على الحركات من الغايات ، ان لم يحتج اليــه في نفس الحركات من طريق فرض المحال

هذا تلخيص اثبات وجود الله وفي ضمنه اثبات حدوث العالم بإثبات البداية له

عند ابطال التسلسل اللازم لاثبات وجود الله . أما إثبات وجود الأنبياء فقد أقمنا عليه فيما سبق غير بعيد (١) دليلا أقامه الفيلسوف «كانت» لاثبات وجود الله الذي هو أعلى مطلب فلسنى، في حين انا لم نره متناسبا مع جلالة ذلك المطلب، لعدم إفادته اليقين الضروري الذي هو وجوب الوجود كا أفادته الأدلة التي ذكرنا صورة مختصرة منها انفا . وحسبنا في القيام بواجبنا إزاء مطلب اثبات النبوة أن بنيناه على دليل يعدل في الأهمية دليل «كانت» لاثبات وجود الله . وسنقيم دليلا آخر خاصاً بنبوة نبينا في الأهمية دليل «كانت» لاثبات وجود الله . وسنقيم دليلا آخر خاصاً بنبوة نبينا عند الكلام على مسألة فصل الدين عن السياسة

وأما مسألة معجزات الأنبياء فنخالنا في غنى عن التنبيه الى مبلغ عنايتنا بها ، وقد استفرقت مكا فحة منكرى المعجزات طول الباب الثالث من الكتاب ( الكبير ) وذلك الباب الثالث قد قرأ الفارى الى هنا في شكل كتاب صغير مستقل . والآن ننتهى مما أردنا أن تكتبه نتيجة للأبواب الثلاثة المتقدمة وعند ذلك ننتهى أيضا من الكتاب الصغير سائلين الله تعالى الهداية والمغفرة لنا وللقارئين

(۱) ص ۸۳ – ۲۸

#### الرجا اصلاح الأغلاط أولا كالآتى :

7-1: وهذا قول الاستاذ ٢-١٨: النبه ١٨-٣: تصارحان ١٩-١: انكار النبوات ١٣-١: أن ٥٦-٢: من رسيل الله والآيات الظاهرة ٢٣-٥: عند النظر في مناسبة ٢٨-١٠: المعادة الواقعة ١٣-٤: في مجلدات، مجلدين ١٩-١٠: على قول هذين الشيخين ٢٤-١: الغربيين، ٢٥-١٠: الثلاث ٥٥-٠٠: أسلافه ١٩-١٠: ولن ترى ٣٣-٣٠: هذا ٢٦-١٤: قيمته ٢٧-١: تسقط ١٧-١٠: المتقلمة المعجزات ١٩-١٠: ٢٢-٢٤: ٢٠-٢: في الشفاء ١٠١-١، ولوكان ورد ٢٠١-١: المتقدمة ١٨٠-١: من المتبعين ١٠١-١: مع العلم ١١٠-١: في معاداة ١٢٠-٥: من علماء ١١٠-١: جرهم ١١٠-١: النعاني ١١٠-١: الخياة

## فهرس الابحاث المذكورة في الكتاب

ص:٥ جمل الاستاذ فريد وجدى الايمان بالفيب مقابلا للايمان بالواقع - ٦ افشاؤه عن استبطان الشرق الاسلامي للالحاد بعد اتصاله بعلوم الغرب ــ ٧ أبرز ممنزات نوابغ الكتَّاب الذين أفشى الاستاذ عن استبطائهم الالحاد: انكارهم المجزات الكونية -٧ انكاره المعجزات والبعث بعدالموت ٧٠ ومن ممزاتهم اقامة عبقرية نبينا مقام نبوته -٧ الدكتور زكيمبارك يتوقعالثورة على نبوته عليه الله ١٠١ انكار المعجزات علامة لا نكار الندوة وليس أدل على هذام أن الدكتور شيل شميل ناشر فكر ة الالحاد في بلاد العرب، يسمى الايمان بالأديان إيمانا بالمعجزة ١١ الاستاذفر يدوجدي ينكر المعجزات الحقيقية ثم يستخرج من غير المعجز ات معجز ات - ١٢ الكلام على كتاب عبقرية محمد الاستاذ العقاد - ١٧ لم يتورط الاستاذ في السخافات التي تورط فهاغيره من دعاة العيقرية ــ ١٥ سؤ الى الاستاذعن موقف القرآن من محمد «البليغ» - ١٦ تحبيذ قول هيكل باشا في قوله تعالى : (وان كادوا ليفتنو نكعن الذي أوحينااليك) الآيات \_ ١٨ ومن بمرات الطائفة العصرية انهم لا يعولون على كتب الحديث - ١٨ النبوة كالمعجزة في كونها مخالقة للعلم الحديث - ١٩ بل العلم الحديث يمنع المفتو نين به عن الايمان بوجودالله .. ١٩ النقاش الجاري بين الاستاذ فرح انطون والشيخ محمد عبده واحتياج هذاالنقاش الى الاستئناف ٧١ منشأ الجرأة من العصريين على التوسع في تكذيبالأحاديثالنبوية لهمطريق في رفض الأحاديث وطريق في رفض الآيات. أجرأ نماذج

٧٥ موقف العقل والعلم من رسل الله ومعجزاتهم والبعث بعد الموت

٢٤ واجب علماءالدين اليوم

٣٦ مما يعلم به نفوق الدليل العقلى على الدنيل التجربى انه يتبت بالاول وجود الله و بالثانى وجود الانبياء . اثبات امكان النبوة والمعجزة والنشأة الثانية - ٧٧ نطاق الامكان أوسع بكثير مما يظنه منكرو المعجزات . قول منطق كبير انجليزى في المعجزة - ٧٨ خاق معجزات الانبياء .

التأويل فىالقرآن - ٢٢ بدعة انكار العجزات \_بل ردالنبوة الى العبقرية أيضا ـ مأثورة من الشيخ محمد عبده \_ ٢٣ سبعون حديثا لانكفى فى اثبات نزول عيسى فى آخر الزمان \_

أسهل من خلق معجزة العقل في الانسان - ٢٩ مرة المعجزة التي بصغر بجانها أعظم المكتشفات العامية \_ ٣٠ نظام العالم العام دليل وجو دالله وتغييره الذي هو المعزة دليل وجو دالانبياء \_ ٣١ القوانين الطبيعية ليستقوانين ضرورية مستحيلة التغيير . بوجد محال عقلي ولابوجد محال تجربي . منكرو المعجزات لم يمزوا ماهو غير واقع في تجر بتنا مما هومحال الوقوع ــ ٣٧ ههناخمس مراتب: الامكان والوقوع والضرورة وعدم الوقوع والاستحالة كايكون احراق النارماتحرقه باذن الله يكون كفهاعن الاحراق بأمم الله ـ ٣٠٠ مل التحقيق ان الاحراق ليس من النار . قول مالبرانش : القوة التي في الطبيعة وفي كل شيء عبارة عن ارادة الله - ٣٤ قول علمائناالاصوليين : لاتثبت العلية بالدوران \_ ٣٥ فول مالبرانش : العلة الحقيقية واحدة \_ ٣٦ وقول المتكلمين: ان الكائنات بأجمعهامستندة الى اللهمن غير واسطة . وقول له ينبتز في مناسبة البدن مع النفس. قول داو يدهيوم المهم \_ ٣٩ الملاحدة يتمسكون في انكار المعجزات بنظام العالم الذي كانو اينفونه حين أنكروا وجودالله . انكار المعجز ات مع الايمان بالله حماقة ومع الايمان بالأنبياء حماقة متضاعفة \_ ٤٠ شذوذالشبيخ محمدعيده في تعريف النبي والرسول \_ ٤٤ خلوكتاب هيكل بإشاعن معجزات نبينا للمثلة لحياته المعنو يقوالق خصص لها المؤلف الهندي مجلدين.اعتراض مفروض من جانب المنكرين لمعجزات نبيناالكونية ـ ٤٣ دفاع الشيخين الراعى والشيخ وشيدرضاعن كتاب هيكل باشا ٧٠ دفاع الباشانفسه - ٤٣ تعييبه الكتب القديمة بأنها كانت تكتبت لغاية دينية \_ 33 نقد رجال الحديث علم مدون فى الاسلام فعلاليس كالنقداالعلمي قولا مجردا . يتعلل المؤلف باختلاف كتب السيرة ويتهم الزيادة الواقعة في كتب المتأخرين بالاختلاق \_ ٤٤قوله أن أقدم تلك الكتب كتب بعدان فشت في الدولة الاسلامية دعايات \_ ٤٦ كمن الأحاديث وجده البخارى وكمنها صحاديه ؟ \_ ٤٧ العمل العظيم الدى قام به المحدثون يستخدمه هيكل باشافى زعزعة مكان الثقة بكتب الحديث - ٤٨ اسناده الى البخارى ماصر حالبخاري بخلافه و ١ السبب في عدم جمع الصحابة السنن في مصحف كاجمعو القرآن ٥٥ روايات أبي حنيفة لم تكن ١٧ حـديثا كازعم ابن خلدون . ليس ثقاة الرواة همرواة الستة فقط . للسنة حفاظ كاأن لكتاب الله حفاظا . لوضاءت السنة كادعى لضاع معه حكم قوله تعالى : (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) - ٥٠ ان كان مؤلفو الغرب في السيرة المحمدية يتبعون الطريقة العامية لزمهم منطقيا أن يساموا - ٥٣ ماذا يقول الكاتب الهندي مؤلف كتاب في السيرة قبل الكاتب اللصرى؟ - ٥٥ امتياز نبينا على جميع مشاهير الدنيا

بضبط حياته وحكمة هذا الامتياز - ٥٦ ايس في المستشرقين الثيرين الشك في السنة ومقلديهم من وجد من تلقاء نفسمه حديثا موضوعا . لانغالي اذاقلناان ضبط سنة ني الاسلام أصحمن ضبط كتب أهل المكتاب \_ ٧٠ قول عالم ألماني ان الدنيالم تر وان ترى أمة مشل المسلمين \_ ٥٨ قول الدارقطني : الحديث الصحيح في الحديث الحكذب كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود. قول عمر: انى كنت أريدأن أكتب السنن وانى والله لاأشوب كتاب الله بشيء أبداء وحديث (من كان عنده شيء فليمحه) ــ ٥٥ الماشي على الطريقة العلمية يلزمه التفكير فهاذاقديكون مرادالنبي للقلة من النهيءن كتابة أحاديثه والأمر بمحوما كتب منها؟ روايات النهيءن كتابة الحدرث معاومة لأعمة الحديث. ٦٠ مؤلف «حياة محمد» كتبه معتنقا بفسكرة يحسمافكرةعلمية. دأبمؤلفي الغرب في نفل الروايات. صرف مذهب المانعين اكتابة الحديث عماأرادوابه \_ ٠٠ تحقيق مسألة الاختلاف في جوازالكتابة عن النبي مَرَاتِيَّةٍ ـ ٦٣ دونت السنن فيضمن ندوين علم الفقه قبل أن جمعها جامعوا الحديث \_ ٦٤ قول هيكل باشافي مقياس قبول الحديث ورفضه واستشهاده في ذلك بحديث موضوع - ٥٥ ناحية الدراية لا يكون لها المنزل الاول في علم الحديث الذي هو من العاوم النقلية . ثم ان النظر في تلك الناحية من اختصاص المجتهد ٦٦ ثمان كون مخالفة الفرآن مقياسا لرفض الحديث لايستفه في جميع الأوقات - ٦٧ قول الباشا :جمع الحديث جامعوها في زمن المأمون بعد انتشار عشرات الألوف من الاحاديث الموضوعة . وما كان لهم ولالغيرهم أن ينازعوا الخليفة في آرائه . نظر الى ادعاء الباشا يلزم أن تكون كتب الأحاديث مشحونة بأحاديث خلق القرآن \_ ٦٨ يدعى الباشاانه ما كان العلماء أن بنازعوا الخليفة في آرائه . والواقع يشهد بأنهم نازعوه \_ ٧٠ يزيد الباشا في قبول الحديث على اشتراط عدم مخالفته للقرآن موافقته له بلورود ذكره فيه ويزيد على هذاموافقته لسنة الكون ــ ٧٦ قول الباشا: ظن مؤلفو االاسلام ان في ذكر خوارق ومعجزات مايزيد الناس ا يمانا على ايمانهم - ٧٧ قول الباشافقد كان أهل مكة يطلبون الى النبي أن يجرى ربه على يديه المعجزات فنزل القرآن يدفع ماطلبوه ـ ٧٣ ضياع السنة في القرون الأولى ضياء القرآن في الجملة ووعدالله بحفظ القرآن يتضمن الوعد بحفظ السنة أيضا ـ ٧٥ مناسبة زيادة المعجز ات المكذوبة على نبينا بانحطاط شعوب المسامين ـ ٧٧ من حق أى امرى أن يقوم فيرد كل مافى كتاب «حياة محمد» بحجة أنه لم يردبه القرآن - ٧٨ لماذا يؤمن الهود والنصارى عمجزات أنبياتهم ولانؤمن نحن بمعجزات نبيناغيرالقرآن \_ ٧٩ هـالباشا ينتقدحادثة الاسراء بانهافشات ولم

تنفع في هداية الناس؟ لا يحب أن تكون المعجز وضامنة لهداية الناس . ٨٠ قول الباشاياندساس مدالعبث بالقواعد الصحيحة للحياة الاسلامية ومشابهة هذاالقول بقول الشيخ محمدعبده س ٨٠ انتهاءالنقل من كتاب «حياة محمد» ـ ٨١ سعى معاليه لالقاءالشهة في كل ماور دفي كتب الحديث والسيرة ودافعه الى اطلاق الفول: معاليه يجعل كتابه معلقاعلى الهواء وينقص نفسه بنفسه. هذاواحد (الثاني) هل فكرمعاليه فهايتر تبعلى مافعله من الارة الشهة في كتب السنة؟ ٨٤ عجيب،القىالاسلام والعلومالاسلاميةفىزماننا؛صر ــ ٨٥ هـل.يوجدكـتاب،تاريخفى صحة كتاب البخارى مثلا؛ ولم يتأخر جمع الأحاديث الى عصر المأمون كاادعى - ٨٦ حديث: (ألااني أو تيت القرآن ومثله معه ...) - ٨٧ الناظرون من بعيد الى ما يجرى في علم الحديث من النقدالحروالرقابات الدقيقة ، ليسمن الانصاف أن يتخذوه وسيلة طعن مطلق في قيمة الحديث. واني لاأثق باخلاص العصريين للقرآن ـ ٨٩ السيحيون صعدوا بنبهم الى درجة الالوهية مستنداالي معجزاته الكونية والسلمون استكثر والنبهم معجزة واحدة منها . كتب المؤرخين الغر بيين لم تحص ولم تغربل بعشر معشار ماغر بات كتب أعمة الاسلام بأيدى أتحة الاسلام أنفسهم . ٩مافعلهمؤلف «حياة محمد» في مقدمة الطبعة الثانية جناية لا تغتفروناً يبدمشيخة الأزهر لهذه الجناية أدهى وأمر. لم تعل بمصر ولابغير مصر أصوات دفاع عن الكتب المباركة عند السلمين. التشكيك في كتب الحديث والسيرة على الاطلاق يؤدى الى التشكيك في القرآن \_ ٩١ (الثالث) درس موانع اثبات المعجزات لنبيناء تدالباشا التي التبس عليه بعض مع بعض - ٩٣٪ نقاة المعجزات من الغربيين انماينفونها لعدماعترافهم بوجودالله . شيوخالمعاهدالذين استشارهم . الباشالم ينهوه على أن المعجز ات لاتنافى العقل . استشهاد الاستاذ الاكبر ببيت من البردة على عدم وجودمعجزاتكونيةلنبينا ـ ٩٤ ذكرني هذا ماسبق لفضيلنها نه أخطأ في فهم أقوال الفقهاء عندترو يجفتنة ترجمة القرآن الحادثة في تركيا - ٥٥ غير يمكن أن يكون الغزالي مايكن اتخاذه سندافى انكارمعجزات نبينا غيرالقرآن ـ ٧٦ معجزات نبيناغبرالقرآن ان لم يتواتركل منها فالقدر المشترك بينهامتواتر كسخاوةحاتم وشجاعة على ــ ٩٦ (الراجع) ماذاهو الباعث على اثبات معجزة عقلية لنبيذاهي الفرآن ونفي كل معجزة سواهاعنه ؟ ــ ٩٨ لافرق بين المعجزة العقلية والكونية في المخالفة لسنة الكون \_ ٩٩ قول لهيكل باشافي عالية التخليط والتشويش ١٠٠ (الخامس) تفسيرالشيخ محمدعبده لسورة الفيل ـ ١٠١ يقولون لم يردفى الفرآن ذكر معجزة كونية لنبينا ولو ورد فماذاينجع؟ - ١٠٢ قول كانبالسيرةالهندىفي واقعةالفيل

وسورته. فرق ما بين الأبطال النائدين عن كرامة الاسلام وبين العاجزين المتنازلين عن حقوقه ١٠٤ لوضحيتم بالسنة فهل تظنون انكم انقذتم القاوب الزائعة أوا نقذتم الكتاب؟ فعلى القائمين بواجبالحياولة دونز يغالقاوبالمستعدة لهأن يتشجعوا فيصارحواذوىالقاوب المذكورة بالحقيقة \_ ١٠٥ نقل كلَّة من «موقف العلم من الله» \_ ١٠٧ مخالفة المعجزات لسنة الكون لازمة لكون المعجزة معجزة \_ ١٠٩ القرآن معجزة عقلية وكونيةمعا لاعقلية فقط \_ ١١٠ معاليه شكرالتمسعيه ردفرية تحريف الفرآن . واجب المؤلف تحقيق الحق لاتأليف بين المتساويين المتباعدين ـ ١١١٠ (السادس) معنى قوله تعالى (فلن تجدلسنة الله تبديلا) الذي زعمواالتنافيينه وبين المعجزاتالكونية ـ ١١٤ الكلام،على وجوبأن لا يكون الايمان مصدر دخو فامن عذاب الله أوطمعافي ثو ابه ١١٧ متى تتحدالقو ةمع الحق؟ ١٩ ٨ (السابع) أصحيح أن في القرآن ما يمنع معجزات لنبينا غير القرآن ؟ اقتراح المشركين على النبي وجواب القرآن على هذا الاقتراح \_ ١٣١ دعوى صاحب «المنار» ان المعجزات الكونية شهة لاحجة ١٢٣ اعتداءالمستشرقين على الاسلام ومقابلة المستغربين الاعتداء بالاعتداء ١٢٥ ليس لنا أن نشترط في دلالة المعجزة على صدق النبي في دعوى النبوة أن يؤمن به كل من شاهد المعجزة ـ ١٢٧ وضع نبينامع الأنبياء صاوات الله علم م ووضع معجز ته مع معجزاتهم في صف الجدال مسلك شديدالخطر ١٢٩ شرط التحدى في المعجزة ومعنى هذا الشرط استاز ام التشكيك في كتب السنةالتشكيك في القرآن . قول الشبيخ المراغي والأستاذفر يدوجدي في اعجاز القرآن .. ١٣٠-١٣٠ طعن الشيخ رشيد في نبوة موسى وعيسى علمهما السلام بالسنة منكري الوحي وطعن هيكل باشافي السنة وعدم تحريكهماماحركه الطعن في الشعر الجاهلي من السكون في الرأى العام بمصر ١٣٤ لنظرة في العدد الخاص من مجلة «الرسالة» بأول العام الهجري - ١٣٥ والكلام على بعض مقالاته بالاعجاب والبعض الآخر بالنقد . منكر وامعجز ان نبينا الكونية ينكرونها عبثاان لم ينكروامعها نبوته - ١٣٧ نقدمقالة الدكتورزكي مبارك. قوله في حياة نبينا قبل مبعثه وقول الأستاذا حمداً مين بك فيها - ١٣٩ حكم قول بعض الناس أناعر بي أو تركي أولا تممسلم -٠٤٠ كا نالعرب الأحداث يريدون أن يأخذوا من النرك الأحداث كما أخذ قدماء النرك من قدماءالعرب - ١٤١ قول الأستاذ أحمد أمين بك في العرب قبل الاسلام - ١٤٣ مارأيت مثل اله كتورزكي مبارك من يفرق بين الرسول و بين رسالته ومعجز اته ٧٤٣ ماظن اله كتور بمصر آلعرب أتوهابالمر بيةوالعرو بةأمالقرآنوالاسلام؟ مسافةالفرق فى اللغةالعر بية بين

فصحاهاوعاميتهاأ بعدمن أي لغةوسببه . قول الدكتور أن محداحرم نفسه الشهرة بإجادة البيان ١٤٥ قول الدكتوران جمهور المسلمين يعتقدون ان النبوة لا تكتسب - ١٤٦ ان الله أذن لاتصال الانسان به بأن خلق فيه العقل حتى زعم پاوتن ان الانسان يتحدم عالله عندادر اله أىشىء ١٤٧ عل بجوزأن تكون النبوة مكتسبة ـ ١٥٠ الدين يأتى من الله و يبدأ بالنبي ـ ١٥٧ لاترى فرقابين انكارالأنبياء بالمرة وبين الاعتراف بهم معانكار معجزاتهمالتي تتعدى حدودنظام الطبيعة والتيهي أوسمة رسالتهم من الله\_٣٠ قول الدكتورطه حسين مارأ يت أعجب من أمر محمدالخ ـ ١٥٤ اثباتوجودالأنبياء ـ ١٥٨ ماجعلهالفيلسوف«كانت» دليلا لوجودالله تجعله دليلا لوجو دالأنبياء \_ ١٦١ معجزة شق القمر المنصوص عليه فى القرآن. خطأ حامله على ماسىقىرمنە عندقيام الساعة \_ ١٦٢ أوعلى ترائيه لأهل مكة كذلك. ومثله في ضلال التأويل ماوقع للشيخ محمدعبده من حمل انفلاق البحر لسيدناموسي على الجزر والمد - ١٦٣ وما وقع لصاحب «المنار »من عدم ماعه لنص القرآن على معجزة انشقاق القمر والأحاديث الواردة فها ـــ ١٦٥ مسألة رفع عيسي عليه السلام وتخبطات الشيخ شلتوت في تأويل آيات القرآن الدالة عليه ١٦٨ تحقيق معنى التوفي في قوله تعالى: اني متوفيك \_ ١٦٩ الخطأ اللغوى فما اختار ه الزمخشري والبيضاوي وأبوالسعود في تفسير (متوفيك) بمستوفى أجلك ١٧٧ تبلغ أدلة القرآن على رفع عيسي ثمانية. حمل الرفع المثبت بعد القتل والصلب المنفيين على رفع الروح يجعل لنفهم اقيمة هزلية ١٧٧ الكلام على دعوى انسيدنا محمد كان لا يلي طلبات قومه في اظهار المعجزات واشهاد الفرآن علمها \_ ١٧٦ الحكمة في انزال الآيات الدالة على عدم تلبية الطلبات \_ ١٧٧ اعتناء القرآن بتفهم الفرق بين الربوالمر بوب ١٧٨ معجزة القرآن يجدالقارى فيهاالواسطة والغاية معا ١٨٣ شواهدمن القرآن على وجو دمعجزات لنبينا غيرالقرآن ـ ١٨٨ الاسراء ووحدة الوجود أ١٨٩ آية الاسراء تأبيكل تأويل ، تقريب المعجز ات الى الأذهان بأمثلة من مكتشفات العلم نزعةمن نزعات انكار المعجزات ـ ١٩٠ النظر في قوله تعالى (وماجعلنا الرؤياالتي أريناك الا فتنة للناس) ـ ١٩٣ مافى معجزة الاسراء من أسرار وأحكام و بشائر ـ ١٩٨ أوقات الصلاة المشاراليها فيقوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الآية) ـ ١٩٩-٧٠٧ البعث بعد الموت وتحقيق مسألة اعادة المعدوم بعينه ٧٠٠-٢١٧ خاتمة الأبو اب الثلانة اثبات وجود الله الندى يتوقف عليه وعلىحدوثالعالم وضعفلسفةعامة لكيانالعالم ــ ٢١٣ أعظم غلطة وقعفها الشيخ محدد عبده

### أساء الرجال المذكورين في الكتاب من غير أعاظم الاسلام المتقدمين مثل الصحابة والتابعين وأقطاب الفقه والحديث

أرهة ١٠٢٠١٠١ اسخلدون٥١ ابن السكيت ٦٨ ابنسينا٠٠٠ ابن عبدالبر٠٦٠٠٠ ابن عقال الصقلي ١٤٤٩ أبو زيد الدنوسي ٠٠٠ أحمد أمين ١٤١٠١٣٨ ارسطو ٠٠٣٠٢٠ استانلیجوون۷۷ استوارتمیل۱٤٩،٣٣،٣٢،٢٦ اشره نکر ۸۵،۵٦ امیل،سه۳۱ باستور ۲۵۲ مادل ۳۸ برنار دشو ۹۰ ماوتن ۱۶۷،۱۶۲ بو خنر ۳۹،۳۷۰ البوصري ۶۲، ٩٦:٩٣ يولرانه ١٥٠ جمال الدين١٤٧ جوستاف او يون٣٨ جولدزهر ١٠٩ الحازمي ٤٧ الحليمي ٢٠٠ حمدي الصغير ١٥٠ حمور الي ١٧٠،١٣١ خضر بك٢٥ خضر حسين ٨٨ الخمالي ٧٠ الدواني ١٧٩،٩٦٩ ديكارت٢٥١ الراغب ٢٠٠ رشدر ضا١٨٠٢٠٤٠ . ۱۲۰،۹-۱۹۳،۱۳۶\_۱۹۰ ریتجهل ۲۹ زاهد۲۲،۶۹\_۵ زکی مبارك ۱۲،۷، ١٥٠-١٣٧٠١٥ الزمخشري ١٥٠٠١٦٨٠١٠٦ الزيات٨٨ سعيد بن المسيب ٦٨ سلم النشري ١٣٥ سلمان الندوي ١٩٢ شاتو بريان٨٧ شاهولي الله ١٦٧ شيلي شميل٠١ شيلي النعاني ١٨٤٠١٠٧٠٥٧٠٥٧٠٥٣٠ شلتوت ١٨٤٠١٠١٧٠٢٤٠٢١٠١٣٠٠ شيله رماخر ۲۹ صدر الدين الشيرازي ۲۰۱ طه حسين ۱۵۴،۱۵۲ عبدالعزيز البشري ١٣٤٥ عبدالكريمخان١٦٥ العقاد١٦٠١٧ على الجارمه الغزالي ١٦٢،٩٥،٧١،٢٠٠ غلام أحمد١٧٢ فرح انطون ١٤٤٠١١٩٠١٩ فريد وجدي٥٩٠٥،١٢١٠١٩،١٩٠١٠ ۱۹۹،۱۷۳،۱٦٠،۱۵۲،۱۵۲،۱۳۷ فیله۱۰ قاسم امین ۹ کانت ۱۵۸،۱۰۲،۱۰۸،۱ ٢١٧٠٢١١٠٢٠٦ كووييه ٣٤ له يبنتر ٣٦٢،٣١ مالدانش ٣٥،٣٣ محدثاب الفندى ۱۱۲ محد زهران۱۹۶ محد عبده۱۹۲،۱۹۵،۰،۱۰۱،۱۰۱،۱۹۷،۱۹۲،۱۵۵،۱۰۱،۱۰۱ محمد ياسان ١٦٤ الراغي ٧١٠٤ ١٨٤٤ ، ٩١٠٩ ع ٩١٠٩ ع ٩٠٠ ٢٩٠ ١٨٩٠ ١٨٩٠ المعرى ٧٨٠ ٤٦،٤٣،٣٩ مونته ني١٠٥ نوله کي١٠٩ هنري يوانکار ١٩٨ هوکسلهي٣١ هیکل . . . . . . . هیوم ۲۶،۲۴ د ۲۸،۳۷٬۳۳۱ د ۲۸